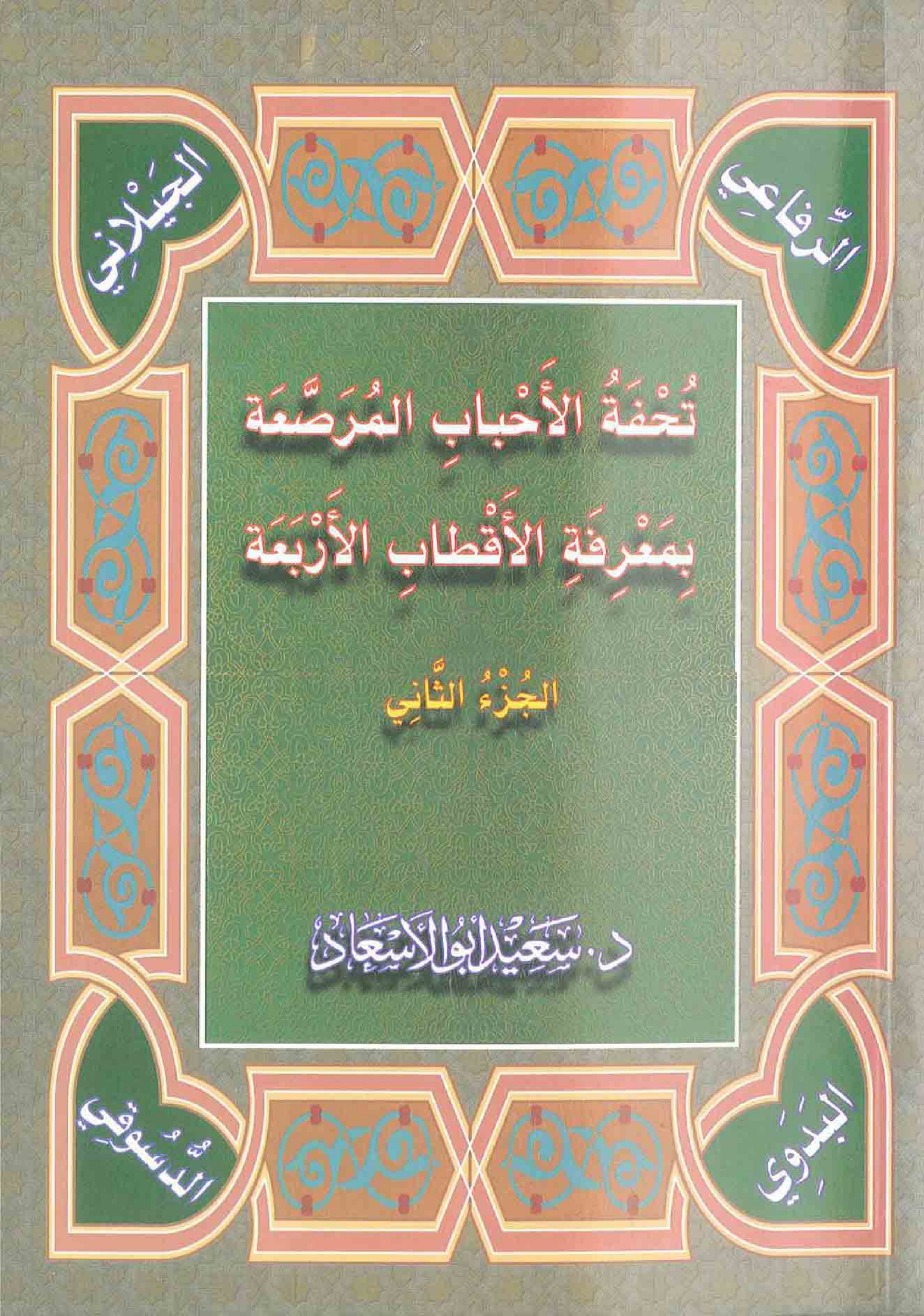

الجيلاني
الرفاعي
تُحْفَةُ الأَحْبابِ المُرَصَّعَة
بِمَعْرِفَةِ الأَقْطابِ الأَرْبَعَة
الجُزْءُ الثَّانِي
د. سَعِيد أبو الأسعاد
الدسوقي
البدوي

قَوْمٌ إذا سَكَنُوا فَالفَضْلُ صاحِبُهُمْ

وَحَيْثُ سارُوا فَكُلُّ الْمَجْدِ سَيَّارُ

فِي كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ مِنْ مَعارِفِهِمْ

نَشْرٌ بِيُمْنِ الْمَعانِي الْبِيضِ مِعْطارُ



(٣) القُطْبُ البَدَوِي

(٥٩٦ – ٦٧٥ هـ)

إنْ قُلْتَ كَمْ عاشَ الْمُلَثَّمْ

بَدَوِينا راجِعْ تَوارِيخَ الْمَدَد

(وكانَتْ مُدَّةُ حَياتِهِ تِسْعَةً وسَبْعِينَ سَنَةً عَلَى عَدَدِ مَجْمُوعِ الأَرْقامِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْها حُرُوفُ كَلِمَةِ (المَدَد) بِحِسابِ الجُمَّلِ المَعْرُوفِ : فالأَلِفُ بـ (١)، واللَّامُ بـ (٣٠)، والمِيمُ بـ (٤٠)، والدَّالانِ بـ (٨)؛ فالمَجْمُوعُ (٧٩) سَنَة ، وهِيَ تُعادِلُ المُدَّةَ مِنْ سَنَةِ مَوْلِدِهِ وهِيَ سَنَةُ ٥٩٦ هـ إِلَى سَنَةِ ٦٧٥ هـ سَنَة وَفاتِهِ ؛ وفِي هَذا رَمْزٌ إِلَى أَنَّ حَياتَهُ رضي الله عنه كانَتْ مَدَداً عَظِيماً أَمَدَّ اللهُ بِهِ النَّاسَ لِيَبْعَثَ فِيهِمْ رُوحَ الحَياةِ والعَمَلِ الصَّالِحِ فِي القَرْنِ السَّابِعِ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ) .

فَهُوَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ العارِفُ المَجْذُوب ، الشَّارِبُ فِي المَحَبَّةِ مِنْ صافِي المَشْرُوب ؛ المُرادُ المَخْطُوبُ والسَّالِكُ المَطْلُوب ، بَحْرُ الفُتُوحِ وساكِنُ السُّطُوحِ ذُو السِّرِّ المَمْنُوحِ ، أَبُو الفِتْيانِ ، ومُقْتَدَى أَهْلِ العِرْفانِ ، ذُو الكَراماتِ العَدِيدَةِ والإِشاراتِ المَدِيدَةِ ، ذُو الأَنْفاسِ الطَّاهِرَةِ السَّعِيدَةِ ، والأَحْوالِ الطَّاهِرَةِ السَّدِيدَةِ ، فارِسُ الأَوْلِياءِ

بِالدِّيارِ المِصْرِيَّةِ والجَزائِرِ القُبْرِصِيَّةِ ، القُطْبُ الَّذي وَضَعَ اللّٰهُ لَهُ في القُلُوبِ مَنْزِلَةً لا تُبارَى ، وجَعَلَ لَهُ في حَياتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ والبَرْزَخِيَّةِ مَوَدَّةً واشْتِهارا ، الشَّيْخُ الفَتِيُّ ، مَنْ لِذِكْرِهِ في الأَسْحارِ دَوِيٌّ ، القُطْبُ النَّبَوِيُّ والشَّرِيفُ العَلَوِيُّ سَيِّدي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ ، نَوَّرَنا اللّٰهُ بِنُورِهِ الضَّوِيِّ ، وأَعادَ عَلَيْنا مِنْ نَفْعِهِ الدُّنْيَوِيِّ والأُخْرَوِيِّ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ حَسْبُنا وهُوَ القادِرُ القَوِيُّ .

سَنا أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ فِي الْكَوْنِ مُشْرِقٌ
وطِيبُ ثَناهُ فِي الْبَرِيَّةِ يَعْبَقُ

وأَعْلامُهُ مَنْشُورَةٌ فَوْقَ حِزْبِهِ
وفِي ضِمْنِها نَصْرٌ وفَتْحٌ مُحَقَّقُ

البَدَوِيُّ أَحْمَد

ونَسَبُهُ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّد ﷺ

١- السَّيِّدُ الشَّرِيفُ النَّسِيبُ الحَسِيبُ أَحْمَدُ ابنُ ٢- السَّيِّدِ عَلِيٍّ البَدْرِيِّ (دَفِينُ المُعَلَّاةِ) ٣- ابنِ السَّيِّدِ إِبْراهِيمَ ٤- ابنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ ٥- ابنِ السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ ٦- ابنِ السَّيِّدِ إِسْماعِيلَ ٧- ابنِ السَّيِّدِ عُمَرَ ٨- ابنِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ ٩- ابنِ السَّيِّدِ عُثْمانَ ١٠- ابنِ السَّيِّدِ حُسَيْنٍ ١١- ابنِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ ١٢- ابنِ السَّيِّدِ مُوسَى ١٣- ابنِ السَّيِّدِ يَحْيَى ١٤- ابنِ السَّيِّدِ عِيسَى ١٥- ابنِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ ١٦- ابنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ ١٧- ابنِ السَّيِّدِ حَسَنِ ١٨- ابنِ السَّيِّدِ جَعْفَرِ ١٩- ابنِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ (الهادِي) ٢٠- ابنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ (الجَوادِ) ٢١ - ابنِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ (الرِّضا) ٢٢- ابنِ السَّيِّدِ مُوسَى (الكاظِمِ) ٢٣- ابنِ السَّيِّدِ جَعْفَرِ (الصَّادِقِ) ٢٤- ابنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ (الباقِرِ) ٢٥- ابنِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ (زَيْنِ العابِدِينَ) ٢٦- ابنِ سَيِّدِنا الإمامِ الحُسَيْنِ ٢٧- ابنِ الإمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ زَوْجِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ ابْنَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ والأَنْبِياءِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

نَسَبٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ رَوْنَقٌ

ومَهابَةٌ وجَلالَةٌ وظُهُورُ

نَسَبٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ بَعْضُ عُقُودِهِ

وعَلَى حَواشِيهِ النُّجُومُ سُطُورُ

ونُلاحِظُ أَنَّ فِي سِلْسِلَةِ آبائِهِ الكِرامِ مَنْ تَسَمَّى بِأَسْماءِ سادَتِنا الخُلَفاءِ العِظامِ (أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ وعَلِيٍّ) رضي الله عنهم ؛ وفِي هَذا دَلالَةٌ عَلَى أَنَّ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ وصَحابَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عُرْوَةٌ وُثْقَى لا تَقْبَلُ الانْفِصام .

ويُؤَكِّدُ هَذا ما كانَ يُرَدِّدُهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ مِنْ أَبْياتٍ شِعْرِيَّةٍ قَبْلَ سَفَرِهِ إِلَى العِراقِ حَسْبَ ما جاءَتْهُ فِي رُؤْيا مَنامِيَّةٍ ، وأَثْبَتَها صاحِبُ (الجَواهِرِ السَّنِيَّةِ)[1] ؛ ونَشْرُفُ ونَتَبَرَّكُ بِإِثْباتِها هُنا وهِيَ :

إِمامُ مُلُوكِ الْأَرْضِ شَرْقاً ومَغْرِباً
وأَفْضَلُهُمْ طَهَ الْحَبِيبُ الْمُطَيَّبُ

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مَعْ عُمَرٍ كَذا
وعُثْمانُ ذُو النُّورَيْنِ بِالْفَضْلِ قَدْ حُبُوا

وَمِنْ بَعْدِهِمْ زَيْنُ الْعَشائِرِ كُلِّهِمْ
عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُلَقَّبُ

وَمِنْ بَعْدِهِ الْحَسَنُ الْمُنِيرُ جَبِينُهُ
سُقِي مِنْ شَرابٍ بِالسُّمُومِ مُشَرَّبُ

وَمِنْ بَعْدِهِ حِبِّي الْحُسَيْنُ كَرِيمُهُ
شَرِيفٌ شَهِيدٌ ماتَ وَهْوَ مُطَيَّبُ

وَناحَتْ لَهُمْ كُلُّ الطُّيُورِ بِأَسْرِها
ووَحْشُ الْفَلا كُلٌّ يَنُوحُ ويَنْدِبُ

---

(١) الجَواهِرُ السَّنِيَّةُ والكَراماتُ الأَحْمَدِيَّةُ : عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ عَبْدِ اللهِ المِصْري .

وَجاءَتْ لَهُمْ طَيْرٌ تَنُوحُ لِحُزْنِهِمْ

وَهُمْ فِي الدِّما بَيْنَ الأَعادِي تَقَلَّبُوا

وَقاتِلُهُمْ فِي النَّارِ أَضْحَى مُعَذَّباً

بِقَتْلِهِمْ أَمْسَى شَقِيًّا يُعَذَّبُ

وَمِنْ بَعْدِهِمْ زَيْنُ الْقَبائِلِ كُلِّهِمْ

عَلِيٌّ ابْنُهُ فَهْوَ الشَّرِيفُ الْمُلَقَّبُ

وَمِنْ بَعْدِهِمْ قُطْبُ الْعُلُومِ مُحَمَّدٌ

وجَعْفَرٌ مُوسَىٰ مِنْ أُصُولٍ تَطَيَّبُوا

وَمِنْ بَعْدِهِمْ ذاكَ الرِّضاءُ عَلَيْهِمْ

بِطُوسٍ لَهُ قَبْرٌ كَرِيمٌ مُحَجَّبُ

وَمِنْ بَعْدِهِمْ زَيْنُ الْجَوادِ مُحَمَّدٌ

كَذا إِبْنُهُ الْهادِي عَلِيٌّ الْمُقَرَّبُ

وَأَمَّا عَلِيٌّ فَالْخَلِيفَةُ بَعْدَهُمْ

عَلَى سَائِرِ الأَقْطابِ وَهْوَ مُؤَدِّبُ

ذَكَرَ الشُّرَّاحُ أَنَّ الْمُرادَ بـ (عَلِيٍّ) هُنا : سَيِّدي عَلِيٌّ البَدْرِيُّ والِدُ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ ؛ وفِي البَيْتِ تَصْرِيحٌ بِمَكانَتِهِ الصُّوفِيَّةِ أَنَّهُ مَعْدُودٌ مِنْ

أَقْطابِ الوِلايَةِ وذَوِي الخِلافَةِ والتَّرْبِيَةِ لأَهْلِ السُّلُوكِ عَلَى نَهْجِ السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّة .

وأَمَّا والِدَةُ القُطْبِ البَدَوِي : فَهِيَ السَّيِّدَةُ فاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بن عَبْدِ اللّٰهِ بنِ مَدْيَنَ بنِ شُعَيْبٍ المُزَنِيَّة (مِنْ بَنِي مُزَيْنَةَ مِنْ مَدِينَةِ فاس مِنْ زُقاقِ الحَجَرِ بِالمَغْرِب)، وأُمُّها : أَسْماءُ بِنْتُ عُثْمانَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ المُزَنِيَّةِ وكانَ عَمُّها سُلْطانَ المَغْرِب .

وقَدْ رَأَتْ أُمُّهُ فِيما يَراهُ النَّائِمُ مَنْ يَقُولُ لَها :

أَبْشِري فَقَدْ وَلَدْتِ غُلاماً لَيْسَ كالغِلْمان .

مَوْلِدُهُ ونَشْأَتُه

وُلِدَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ سَنَةَ (٥٩٦ هـ) بِمَدِينَةِ (فاس) بالمَغْرِبِ بِمَحَلٍّ يُقالُ لَهُ زُقاقُ الحَجَرِ البَلاطِ ؛ وذَلِكَ بَعْدَ سُقُوطِ الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّةِ وتَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ الأَيُّوبِيَّةِ السُّنِّيَّةِ عَلَى يَدِ القائِدِ صَلاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِي سَنَة (٥٦٧ هـ) بِنَحْوِ ٢٩ سَنَة .

وفِي رُبُوعِ (فاس) دَرَجَ أُولَى خُطُواتِهِ ، وشَبَّ عَلَى طاعَةِ اللّٰهِ تَعالَى ومَرْضاتِهِ ؛ فَحَفِظَ القُرْآنَ الكَرِيمَ ، وشَرَعَ فِي عِلْمِ القِراءاتِ ، وأَخَذَ فِي التَّفَقُّهِ فِي الفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الإِمامِ مالِكٍ رضي الله عنه (بادِئَ ذِي بَدْءٍ)

وكانَ ذَلِكَ عَلَى عَيْنِ شَقِيقِهِ العارِفِ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي حَسَنِ الأَكْبَرِ وتَحْتَ إِشْرافِهِ .

فَكانَتْ نَشْأَةُ العارِفِ البَدَوِيِّ مُنْذُ مَهْدِها الأَوَّلِ نَشْأَةً شَرْعِيَّةً رَبَّانِيَّةً قِوامُها حِفْظُ كِتابِ اللهِ تَعالَى ، والفِقْهُ فِي الشَّرِيعَةِ ، والتَّرْبِيَةُ عَلَى مَبادِئِ الكِتابِ والسُّنَّةِ وأَخْلاقِ أَهْلِ البَيْتِ الأَطْهارِ ﷺ .

أُسْرَتُهُ وعَوْدَتُها مِنْ فاس إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَة

فِي مُسْتَهَلِّ القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ ؛ فِي سَنَةِ (٦٠٣ هـ) رَأَى الشَّرِيفُ عَلِيُّ البَدْرِيُّ والِدُ إِمامِنا البَدَوِيِّ فِيما يَراهُ النَّائِمُ مَنْ يَأْمُرُهُ بِالرَّحِيلِ إِلَى الحِجازِ ، قائِلاً لَهُ : يا عَلِيُّ ، ارْتَحِلْ مِنْ هَذا المَكانِ إِلَى مَكَّةَ فَإِنَّ لَنا فِي ذَلِكَ شَأْناً ونَبَأً ، لِتَرَى مِنْ آياتِنا عَجَباً !! فَأَصْبَحَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مُتَهَيِّئاً لِلسَّفَرِ ، وجَعَلَ يُنْشِدُ :

رَحَلْنا إِلَى أَرْضٍ يَفُوحُ شَذاؤُها
إِلَى عَرَبٍ ما لِي سِواهُنَّ مُدَّخَرُ
رَحَلْنا إِلَيْها نَسْتَظِلُّ بِظِلِّها
يَصِيرُ لَنا فِيها مَقامٌ ومَصْدَرُ

كانَتِ الأُسْرَةُ حِينَ عَوْدَتِها مِنْ فاس إِلَى الحِجازِ مُكَوَّنَةً مِنْ عَشَرَةِ

أَشْخاص : الوالِدُ والوالِدَةُ وأَوْلادُهُ الثَّمانِيَةُ ؛ سَيِّدي أَحْمَدُ وهُوَ آخِرُهُمْ وِلادَةً وأَكْبَرُهُمْ مَقاماً ، وأَخُوهُ الحَسَنُ وهُوَ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا (وكانَ عَلَى بَصِيرَةٍ ومَعْرِفَةٍ بِاللهِ تَعالَى وعِلْمٍ تامٍّ بِأَرْبابِ الأَحْوالِ وذَوي المَقاماتِ وما يَجْري بَيْنَهُمْ فِي عالَمِ الأَرْواحِ والأَشْباحِ كَما يُؤْخَذُ مِنْ بَيانِهِ لِسَيِّدي أَحْمَدَ حِينَما أَرادَ الرِّحْلَةَ إِلَى بِلادِ العِراقِ)، وأَخُوهُ مُحَمَّدٌ ، أَمَّا أَخَواتُهُ الخَمْسَةُ الإِناثُ فَهُنَّ فاطِمَةُ وزَيْنَبُ ورُقَيَّةُ وفِضَّةُ وأُمُّ كُلْثُوم .

وبَدَأَتِ الرِّحْلَةُ سَنَةَ (٦٠٣ هـ)، ولَمْ يَكُنْ هُناكَ ما يَدْعُو لِلعَجَلَةِ ، ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَخَذَتِ الأُسْرَةُ تَسِيرُ فِي راحَةٍ تامَّةٍ يُعَبِّرُ عَنْها الشَّرِيفُ حَسَنٌ ابنُ الأُسْرَةِ البِكْرُ بِقَوْلِهِ : دَخَلْنا مَكَّةَ فِي مُدَّةِ أَرْبَعِ سِنِينَ ، وكُنَّا نَرْحَلُ مِنْ عِنْدِ عَرَبٍ ونَنْزِلُ عِنْدَ عَرَبٍ ، وكانُوا يَتَلَقَّوْنا بِالتَّرْحِيبِ والإِجْلالِ والإِكْرامِ والإِعْظامِ ، فَلَمَّا دَخَلْنا مَكَّةَ ، تَلَقَّانا أَشْرافُ مَكَّةَ وأَكْرَمُونا ، ومَكَثْنا عِنْدَهُمْ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ .

ويُقالُ إِنَّهُمْ مَرُّوا فِي طَرِيقِهِمْ بِمِصْرَ وأَقامُوا فِيها نِصْفَ هَذِهِ المُدَّةِ .

وبِمُجَرَّدِ الاسْتِقْرارِ بِمَكَّةَ بَدَأَتِ الدِّراسَةُ المُنْتَظِمَةُ ؛ فَقَدْ أَجادَ حِفْظَ القُرْآنِ ، وأَجادَ فَنَّ التَّجْوِيدِ ، وأَتْقَنَ تَعَلُّمَ القِراءاتِ فَكانَ يَقْرَأُ القُرْآنَ بِالقِراءاتِ السَّبْعِ ، واشْتَغَلَ أَثْناءَ ذَلِكَ بِالفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الإِمامِ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه .

وأَخَذَتْ مَواهِبُ السَّيِّدِ تَتَفَتَّحُ فِي مَكَّةَ بِصُورَةٍ واضِحَةٍ ؛ فَلَقَدْ تَعَلَّمَ الفُرُوسِيَّةَ وأَتْقَنَها ، وأَخَذَ يُمارِسُها بِحَيْثُ كانَتْ فِي فَتْرَةٍ مِنْ فَتَراتِ حَياتِهِ هِوايَةً وشِعاراً ، وتَذْكُرُ السِّيَرُ الَّتِي كَتَبَتْ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي فُرْسانِ مَكَّةَ والمَدِينَةِ أَشْجَعَ مِنْهُ ولا أَفْرَسَ مِنْهُ حَتَّى لَقَدْ سَمَّاهُ أَهْلُ مَكَّةَ (مُحَرِّشَ الحَرْب)، وما كانُوا يَذْكُرُونَ لَهُ شَيْئاً مِنْ فُنُونِ الحَرْبِ وأَبْوابِهِ إِلَّا أَجابَهُمْ عَنْهُ ، ومارَسَهُ أَمامَهُمْ ، ولَقَدْ ذَكَرُوا لَهُ يَوْماً أَنَّ جَدَّهُ أَبا الحَسَنَيْنِ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ ﷺ كانَ الضَّارِبَ بالسَّيْفَيْنِ . يَقُولُ الإِمامُ نُورُ الدِّينِ الحَلَبِي : فاتَّفَقَ وُقُوعُ حَرْبٍ بِمَكَّةَ ، فَخَرَجَ وضَرَبَ بِسَيْفَيْنِ حَتَّى تَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ شَجاعَتِهِ .

وهَذِهِ الفُرُوسِيَّةُ هِيَ السَّبَبُ فِي عِدَّةِ أَلْقابٍ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ ، مِنْها : (مُحَرِّشُ الحَرْب) ، ومِنْها (العَطَّابُ) ، ومِنْها (أَبُو الفِتْيان) .

ويَمْكُثُ السَّيِّدُ فِي مَكَّةَ يُمارِسُ الفُرُوسِيَّةَ ، ويَتَعَلَّمُ العِلْمَ ، ويَخْتَلِطُ بِالنَّاسِ مُتَأَمِّلاً مُسْتَبْصِراً مُفَكِّراً فِي الحَياةِ والوُجُودِ وقَدْ كَمُلَتْ فِيهِ صِفاتُ الرَّجُلِ العالِمِ والمُؤْمِنِ القَوِيِّ إِلَى أَنْ كانَ عامُ ٦٢٧ هـ حَيْثُ تُوُفِّيَ والِدُهُ الشَّرِيفُ عَلِيٌّ ، ودُفِنَ بالقُرْبِ مِنْ بابِ المُعَلَّاةِ ، يَقُولُ الإِمامُ الشَّعْرانِي : وقَبْرُهُ هُناكَ ظاهِرٌ يُزارُ فِي زاوِيَةٍ .

ولَزِمَ السَّيِّدُ العِبادَةَ واخْتَلَى ؛ فَكانَ يَتَعَبَّدُ بِجَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ وفُتِحَ عَلَيْهِ فِيهِ ، وتَسَلَّكَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ بِرِّي أَحَدِ تَلامِذَةِ الشَّيْخِ أَبِي نُعَيْمٍ أَحَدِ أَصْحابِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرِّفاعِي ؛ فَكانَ البَدَوِيُّ مِنَ ابْتِدائِهِ صاحِبَ سُلُوكٍ ؛ فَقَدْ أَخَذَ البَيْعَةَ سابِقاً ولَبِسَ الخِرْقَةَ مِنَ الشَّيْخِ عَبْدِ الجَلِيلِ ابنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ النَّيْسابُورِي والَّذي يَنْتَهِي سَنَدُهُ بِلُبْسِ الخِرْقَةِ إِلَى سَيِّدِنا الحَسَنِ البَصْرِيِّ رضي الله عنه .

لَقَدِ اعْتَزَلَ النَّاسَ ، ولَزِمَ الصَّمْتَ وكانَ لا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالإشارَةِ ، وامْتَنَعَ عَنِ الزَّواجِ (لإشارَةٍ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ إِلَّا بِالحُورِ العِينِ)، وأَصْبَحَ فِي حالَةِ (وَلَهٍ دائِمٍ) .

أَمَّا هَذا (الوَلَهُ) فَيُفَسِّرُهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ حِجابٌ كَما يَلِي مُتَحَدِّثاً عَنِ السَّيِّدِ ومُجِيباً عَنْ حَقِيقَةِ (الوَجْدِ) بِقَوْلِهِ : الوَجْدُ أَنْ يُكْثِرَ ذِكْرَ الحَقِّ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فَيُقْذَفُ نُورٌ فِي القَلْبِ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعالَى ، فَيَقْشَعِرُّ مِنْهُ جِلْدُهُ ، فَيَشْتاقُ إِلَى المَحْبُوبِ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فَيَلْحَقُ المُرِيدَ الوَجْدُ ، ويَتَعَلَّقُ بِاللهِ قَلْبُهُ ، وعِنْدَما يَزِيدُ الوَجْدُ يَصِيرُ وَلَهاً ، وعِنْدَئِذٍ يَبْلُغُ المُرِيدُ الدَّرَجَةَ العُلْيا فِي التَّسامِي الرُّوحِي ، ويَقُولُ :

وعِنْدَما يَزِيدُ هَذا الوَجْدُ عَنْ حَدِّهِ يَنْتَقِلُ إِلَى دَرَجَةٍ فِي المَحَبَّةِ أَعْلَى

مِنْ مَرْتَبَةِ الوَجْدِ ، وهِيَ (الوَلَهُ)، والوَلَهُ : نَوْعٌ مِنَ المَحَبَّةِ يَنْسَى مَعَهُ العَبْدُ نَفْسَهُ ، ويُسْلَبُ عَنْهُ حِسُّهُ ، وفِي هَذِهِ المَرْتَبَةِ يَبْلُغُ المُرِيدُ أَعْلَى مَرْتَبَةٍ فِي التَّسامِي الرُّوحِي ، فَيُفِيضُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ كَمالاتِهِ وإِنْعاماتِهِ ما يَقْتَضِيهِ كَرَمُهُ ، ثُمَّ يَمُنُّ عَلَيْهِ بِمَقامِ التَّمْكِينِ ؛ وهُوَ مَقامُ البَقاءِ بَعْدَ الفَناءِ ، فَيَرُدُّهُ إِلَى نَفْسِهِ ، ويَصْحُو بَعْدَ مَحْوِهِ لِيُؤَدِّيَ رِسالَتَهُ الَّتِي اقْتَضاها ذَلِكَ الكَرَمُ .

ولَقَدْ كانَتْ هَذِهِ الحالَةُ سَبَباً فِي إِطْلاقِ عِدَّةِ أَلْقابٍ عَلَيْهِ ، مِنْها :

(القُدْسِيُّ) : وهُوَ لَقَبٌ اسْتَأْهَلَهُ بَدِوينا أَحْمَدُ حِينَ أَصْبَحَ مُنْصَرِفاً بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى قُدْسِ الجَبَرُوتِ مُسْتَدِيماً لِشُرُوقِ نُورِ الحَقِّ فِي سِرِّهِ ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ ابنِ سِينا عَنِ الصُّوفِيِّ .

و(الصَّامِتُ): ولَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِ فَتْرَةٌ ما كانَ يَتَكَلَّمُ فِيها إِلَّا بِالإِشارَةِ .

و(وَلِيُّ اللهِ): ولَقَدْ كانَ ﷺ مُؤْثِراً للهِ عَلَى كُلِّ ما عَداهُ ، مُتَحَقِّقاً بِتَقْواهُ ، وصَدَقَ فِيهِ قَوْلُهُ جَلَّ فِي عُلاهُ : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (1) .

---

(1) سُورَةُ يُونُس : الآيات ٦٢ – ٦٤ .

أَمَّا لَقَبُ (الزَّاهِدِ) : فَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ مُنْذُ صِغَرِهِ .

ومَهْما يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ بَدَوِينا السَّيِّدَ سارَ فِي الطَّرِيقِ الصُّوفِيِّ المَأْلُوفِ الطَّرِيقِ الَّذِي رَسَمَهُ السَّالِكُونَ إِلَى اللهِ مُنْذُ أَنْ كانَ السُّلُوكُ إِلَى اللهِ ؛ أَيْ مُنْذُ ابْتِداءِ الإِنْسانِيَّةِ .

لا بُدَّ مِنْ خَلْوَةٍ إِلَى الله ، لا بُدَّ مِنْ فَتْرَةِ الغارِ ، ولْنُسَمِّها فَتْرَةَ الاسْتِجْمامِ الرُّوحِي ، أَوْ فَتْرَةَ الصِّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ ، وهِيَ فَتْرَةٌ لا تَسْتَغْرِقُ مِنَ الإِنْسانِ عادَةً إِلَّا الوَقْتَ الضَّرُورِيَّ لِصَفاءِ النَّفْسِ ، صَفاءً لا تَنْحَدِرُ مَعَهُ إِلَى مَهاوِي الضَّلالِ ، حَتَّى إِذا تَمَّتْ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ الَّتِي يَقُولُ اللهُ عَنْها : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [1] ، عادَ السَّالِكُ إِلَى النَّاسِ أَباً مُرْشِداً وهادِياً ناصِحاً .

ولَقَدْ أَتَمَّ السَّيِّدُ البَدَوِيُّ الخُطُواتِ العادِيَّةَ فِي طَرِيقِ القَوْمِ : أَخَذَ العَهْدَ ، وأَتَمَّ الخَلْوَةَ ، وتَحَقَّقَ بِالاسْتِقامَةِ ، ثُمَّ كانَتِ الرُّؤَى : الآمِرَةَ والمُحَتِّمَةَ ، والمُوَجِّهَةَ ، والمُرْشِدَةَ .

رِحْلَتُهُ إِلَى العِراق
وجَمْعِيَّتُهُ بَرْزَخِيًّا عَلَى قُطْبَي المَعْرِفَةِ والأَذْواق

مِنْ مَعالِمِ الطَّرِيقِ إِلَى اللهِ تَعالَى عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ العارِفِينَ بِالله :

---

(١) سُورَةُ الشَّمْسِ : الآيَة ٩ .

الرِّحْلَةُ والسَّفَرُ والسِّياحَةُ فِي الأَرْضِ لِمُشاهَدَةِ تَجَلِّياتِ اللهِ فِي خَلْقِهِ ، وتَقْوِيَةِ المَعْرِفَةِ باللهِ ، ومُلاقاةِ الصَّفْوَةِ مِنْ أَهْلِ اللهِ .

والسَّفَرُ عِنْدَ الأَوْلياءِ نَوْعانِ : سَفَرٌ بالبَدَنِ (وهُوَ الانْتِقالُ مِنْ بُقْعَةٍ إِلَى بُقْعَةٍ) وهُوَ كَثِيرُ الوُجُودِ ، وسَفَرٌ بالقَلْبِ (وهُوَ الانْتِقالُ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ) وذَلِكَ قَلِيلُ الوُجُودِ ، ويُسَمَّى الأَوَّلُ سَفَرَ الأَرْضِ والثَّانِي سَفَرَ السَّماء [١] .

وأَهْلُ هَذا القِسْمِ الثَّانِي : هُمُ السَّائِحُونَ فِي عالَمِ جَلالِ اللهِ ، المُنْتَقِلُونَ مِنْ مَقامٍ إِلَى مَقامٍ ، ومِنْ دَرَجَةٍ إِلَى دَرَجَةٍ فَهُمُ الحاصِلُونَ عَلَى السِّياحَةِ فِي عالَمِ الرُّوحانِيَّاتِ ، وهُمُ الطَّبَقَةُ العُلْيا مِنْ أَهْلِ الصِّفَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اشْتَرَى اللهُ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوالَهُمْ ، وبَيَّنَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ [٢].

وكانَ سَيِّدُنا أَحْمَدُ البَدَوِيُّ مِنْ هَؤُلاءِ السَّائِحِينَ مُنْذُ صِباهُ الباكِرِ فَقَدِ ارْتَحَلَ مَعَ أُسْرَتِهِ المُبارَكَةِ مِنَ المَغْرِبِ إِلَى مَكَّةَ ، ثُمَّ كانَتْ رِحْلَتُهُ إِلَى العِراقِ بَعْدَ أَنِ اكْتَمَلَ سُلُوكُهُ وتَواصَلَ فَتْحُهُ ، وازْدادَ رُسُوخُهُ وتَمْكِينُهُ .

---

(١) جامِعُ الأُصُولِ فِي الأَوْلياءِ وأَنْواعِهِم : أَحْمَدُ ضِياءُ الدِّينِ النَّقْشَبَنْدِي .

(٢) سُورَةُ التَّوْبَة : مِنَ الآيَة ١١٢ .

فَقَدِ اسْتَيْقَظَ بَدَوِينا أَحْمَدُ ذاتَ يَوْمٍ يُعْلِنُ أَنَّهُ رَأَى فِيما يَراهُ النَّائِمُ مَنْ يَأْمُرُهُ بِالسَّفَرِ إِلَى العِراقِ ؛ وأَوْلِياءُ اللهِ لا يَتَصَرَّفُونَ بِأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّهُمْ وقَدْ أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ للهِ لا يَتَصَرَّفُونَ إِلَّا بِتَوْجِيهٍ مِنْهُ سُبْحانَهُ ، ولا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى ؛ وقَدْ يَكُونُ هَذا التَّوْجِيهُ أَوْ هَذا الإِذْنُ رُؤْيا يَراها الوَلِيُّ ، أَوْ يَكُونُ إِلْهاماً أَوْ يَكُونُ انْشِراحَ صَدْرٍ بِسَبَبِ الاسْتِخارَةِ يُجْرِيها الوَلِيُّ ، واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى يَقُولُ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [1] .

فالمَلائِكَةُ تَتَحَدَّثُ مَعَ أَوْلِياءِ اللهِ بِنَصِّ القُرْآنِ .

وحُجَّةُ الإِسْلامِ الغَزالِي يُبَيِّنُ ذَلِكَ عَنْ تَجْرِبَةٍ فَيَقُولُ :

(ومِنْ أَوَّلِ الطَّرِيقَةِ تَبْتَدِئُ المُكاشَفاتُ والمُشاهَداتُ حَتَّى إِنَّهُمْ فِي يَقَظَتِهِمْ يُشاهِدُونَ المَلائِكَةَ وأَرْواحَ الأَنْبِياءِ ، ويَسْمَعُونَ مِنْهُمْ أَصْواتاً ، ويَقْتَبِسُونَ فَوائِدَ) [2] .

---

(١) سُورَةُ فُصِّلَت : الآيات ٣٠ – ٣٢ .   (٢) المُنْقِذُ مِنَ الضَّلال .

والرُّؤيا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ .

أَعْلَنَ السَّيِّدُ الرُّؤْيا لأَخِيهِ الشَّرِيفِ حَسَن ، ورَأَى أَخُوهُ أَنْ يُرافِقَهُ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ المُبارَكَةِ .

وبَدَأَتِ الرِّحْلَةُ فِي العاشِرِ مِنَ المُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثِينَ وسِتِّمائَةٍ (٦٣٤ هـ) ، ويَسِيرُ الشَّرِيفُ حَسَنٌ فِي الرِّحْلَةِ مُشْفِقاً عَلَى أَخِيهِ ؛ أَمَّا سَبَبُ هَذا الإِشْفاقِ فَهُوَ ما تَحَدَّثَ بِهِ لأَخِيهِ عِنْدَما أَعْلَنَ لَهُ الرُّؤْيا ، لَقَدْ قالَ لَهُ : إِنِّي أَخافُ عَلَيْكَ يا أَخِي مِنْ بِلادِ العِراقِ فَإِنَّها بَرْزَخُ الأَوْلِياءِ وبِلادُ الصَّالِحِينَ .

ولَوْ كانَ السَّيِّدُ شَخْصاً عادِيًّا لَما أَشْفَقَ عَلَيْهِ الشَّرِيفُ حَسَنٌ ؛ فالسَّفَرُ إِلَى العِراقِ لِزِيارَةِ أَوْلِياءِ اللهِ فِيهِ والاقْتِباسِ مِنْ أَنْوارِهِمْ أَمْرٌ يُبارِكُهُ كُلُّ إِنْسانٍ دُونَ حُدُودٍ أَوْ قُيُودٍ .

ولَكِنَّ أَحْمَدَ يُسافِرُ إِلَى العِراقِ ، وقَدْ أَصْبَحَ لَهُ قَدَمٌ فِي الطَّرِيقِ ، فَما المُفاجَآتُ الَّتِي تَنْتَظِرُهُ ؟ وهَلْ سَتَطِيبُ لَهُ الإِقامَةُ فِي العِراقِ فَيَسْتَقِرُّ فِيها مُفارِقاً الأُسْرَةَ والأَهْلَ أَشَدَّ ما يَكُونُونَ حُبًّا لَهُ وعَطْفاً عَلَيْهِ ، وتَقْدِيراً لِخِلالِهِ الصَّالِحَةِ ؟ هَلْ سَيُقِيمُ ؟ هَلْ سَيَعُودُ ؟

أَمَّا السَّيِّدُ فَإِنَّهُ سارَ إِلَى العِراقِ رابِطَ الجَأْشِ ، ثابِتَ الجَنانِ ، لَقَدْ

أَصْبَحَ مَوْصُولَ الصِّلَةِ بِاللهِ ، أَسْلَمَ إِلَيْهِ قِيادَهُ ، وأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي رِحابِهِ ، وهَلْ يُضامُ مَنِ اتَّخَذَ اللهَ هادِياً ونَصِيراً ؟

لَقَدِ اتَّخَذَ اللهَ هادِياً واتَّخَذَ اللهَ نَصِيراً : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ .

ومِنْ هُنا كانَتِ الثِّقَةُ ، ومِنْ هُنا كانَتِ الطُّمَأْنِينَةُ ، وهُوَ ذاهِبٌ مُحِبٌّ لِهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَرْضَوا اللهَ ورَسُولَهُ ، ذاهِبٌ يَتَنَسَّمُ فِي جَوٍّ مِنْ عِطْرِهِمُ الرُّوحانِي ، ومِنْ رُوحانِيَّتِهِمْ العَطِرَةِ ، إِنَّهُ ذاهِبٌ ذِهابَ تَكْرِيم وإِكْبارٍ وتَقْدِيرٍ ، ومَوَدَّةٍ وحُبٍّ لِقَوْم جاهَدُوا نُفُوسَهُمْ حَتَّى زَكَتْ ، إِنَّهُ ذاهِبٌ فِي ضِيافَتِهِمْ مُلْتَمِساً المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ؛ إِنَّهُ الصَّدِيقُ المَشُوقُ .

وسارَتِ الرِّحْلَةُ رُخاءً ، وأَتاحَتْ للسَّيِّدِ جَوًّا مِنَ الذِّكْرِ والعِبادَةِ يَخْتَلِفُ عَنْ جَوِّ الإِقامَةِ ؛ إِنَّهُ جَوُّ التَّسْبِيحِ بِآلاءِ اللهِ المُخْتَلِفَةِ مِنْ مَكانٍ إِلَى مَكانٍ ، وجَوُّ العِبْرَةِ الَّتِي تَأْتِي عَنِ التَّأَمُّلِ فِي مَشاهِدَ جَدِيدَةٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ .

وانْتَهَى بِهِمُ المَطافُ إِلَى بَغْدادَ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ نَفْسِها ، وبَغْدادُ رَوْضَةٌ يانِعَةٌ بِما فِيها مِنْ أَرْواحٍ طاهِرَةٍ ؛ أَرْواحِ آلِ البَيْتِ رضي الله عنهم ، وأَرْواحِ أَوْلِياءِ اللهِ عَلَى اخْتِلافِ دَرَجاتِهِمْ .

إِنَّ فِيها ضَرِيحَ مَعْرُوفٍ الكَرْخِي ، وفِيها ضَرِيحَ الإِمامِ الأَعْظَمِ أَبِي

حَنِيفَةَ النُّعْمان ، وفِيها ضَرِيحَ القُطْبِ الأَكْبَرِ عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي ، وفِيها غَيْرَ هَؤُلاءِ كَثِيرُونَ مِمَّنْ أَحَبُّوا اللَّهَ ورَسُولَهُ ، وآثَرُوهُما عَلَى مَتاعِ الدُّنْيا وحُطامِها .

ولَقَدِ اسْتَقْبَلُوهُ فِي حَفاوَةٍ ، وكانَ المَظْهَرُ الجَمِيلُ هُوَ ما عَبَّرَ عَنْهُ الرَّمْزُ الرَّقِيقُ الجَمِيلُ مُمَثَّلاً فِي اسْتِقْبالِ قُطْبَي العِراقِ الكَبِيرَيْن : سَيِّدِي أَحْمَدَ الرِّفاعِي ، وسَيِّدِي عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي ، وهُما شَيْخاهُ سُلُوكاً ، وبِهِما وَصَلَ إِلَى مَقامِ : (ها أَنْتَ ورَبُّكَ) .

لَقَدْ رَآهُما السَّيِّدُ فِي الرُّؤْيا يُرَحِّبانِ بِهِ ويَقُولانِ :

يا أَحْمَدُ لَقَدْ جِئْناكَ بِمَفاتِيحِ العِراقِ ، واليَمَنِ والهِنْدِ والسِّنْدِ والرُّومِ ، والمَشْرِقُ والمَغْرِبُ بِأَيْدِينا ، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَيَّ مِفْتاحٍ شِئْتَ أَعْطَيْناكَهُ .

ويَرُدُّ عَلَيْهِما السَّيِّدُ فِي مُجامَلَةٍ رَقِيقَةٍ : أَنا مِنْكُما .

بَيْدَ أَنَّ هِمَّةَ بَدَوِينا أَحْمَدَ الطَّامِحَةُ مِنْ جانِبٍ ، وإِسْلامَهُ القِيادَ إِلَى رَبِّهِ مِنْ جانِبٍ آخَرَ ، جَعَلاهُ يَقُولُ بَعْدَ هَذِهِ المُجامَلَةِ الرَّقِيقَةِ : (ولَكِنْ أَنا ما آخُذُ المِفْتاحَ إِلَّا مِنْ يَدِ الفَتَّاح) .

كُلُّ هَذا فِي الرُّؤْيا ونَحْنُ نَعْتَبِرُهُ مِنْ أَجْمَلِ الرُّمُوزِ عَلَى الحَفاوَةِ الَّتِي

اسْتُقْبِلَ بها السَّيِّدُ فِي العِراق .

رَأَى السَّيِّدُ تعَلُّقَ النَّاسِ فِي بَغْدادَ بِأَوْلِياءِ اللهِ ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ كَما يَفْرَحُ الصَّالِحُونَ ، حِينَما يَرَوْنَ أَسْبابَ الهِدايَةِ مَوْفُورَةً .

ثُمَّ واصَلَ الأَخَوانِ الرِّحْلَةَ إِلَى أُمِّ عَبِيدَةَ حَيْثُ ضَرِيحُ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرِّفاعِي ، وحَيْثُ المَرْكَزُ الأَكْبَرُ للطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّةِ ، ويَبْدُو أَنَّهُما وَصَلا فِي أَيَّامِ احْتِفالٍ مِنَ الاحْتِفالاتِ الَّتِي تُقامُ للقُطْبِ الرِّفاعِي ، فَرَأَى السَّيِّدُ جَمْعاً مِنَ النَّاسِ هائِلاً ، ورَأَى خِياماً لا يَحُدُّها البَصَرُ ، لَقَدْ رَأَى وُدًّا وعِزًّا عَظِيماً ، وسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُمْ أَتْباعُ الرِّفاعِي .

ومَكَثَ الأَخَوانِ أَيَّاماً ثُمَّ عادا إِلَى بَغْداد .

ولَمَّا رَأَى الشَّرِيفُ حَسَنَ الاسْتِقْبالَ الكَرِيمَ الَّذِي اسْتُقْبِلَ بِهِ أَخُوهُ ، ولَمَّا رَأَى هَذِهِ الحَفاوَةَ اطْمَأَنَّ عَلَى السَّيِّدِ ، وعادَ إِلَى مَكَّةَ تارِكاً أَخاهُ يَنْعَمُ فَتْرَةً أُخْرَى فِي رِفْقَةِ الصَّالِحِينَ .

وأَخَذَ سَيِّدِي أَحْمَدُ يَجُولُ هُنا وهُناكَ سَعِيداً بِأَنْ يَتَنَسَّمَ الأَرِيجَ الذَّكِيَّ لأَوْلِياءِ اللهِ أَيْنَما سارَ ، ولَمْ يَنْسَ السَّفَرَ إِلَى ضَرِيحِ الوَلِيِّ الكَبِيرِ : عَدِيِّ بنِ مُسافِرٍ رضي الله عنه .

تَجْلِيَةُ السِّرِّ فِي قِصَّةِ فاطِمَةَ بِنْتِ بِرِّي

إنَّ فِي حَياةِ كُلِّ عَظِيم مِنَ العُظَماءِ قِصَصاً كَثِيرَةً ، وحَياةُ العُظَماءِ دائِماً خِصْبَةٌ ، مُتَعَدِّدَةُ الزَّوايا ، وهَذِهِ القِصَصُ فِي حَياةِ العُظَماءِ يُلَوِّنُها قَوْمٌ بِلَوْنِها الحَقِّ ، ويُلَوِّنُها الخُصُومُ بِأَلْوانٍ زائِفَةٍ .

ولْنَأْخُذْ فِي حَياةِ السَّيِّدِ البَدَوِي قِصَّةَ فاطِمَةَ بِنْتِ بِرِّي ؛ وهِيَ قِصَّةٌ لَها أَمْثالُها فِي التَّارِيخ :

إنَّ التَّارِيخَ يُحَدِّثُنا عَنْ مُحاوَلاتٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّالِحِينَ أَوْ مِنَ المُصْلِحِينَ لِهِدايَةِ بَعْضِ الفاتِناتِ المُنْحَرِفاتِ ؛ إنَّ التَّارِيخَ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَرْيَمَ المَجْدِلِيَّةِ الَّتِي اهْتَدَتْ عَلَى يَدِ المَسِيحِ عليه السلام ؛ وها نَحْنُ نَضَعُ تَحْتَ نَظَرِ القارِئِ قِصَّتَها ، ونُوَجِّهُ نَظَرَ القارِئِ إلَى الوَساوِسِ الَّتِي تَعَلَّقَتْ بِقَلْبِ سَمْعانَ وإلَى ما هَمَسَ بِهِ الآخَرُونَ عِنْدَما رَأَوا السَّيِّدَ المَسِيحَ عليه السلام يَتْرُكُ هَذِهِ المَرْأَةَ تَعْمَلُ ما تَشاءُ ، وعِنْدَما حَدَّثَها بِأَنَّ ذُنُوبَها قَدْ غَفَرَها اللهُ ، ولْيَنْظُرِ القارِئُ إلَى البَراءَةِ التَّامَّةِ الَّتِي تَبْدُو فِي حَدِيثِ السَّيِّدِ المَسِيحِ عليه السلام : وسَأَلَهُ واحِدٌ مِنَ الفَرِيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ فَدَخَلَ بَيْتَ الفَرِيسِيِّ واتَّكَأَ ، وإذا امْرَأَةٌ فِي المَدِينَةِ كانَتْ خاطِئَةً إذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الفَرِيسِيِّ جاءَتْ بِقارُورَةِ طِيبٍ ووَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرائِهِ باكِيَةً ، وابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ ، وكانَتْ تَمْسَحُهُما بِشَعْرِ

رَأْسِها وتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وتَدْهُنُهُما بِالطِّيبِ ، فَلَمَّا رَأى الفَرِيسِيُّ الَّذي دَعاهُ ذَلِكَ تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قائِلاً : لَوْ كانَ هَذا نَبِيًّا لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ المَرْأَةُ الَّتِي تَلْمَسُهُ وما هِيَ ، إِنَّها خاطِئَةٌ ، فَأَجابَ يَسُوعُ وقالَ لَهُ : يا سَمْعان ، عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ ، فَقالَ : قُلْ يا مُعَلِّم ، فَقالَ عليه السلام : كانَ لِمُدايِنٍ مَدْيُونانِ ؛ عَلَى واحِدٍ خَمْسُمِائَةِ دِينارٍ وعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ ، وإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُما ما يُوَفِّيانِ سامَحَهُما جَمِيعاً ، فَقُلْ : أَيُّهُما يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ ، فَأَجابَ سَمْعانُ وقالَ : أَظُنُّ الَّذِي سامَحَهُ بِالأَكْثَرِ ، فَقالَ لَهُ : بِالصَّوابِ حَكَمْتَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ عليه السلام إِلَى المَرْأَةِ وقالَ لِسَمْعان : أَتَنْظُرُ هَذِهِ المَرْأَةَ ؛ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ وماءً لأَجْلِ رِجْلَي لَمْ تُعْطِ ، وأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَي بِالدُّمُوعِ ، ومَسَحَتْهُما بِشَعْرِ رَأْسِها ، قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي ، وأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَي ، بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي ، وأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَي ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ قَدْ غُفِرَتْ خَطاياها الكَثِيرَةُ لأَنَّها أَحَبَّتْ كَثِيراً ، والَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً ، ثُمَّ قالَ لَها : مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطاياكِ ، فابْتَدَأَ المُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ : مَنْ هَذا الَّذِي يَغْفِرُ خَطايا أَيْضاً ؟ فَقالَ عليه السلام لِلمَرْأَةِ : إِيمانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ ، اذْهَبِي بِسَلام .

ويُحَدِّثُنا التَّارِيخُ فِي أُسْلُوبٍ شَيِّقٍ عَنْ (تايِيس)؛ أَقَرَأْتَ قِصَّةَ تايِيس ؟ إِنَّها انْتَهَتْ هِيَ الأُخْرَى إِلَى الصَّلاحِ واسْتَقامَتْ عَلَى الهِدايَة .

بَيْدَ أَنَّ الوَجْهَ الَّذِي تُمَثِّلُهُ فاطِمَةُ بِنْتُ بِرِّي يَخْتَلِفُ عَمَّنْ تَحَدَّثْنا عَنْهُما ، وهُوَ وَجْهٌ مَفْهُومٌ مِنَ النَّاحِيَةِ النَّفْسِيَّةِ ، وإِنْ كانَ لا يَتَكَرَّرُ كَثِيراً ؛ لَمْ تَكُنْ فاطِمَةُ بِنْتُ بِرِّي كَراقِصَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ الأُولَى (تايِيس)، ولا كَغَيْرِها مِنَ النِّساءِ ذَواتِ الماضِي المُنْحَرِفِ ، وإِنَّما كانَتْ عَفِيفَةً عِفَّةً تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ عِصْمَةً مِنَ اللهِ لَها .

ولَمْ تَكُنْ فاطِمَةُ فَقِيرَةً ، وإِنَّما كانَتْ ذاتَ ثَراءٍ عَرِيضٍ : ثَراءٌ كَفِيلٌ بِأَنْ يُلَبِّيَ كُلَّ ما تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ مِنْ تَرَفٍ وأُبَّهَةٍ ، وكانَتْ جَمِيلَةً ، كانَتْ مَثَلاً رائِعاً فِي الجَمالِ ، وكانَتْ تَثِقُ بِنَفْسِها بِحَيْثُ لا تَخْشَى أَنْ يَفْلِتَ مِنْها الزِّمامُ ؛ ولِهَذِهِ الثِّقَةِ كانَتْ تُقابِلُ الرِّجالَ ، وتَسْتَضِيفُهُمْ ، وتُكْرِمُهُمْ ، وتَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ ، وكانَتْ صاحِبَةَ كِبْرِياءٍ وأَنَفَةٍ .

وكانَتْ كَأَمْثالِها شَقِيَّةً بِكُلِّ ذَلِكَ ، لأَنَّها كَكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ نَوْعِها تُحِبُّ أَنْ تَسْكُنَ إِلَى رَجُلٍ وهِيَ لا تُحِبُّ أَنْ تَسْكُنَ إِلَى رَجُلٍ تافِهٍ ؛ فالرَّجُلُ التَّافِهُ يَكُونُ مِثْلُهُ بِجِوارِها كَمِثْلِ امْرَأَةٍ ضَعِيفَةٍ ، امْرَأَةٍ أَقَلَّ مِنْها فِي جَمِيعِ صِفاتِها .

كانَ فُؤَادُها يَهْفُو إِلَى أَنْ يَجِدَ شَخْصِيَّةً قَوِيَّةً ، طاغِيَةً ، آمِرَةً ، ناهِيَةً ، شَخْصِيَّةً تَجْعَلُها تَهْدَأُ وتَسْكُنُ وتَتْبَعُ و.... تُحِبُّ .

وبَلَغَتْ رَبِيعَ عُمُرِها ، واكْتَمَلَتْ أُنُوثَتُها ، هَلْ سَيَفُوتُها الرَّكْبُ ؟ إِنَّها تُرِيدُ رَجُلاً ... وتَسْتَقْبِلُ هَذا أَوْ ذاك ، ويَفْتَتِنُ بِها هَذا أَوْ ذاكَ ، ويَتَهافَتُ عَلَيْها هَذا أَوْ ذاكَ .

وتُوقِعُهُمْ فِي شِباكِها ولا تَقَعُ فِي حَبائِلِهِمْ ، وتَرَى فِيهِمْ كُلَّ يَوْمٍ وُجُوهاً مِنَ الضَّعْفِ والانْهِيارِ والذِّلَّةِ ، فَتَلْفَظُهُمْ آسِفَةً مُتَحَسِّرَةً عَلَى أَنْ لَمْ تَجِدْ فِيهِمُ الرَّجُلَ ...

ولَكِنْ أَمَلُها يَتَجَدَّدُ مَعَ مَشْرِقِ النُّورِ ، مَعَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، ويَأْتِيها كُلُّ يَوْمٍ بِأَمَلٍ جَدِيدٍ ، وخَيْبَةِ أَمَلٍ جَدِيدَةٍ أَيْضاً .

وأَصْبَحَتْ هِوايَتُها أَنْ تَجْعَلَ مِنْ أَشْباهِ الرِّجالِ عَبِيداً عِنْدَ قَدَمَيْها ، بِفِتْنَتِها وإِغْرائِها ، ثُمَّ تَرْكُلُهُمْ بِرِجْلِها دُونَ أَنْ يَنالُوا مِنْها شَرْوَى نَقِير .

إِنَّها تَسْلُبُ الرِّجالَ حالَهُمْ ، ما مَعْنَى ذَلِكَ ؟

لَقَدْ كانَ يَمُرُّ عَلَيْها (وهِيَ الكَرِيمَةُ المِضْيافَةُ) بَعْضُ مَنْ يَتَسَمَّوْنَ بِالصَّلاحِ والتَّقْوَى ، دُونَ أَنْ يَكُونَ الصَّلاحُ والتَّقْوَى قَدْ تَمَكَّنا مِنْ

قُلُوبِهِمْ ، فَتَلْتَقِي مَعَهُمْ وتَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ ؛ فَيَجِدُونَ ذَكاءً ، ولَباقَةً وجَمالاً ، وثَراءً عَرِيضاً ، ويَجِدُونَ إغراءً ، ويَجِدُونَ فِتْنَةً ، فَيَتَهافَتُونَ عَلَيْها ، وإِذا بِهِمْ يَقَعُونَ عَلَى صَخْرَةٍ مَنِيعَةٍ لا تُرامُ ، وإِذا بِهِمْ يَخْرُجُونَ مِنْ عِنْدِها فِي خِزْيٍ ومَذَلَّةٍ ، وفِي نَقْصٍ مِنَ الصَّلاحِ والتَّقْوَى ؛ لأَنَّ قُلُوبَهُمْ أَصْبَحَتْ مَرْتَعاً لِلهَواجِسِ والإِغْراءِ والفِتْنَةِ .

وأَصْبَحَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ وكَأَنَّ إِقْلِيمَها بِهِ شَيْطانٌ مارِدٌ هِوايَتُهُ الإِغْراءُ والإِغْواءُ ، وهِيَ مَعَ ذَلِكَ فِي نَفْسِها (مَعَ كُلِّ هَذا الطُّغْيانِ والكِبْرِياءِ) مِسْكِينَةٌ تَنْتَظِرُ الرَّجُلَ .

وجاءَها الرَّجُلُ ، جاءَها الآمِرُ ، النَّاهِي ، جاءَها : السَّيِّدُ .

جاءَها بَدَوِينا السَّيِّدُ فَمَلَكَ عَلَيْها جَمِيعَ أَقْطارِها : فَخَضَعَتْ ، ودانَتْ ، وذَلَّتْ ، وتَأَهَّلَتْ للاسْتِجابَةِ بِكُلِّ ما تَمْلِكُ مِنْ أَمَلٍ ومِنْ طاقَةٍ ، وعَرَضَتْ عَلَيْهِ الزَّواجَ ، وكانَتْ خُطَّةُ السَّيِّدِ الَّتِي ارْتَضاها لِنَفْسِهِ مُسْتَجِيباً لِقَدَرِهِ هِيَ أَنْ يَنْفَرِدَ لِلدَّعْوَةِ ؛ إِنَّهُ لا يُحَرِّمُ الزَّواجَ ولا يُنَفِّرُ مِنْهُ ، إِنَّهُ لا يُحَرِّمُ حَلالاً ، كَما لا يُحِلُّ حَراماً ، وهُوَ لا يَدْعُو إِلَى الرَّهْبانِيَّةِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ أَوْضَحَ ما تَتَمَثَّلُ فِي الامْتِناعِ عَنِ الزَّواجِ ، كَلا ، فالزَّواجُ شَرِيعَةُ الإِسْلامِ ، وسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ولَكِنَّهُ وَجَدَ أَنَّ العالَمَ الإِسْلامِيَّ فِي

حاجَةٍ إِلَى تَفَرُّغٍ تامٍّ ، وأَنَّ الدَّعْوَةَ تَسْتَغرِقُ عُمُرَهُ ، وأَعْماراً مَعَ عُمُرِهِ ، فَحَزَمَ أَمْرَهُ عَلَى التَّفَرُّغِ الكامِلِ للدَّعْوَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يَجِدِ القُوَّةَ الَّتِي كانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ عِنْدَ خِيارِ أَصْحابِهِ مِنْ رِجالِ الدَّعْوَةِ ﷺ والَّتِي مَكَّنَتْهُمْ مِنَ الزَّواجِ والدَّعْوَةِ مَعاً .

وحُبُّ الدَّعْوَةِ وإِرادَةُ النُّهُوضِ بِالعالَمِ الإِسْلامِيِّ صَرَفا الكَثِيرَ مِنْ رِجالِ الإِصْلاحِ عَنِ الزَّواجِ طِيلَةَ حَياتِهِمْ ، أَوْ جُزْءاً كَبِيراً مِنْ حَياتِهِمْ ، والأَمْثِلَةُ كَثِيرَةٌ عَلَى مَجْرَى التَّارِيخِ ؛ ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَجِدْ عَرْضُها (فِيما يَتَعَلَّقُ بِالزَّواجِ) فِي نَفْسِهِ قَبُولاً .

ولَكِنَّهُ (وقَدْ دانَتْ لَهُ وخَضَعَتْ لَهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ) أَخَذَ عَلَيْها العَهْدَ والمِيثاقَ أَلَّا تَتَعَرَّضَ لأَحَدٍ بِالفِتْنَةِ والإِغْراءِ ، وأَلَّا تَنْساقَ تَبَعاً لِهَواها ، وأَمَدَّها بِمَدَدٍ مِنَ اللَّهِ وطاقَةٍ تَمْلِكُ بِهِ حالَها ولا يَتَمَلَّكُها هَواها ، وبَيَّنَ لَها أَنَّها تَجِدُ فِي الالْتِجاءِ إِلَى اللَّهِ والاسْتِغاثَةِ بِهِ إِجابَةً لِكُلِّ ما تَطْلُبُ ، وأَنَّهُ سُبْحانَهُ إِذا تَضَرَّعَتْ إِلَيْهِ كَفِيلٌ أَنْ يُهَيِّئَ ما تَرْجُوهُ مِنْ رِضاً وطُمَأْنِينَةٍ وما تُؤَمِّلُهُ مِنَ السَّكَنِ إِلَى زَوْجٍ يُشارِكُها الحَياةَ ويَتَحَقَّقُ بَيْنَهُما ما عَبَّرَتْ عَنْهُ الآيَةُ القُرْآنِيَّةُ الكَرِيمَةُ مِنْ مَثَلٍ أَعْلَى لِلزَّوْجِيَّةِ ، وهِيَ : السَّكَنُ ، والمَوَدَّةُ ، والرَّحْمَةُ ؛ يَقُولُ سُبْحانَهُ وتَعالَى :

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [1] ، ثُمَّ دَعا لها وتَركَها وانْصَرَفَ .

هَذِهِ فِي حَقِيقَتِها قِصَّةُ أَبِي الفِتْيانِ قُطْبِ الرِّجالِ الشَّرِيفِ البَدَوِيِّ مَعَ رَبَّةِ الأَحْوالِ فاطِمَةَ بِنْتِ بِرِّي بِتَوْبَتِها عَنْ فِتْنَةِ سَلْبِ الرِّجالِ وإِبْقاءِ فُتُوحِها بِلا فِتْنَةٍ ولا طُغْيانِ حال ، لِيَبْقَى الطَّرِيقُ سالِماً مِنَ العَثَراتِ والأَوْحال ، ولِتُحْفَظَ للشَّرِيعَةِ آدابُها ولِيُسَجِّلَ التَّارِيخُ للإمام البَدَوِيِّ فُتُوَّتَهُ الصُّوفِيَّةَ السَّامِيَةَ المُتَعالِيَةَ عَلَى حُظُوظِ النَّفْسِ الدَّنِيَّةِ حَتَّى مَلَكَ نَفْسَهُ وبَلَغَتْ مَعِيَّةَ كُمَّلِ الرِّجال .

العَوْدَةُ إِلَى مَكَّة

وأَخِيراً عادَ السَّيِّدُ إِلَى الحِجازِ ، وفِي مَكَّةَ لَزِمَ السَّيِّدُ العِبادَةَ والخَلْوَةَ .

يَقُولُ الإمامُ نُورُ الدِّينِ الحَلَبِي صاحِبُ السِّيرَةِ الحَلَبِيَّةِ الشَّهِيرَة [2] :

(ثُمَّ تَوَجَّهَ سَيِّدِي أَحْمَدُ إِلَى مَكَّةَ ولَزِمَ الصِّيامَ والقِيامَ ، قالَ سَيِّدِي حَسَن : فَلَمَّا جاءَتْهُ المَواهِبُ الإِلَهِيَّةُ حَدَثَ عَلَيْهِ حادِثُ الجَذْبِ والوَلَهِ ، فَتَغَيَّرَتْ أَحْوالُهُ واعْتَزَلَ النَّاسَ ، ولازَمَ الصَّمْتَ ، فَكانَ لا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالإِشارَةِ ؛ فَلَمَّا حَصَلَتْ لَهُ الجَمْعِيَّةُ عَلَى الحَقِّ سُبْحانَهُ

---

(١) سُورَةُ الرُّوم : الآيَة ٢١ .

(٢) النَّصِيحَةُ العَلَوِيَّة .

وتَعالَى اسْتَغْرَقَتْهُ فَكانَ يَمْكُثُ الأَرْبَعِينَ يَوْماً فَأَكْثَرَ لا يَأْكُلُ ولا يَشْرَبُ ولا يَنامُ ، وكانَ فِي أَغْلَبِ أَحْوالِهِ شاخِصاً بِبَصَرِهِ إِلَى السَّماءِ ، وانْقَلَبَ سَوادُ عَيْنَيْهِ بِحُمْرَةٍ كالجَمْرِ) .

اسْتَغْرَقَ بَدَوِينا أَحْمَدُ فِي العِبادَةِ ، وكانَ مِنْ آنٍ لآخَرَ يَتَذَكَّرُ مَشاهِدَ العِراقِ ؛ فَيَرَى فِي وُضُوحِ الأَثَرَ الرُّوحِيَّ الكَبِيرَ الَّذِي تَرَكَهُ سَيِّدِي عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي ، وسَيِّدِي أَحْمَدُ الرِّفاعِي فِي المُؤْمِنِينَ ، مُمَثَّلاً فِي هَؤُلاءِ الَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ ؛ فَتابُوا بَعْدَ عِصْيانٍ ، وصَلَحَ حالُهُمْ بَعْدَ فَسادٍ ، وازْدادَ الصَّالِحُ مِنْهُمْ صَلاحاً ، والتَّقِيُّ مِنْهُمْ تَقْوَى ، ويَتَذَكَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ الأَثَرَ الشَّرِيفَ الَّذِي مَعْناهُ : (لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)، (ولأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيا وما فِيها)، ولَكِنْ لَمْ يُؤْمَرْ بَعْدُ بِمُغادَرَةِ مَكَّةَ .

لَقَدْ أُمِرَ مِنْ قَبْلُ بِالرِّحْلَةِ إِلَى العِراقِ ، وقَدْ نَفَّذَ الأَمْرَ ؛ ورَحَلَ إِلَى العِراقِ ، وأَكْرَمَهُ اللهُ فِيها حَيْثُما حَلَّ ، وهُوَ الآنَ مُسْتَغْرِقُ الطَّاقاتِ كُلِّها الَّتِي يَمْتَلِكُها فِي العِبادَةِ، وسَيَسْتَمِرُّ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الأَمْرُ ، لَقَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِسَيِّدِهِ ، أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِرَبِّ العِزَّةِ ، وأَمْرُهُ لَيْسَ بِيَدِهِ : فَلْيَنْتَظِرْ .

ولَمْ يَطُلِ انْتِظارُهُ فَقَدْ جاءَهُ الأَمْرُ بِالسَّفَرِ إِلَى مِصْر .

ونُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَي ذَلِكَ حَقائِقَ عَنْ سُمُوِّ خُطُواتِهِ فِي السَّيْر .

نَظْرَةٌ تَمْحِيصِيَّة .. تُرَسِّخُ هُوِيَّةَ البَدَوِيِّ السُّنِّيَّةَ الصُّوفِيَّة

• كانَ السَّيِّدُ البَدَوِيُّ إِماماً سُنِّيًّا شافِعِيَّ المَذْهَب .

• كانَ السَّيِّدُ البَدَوِيُّ إماماً فِي القِراءاتِ وكانَ هَجِيرُهُ لَيْلُهُ ونَهارُهُ القُرْآنَ العَظِيمَ : وتَوارَثَ عَنْهُ هَذا التَّعَلُّقَ بِالقُرْآنِ العَظِيم الَّذِينَ يَطْلُبُونَ العِلْمَ بِالجامِعِ الأَحْمَدِيِّ الَّذِي أَصْبَحَ مَرْكَزاً هامًّا لِعُلُومِ القِراءاتِ ، فَكانَ هَذا الغَرْسُ الكَرِيمُ مُقَدِّمَةً لِما حَدَثَ فِيما بَعْدُ مِنْ إِنْشاءِ (كُلِّيَّةِ القُرْآنِ) الوَحِيدَةِ والتَّابِعَةِ لِجامِعَةِ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ فِي مَدِينَةِ طَنْطا حَيْثُ ضَرِيحُ القُطْبِ البَدَوِيِّ ؛ لِتَكُونَ خَيْرَ مُكافَأَةٍ لِمَجْهُوداتِ السَّيِّدِ فِي هَذا المَجالِ الكَرِيم والَّتِي تَكَلَّلَتْ مِثْلُ جَمِيعِ أَعْمالِهِ بِالنَّجاحِ الباهِرِ لِيَسْتَمِرَّ بَلَدُهُ مَرْكَزَ إِشْعاعٍ لِلقِراءاتِ وعُلُومِها ؛ حَتَّى قِيلَ : (العِلْمُ أَزْهَرِيٌّ والقُرْآنُ أَحْمَدِيٌّ) وذاعَ وشاعَ مَثَلاً بَيْنَ طَلَبَةِ العِلْم .

• أَحْزابُ وأَوْرادُ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ تَعْرِفُ لِصَحابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْرَهُمْ وفَضْلَهُمْ : فَهُوَ رضي الله عنه يَفْتَتِحُ حِزْبَهُ الشَّهِيرَ بِقَوْلِهِ (بِسْمِ

اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم)، ويَخْتِمُهُ أَيْضاً بِالصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ والآلِ والصَّحابَةِ ، وفِي خِتامِ صَلاةِ الشَّجَرَةِ النُّورانِيَّةِ يَقُولُ : (وَصَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ عَدَدَ ما خَلَقْتَ ورَزَقْتَ وأَمَتَّ وأَحْيَيْتَ إِلَى يَوْمِ تَبْعَثُ مَنْ أَفْنَيْتَ وسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً والحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِين) .

ويَقُولُ فِي صَلاةِ نُورِ الأَنْوارِ : (اللهُمَّ صَلِّ عَلَى نُورِ الأَنْوارِ ، وسِرِّ الأَسْرارِ ، وتِرْياقِ الأَغْيارِ ، ومِفْتاحِ بابِ اليَسارِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المُخْتارِ وآلِهِ الأَطْهارِ وأَصْحابِهِ الأَخْيارِ عَدَدَ نِعَمِ اللهِ وإِفْضالِه) .

• أُطْلِقَ عَلَى الجامِعِ الأَحْمَدِيِّ الأَزْهَرَ الثَّانِي :

إِنَّ السَّيِّدَ ﷺ مُؤَسِّسُ أَكْبَرِ مَرْكَزٍ لِدِراسَةِ عُلُومِ أَهْلِ السُّنَّةِ بَعْدَ الأَزْهَرِ ؛ حَتَّى أُطْلِقَ عَلَى الجامِعِ الأَحْمَدِيِّ : الأَزْهَرَ الثَّانِي ، ولَمْ تَتَوَفَّرْ هَذِهِ المَكانَةُ لأَحَدٍ بَعْدَهُ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ حَتَّى الآنَ ، هَذا فَضْلاً عَنْ رِعايَةِ المُشْتَغِلِينَ بِالعِلْمِ والمُتَفَرِّغِينَ لَهُ .

هَذا الغَرْسُ الكَرِيمُ جَعَلَ مَدِينَةَ طَنْطا عاصِمَةً تَبُثُّ العُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ بَيْنَ القاصِدِينَ وبَيْنَ الطُّلَّابِ ؛ وكانَ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ لاهْتِمامِ المَسْؤُولِينَ بِها حِينَ أُنْشِئَتِ المَعاهِدُ الأَزْهَرِيَّةُ الَّتِي كانَ فِي مُقَدِّمَتِها

مَعْهَدُ طَنْطا الثَّانَوِيِّ بَعْدَ أَنْ وَضَعَ السَّيِّدُ البَدَوِيُّ اللَّبِنَةَ الأُولَى فِي هَذا المَجالِ ، وسَرَى صِدْقُ الحالِ فِي صُدُورِ الرِّجالِ عَلَى مَمَرِّ الأَجْيالِ .

• دَمْجُ كِبارِ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والتَّرْبِيَةِ الإِسْلامِيَّةِ أَوْرادَهُ فِي أَوْرادِهِمْ وأَحْزابِهِمْ : مِثْلَ أَئِمَّةِ السَّادَةِ الخَلْوَتِيَّةِ ؛ كَما قامَ بِشَرْحِ حِزْبِهِ كِبارُ العارِفِينَ مِثْلَ الإِمامِ الجَلِيلِ الفَقِيهِ المُفَسِّرِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الصَّاوِي وهُوَ مِنْ كِبارِ تَلامِذَةِ شَيْخِ عَصْرِهِ العارِفِ الشَّهِيرِ الإِمامِ الدَّرْدِيرِ الَّذِي وَصَفَهُ الجَبَرْتِي فِي تارِيخِهِ بِقَوْلِهِ : (كانَ شَيْخاً لِمِصْرَ كُلِّها) ، ولِغَزارَةِ عُلُومِهِ كانَ يُلَقَّبُ بـ (مالِكٍ الصَّغِيرِ) لانْفِرادِهِ بَيْنَ مُعاصِرِيهِ بِالمُؤَلَّفاتِ المُبَيِّنَةِ لِمَذْهَبِ عالِمِ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وإِمامِ دارِ الهِجْرَةِ سَيِّدِنا الإِمامِ مالِكٍ رضي الله عنه .

• إِنَّ سِلْسِلَةَ إِسْنادِ السَّيِّدِ البَدَوِيِّ رضي الله عنه مَشْهُورَةٌ فِي العالَمِ الإِسْلامِيِّ السُّنِّيِّ كُلِّهِ لا يَجْهَلُها أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ التَّرْبِيَةِ ، وجَمِيعُ أَفْرادِها مِنْ كِبارِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ ، وهُوَ إِسْنادٌ يَعْتَزُّ بِهِ السَّادَةُ الأَحْمَدِيَّةُ ويَحْفَظُونَهُ فِي كُتُبِ الفَهارِسِ والأَثْباتِ والمَشْيَخاتِ ؛ ومِنْ قَواعِدِ الطُّرُقِ التَّرْبَوِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ أَنَّ كُلَّ مَدْرَسَةٍ مِنْها دُونَ إِسْنادٍ لا يُعْتَدُّ بِها ؛ والسِّرُّ فِي ذَلِكَ مَنْعُ الوَضَّاعِينَ والكَذَّابِينَ والدُّخَلاءِ فِي سِلْسِلَةِ الطَّرِيقِ .

• جَمِيعُ الَّذِينَ يَحْتَفِلُونَ بِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَيُمَثِّلُونَ جَمِيعَ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ السُّنِّيَّةِ عَلَى تَعَدُّدِ مَشارِبِها وأَذْواقِها ، ويَلْتَزِمُونَ بالآدابِ الشَّرْعِيَّةِ فِي مُعامَلاتِهِمْ وسُلُوكِهِمْ واجْتِماعِهِمْ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعالَى ، ولَمْ يَحْضُرُوا لِذِكْراهُ إِلَّا حُبًّا فِي اللهِ تَعالَى وحُبًّا فِي رَسُولِ اللهِ ومَوَدَّةً فِي قَرابَتِهِ ﷺ .

نَعَمْ قَدْ يَحْضُرُ الكَثِيرُ المَوْلِدَ بُغْيَةَ التَّنَزُّهِ والتَّسْلِيَةِ ؛ وإِنْ كانَ أَكْثَرُهُمْ لا يَفْقَهُ قَدْرَ وجَلالَةَ المَزُورِ إِلَّا أَنَّهُمْ يُثابُونَ لِسابِقَةِ رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ بِهِمْ أَنْ يَسَّرَهُمْ لِلتَّعَرُّضِ لِنَفَحاتِ اللهِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ اللهِ ، وقَدْ يَحْضُرُ البَعْضُ المَوْلِدَ بُغْيَةَ الكَسْبِ مِنْ وَراءِ سِلْعَةٍ يَبِيعُها ، ولا ضَرَرَ فِي ذَلِكَ إِذا لَزِمَ الأَدَبَ الشَّرْعِيَّ ؛ فَفِي الحَجِّ أُبِيحَ ذَلِكَ بِشُرُوطِهِ قالَ تَعالَى : ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ (١) .

• الانْتِماءُ المَكانِيُّ والمَصِيرِيُّ جَذَبا السَّيِّدَ البَدَوِيَّ للدِّفاعِ عَنْ قَلْعَةِ الإِسْلامِ : قَلِيلٌ مِنَّا مَنْ يَعْرِفُ أَنَّ السَّيِّدَ البَدَوِيَّ مُنْذُ عامِ ٦٢٠ هـ أَصْبَحَ مِنَ الوِجْهَةِ المَكانِيَّةِ أَوِ الإِدارِيَّةِ أَيُّوبِيًّا مَكِّيًّا مِصْرِيًّا ، وفِي عامِ ٦٣٥ هـ أَصْبَحَ أَيُّوبِيًّا مِصْرِيًّا ، وبَيانُ ذَلِكَ :

---

(١) سُورَةُ الحَجِّ : مِنَ الآيَةِ ٢٨ .

أَنَّ الصَّلِيبِيِّينَ قَدِ اتَّجَهُوا إِلَى تَعْطِيلِ فَرِيضَةِ الحَجِّ وكانَ صاحِبُ هَذِهِ الفِكْرَةِ البرِنْسُ أَرْناطُ أَمِيرُ الكَرْكِ (جَنُوبِ الأَرْدُنِ) وكانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَتِهِمْ ، وبَدَأَ يُمارِسُ هِوايَتَهُ الجَدِيدَةَ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ صَلاحُ الدِّينِ الأَيُّوبي ؛ لِذا اتَّجَهَتِ الأَساطِيلُ الصَّلِيبِيَّةُ إِلَى رابغَ للاسْتِيلاءِ عَلَيْها (ورابِغُ مِيقاتُ القادِمِينَ لِلحَجِّ مِنْ شِمالِ الحِجازِ) فَقامَتِ الأَساطِيلُ المِصْرِيَّةُ بِتَحْطِيمِ الأَساطِيلِ الصَّلِيبِيَّةِ المُهاجِمَةِ لَها ، فَرَأَى السُّلْطانُ المَلِكُ الكامِلُ مُحَمَّدُ ابنُ العادِلِ الأَيُّوبِيُّ أَنْ يُؤَمِّنَ مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ سَنَةَ ٦٢٠ هـ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْها ابْنَهُ المَلِكَ المَسْعُودَ لِضَمِّها إِلَى المَمْلَكَةِ الأَيُّوبِيَّةِ وتَمَّ لَهُ ذَلِكَ ، ووَجَدَ كُلَّ تَرْحِيبٍ مِنْ أَشْرافِها ومِنْ بَيْنِهِمْ أُسْرَةُ السَّيِّدِ البَدَوِيِّ ، وخُطِبَ للسُّلْطانِ الكامِلِ مُحَمَّدٍ عَلَى مَنابِرِ مَكَّةَ واليَمَنِ والحِجازِ والشَّامِ والجَزِيرَةِ والنُّوبَةِ والقِسْمِ الشَّرْقِيِّ فِي لِيبْيا .

ولَمْ تَكُنِ الأَحْداثُ لِتَمُرَّ بِالسَّيِّدِ البَدَوِيِّ بِبَساطَةٍ وهُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الخَبِيرُ اليَقِظُ الَّذي يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ قَلْعَةٌ مِنْ قِلاعِ الإِسْلامِ فَلا يُؤْتَيَنَّ الدِّينُ مِنْ قِبَلِهِ ؛ لَقَدْ وَجَدَ (السَّيِّدُ) الأَخْطارَ مُحْدِقَةً بِقَلْبِ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ (الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْها) مِنْ كُلِّ مَكانٍ : التَّتارُ مِنْ آسِيا،

والصَّليبيُّونَ مِنَ البَحْرِ المُتَوسِّطِ يُهَدِّدُونَ سَواحِلَ مِصْرَ والشَّام ، بَلْ ها هُمْ يُهاجِمُونَ سَواحِلَ الحِجازِ لَوْلا يَقَظَةُ الأَساطِيلِ المِصْرِيَّةِ ، وكانَ السَّيِّدُ قائِداً مُحَنَّكاً تَشِعُّ رُوحُهُ نُوراً وصَفاءً لا يَتَحَرَّكُ حَرَكَةً إلَّا للهِ تَعالَى يُسانِدُهُ تاريخٌ طَويلٌ مُشْرِقٌ لأُسْرَةٍ زانَها الاعْتِزازُ باللهِ تَعالَى وزادَها مَجْداً وشَرَفاً ، وكانَ يُراقِبُ كُلَّ ما يَدُورُ فِي العالَمِ الإِسْلامِيِّ عَنْ كَثَبٍ ، ويُدْرِكُ ما يُواجِهُهُ مِنْ أَهْوالٍ قَدْ أَحاطَتْ بِهِ إحاطَةَ السِّوارِ بالمِعْصَم .

والسَّيِّدُ البَدَوِيُّ شَأْنُهُ شَأْنُ أَهْلِ الحَقِّ العارِفِينَ باللهِ لَمْ ولَنْ يَنْفَصِلَ عَنْ عالَمِهِ الإِسْلامِيِّ ؛ فَهُوَ يُجاهِدُ بالقالِ والحالِ وبِتَرْبِيَةِ الرِّجالِ وحَثِّهِمْ عَلَى القِتالِ دِفاعاً عَنِ الأَوْطانِ .

أَما وقَدِ اخْتارَتْ لَهُ المَشيئَةُ الأَزَلِيَّةُ مِصْرَ لِتَكُونَ مَقَرًّا لِدَعْوَتِهِ التَّرْبَوِيَّةِ والتَّنْمَوِيَّةِ فِي زَمانِهِ وفِي الأَزْمِنَةِ التَّالِيَةِ مَعَ سابِقِيهِ ولاحِقِيهِ مِنْ أَصْحابِ المَدارِسِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي شاءَ اللهُ لَها أَنْ تَكُونَ عِزَّةُ المُسْلِمِينَ وتَمْكِينُهُمْ وسِيادَتُهُمْ مُقْتَرِنَةً بِظُهُورِها وبَسْطِ نُفُوذِها وقُوَّةِ تَأْثِيرِها .

وإِنْ كانَ لَمْ يُقَدَّرْ للسَّيِّدِ البَدَوِيِّ أَنْ يَشْهَدَ مَأْساةَ سُقُوطِ الخِلافَةِ العَبَّاسِيَّةِ سَنَةَ ٦٥٦ هـ وما صَحِبَها مِنْ أَهْوال ، لَكِنَّهُ شَهِدَ فِي مِصْرَ

إعادَةَ قِيامِها ورَفْعَ رايَتِها سَنَةَ ٦٥٩ هـ التِّي أَعْلَنَها السُّلْطانُ المَلِكُ الظَّاهِرُ بِيبَرْس ، والتِّي اسْتَمَرَّتْ إلى أَنْ فَتَحَ السُّلْطانُ سَلِيمٌ العُثْمانِيُّ مِصْرَ سَنَةَ ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) وأَعْلَنَ نَفْسَهُ خَلِيفَةً عَلَى العالَمِ الإِسْلامِيِّ الَّذِي يَحْكُمُهُ .

• كَما أَشَرْنا سابِقاً إلَى أَنَّ اسْتِقْرارَ السَّيِّدِ البَدَوِيِّ فِي مِصْرَ كانَ بَعْدَ تَثْبِيتِ قَواعِدِ الحُكْمِ السُّنِّيِّ فِيها ؛ وذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَعْلَنَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيُّ سَنَةَ ٥٦٧ هـ إقامَةَ الحُكْمِ السُّنِّيِّ فِي مِصْرَ التَّابِعِ لِلخِلافَةِ العَبَّاسِيَّة ؛ بَعْدَ ٦٨ عاماً مِنْ زَوالِ الدَّوْلَةِ الفاطِمِيَّة .

بِشاراتُ النَّصْر .. ورِحْلَتُهُ إلَى مِصْر

عَلَى طَرِيقِ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذِينَ غَلَبَتْ عَلَى أَسْرارِهِمْ أَنْوارُ رَبِّ العالَمِينَ ، فَغابُوا عَنْ مَشْهَدِهِمْ فِي شُهُودِهِ ، واسْتَغْرَقَتْهُمُ الأَنْوارُ فَلَمْ يَعُدْ لَهُمْ حَظٌّ مَعَ الأَغْيارِ : كانَ المَسارُ لِقُطْبِ الرِّجالِ وداعِيَةِ الحَضْرَةِ الإمامِ البَدَوِيِّ بِعَوْنٍ وتَوْجِيهٍ مِنَ المَلِكِ الرَّحْمٰنِ ؛ إنَّهُ الباذِلُ رُوحَهُ فِي سَبِيلِ الحَقِّ تَعالَى شَأْنُهُ ، الواقِفُ حَياتَهُ بِالحَقِّ ولِلحَقِّ فِي الدَّعْوَةِ الإِصْلاحِيَّةِ فِي الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، فَكانَتْ رَحَلاتُهُ كُلُّها فِي طَرِيقِ اللهِ وعَلَى مَنْهَجِ الرَّبَّانِيَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، ما بَيْنَ ارْتِحالٍ لِلاسْتِعْدادِ والتَّأْهِيلِ فِي مَكَّةَ

وبَيْنَ تَوَجُّهٍ للاسْتِمْدادِ مِنْ شَجَرَةِ أَهْلِ البَيْتِ فِي العِراقِ وجَمْعِيَّةٍ عَلَى قُطْبَي الطَّرِيقِ تَوْطِئَةً لِتَقَلُّدِهِ مَنْصِبَ التَّصْرِيفِ والفُتُوَّةِ والتَّحْقِيقِ ، ثُمَّ العَوْدَةِ إِلَى مَكَّةَ للتَّزَوُّدِ مِنْ أَسْرارِ البَيْتِ العَتِيقِ ، وهَذا ما جَلَّاهُ اللَّهُ لِسَيِّدِي حَسَنٍ الأَخِ الشَّقِيقِ ؛ بِأَنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيَّ قَدْ بَلَغَ القِمَّةَ فِي الوِلايَةِ وتَحَقَّقَتْ لَهُ الأَحْوالُ والمَقاماتُ وجاوَزَ مَرْحَلَةَ التَّأَهُّلِ إِلَى مَرْحَلَةِ التَّأْهِيلِ ، وهَذا بِلا شَكٍّ يُؤْذِنُ بالرَّحِيلِ ؛ لأَنَّ رِسالَةَ الوَلِيِّ هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ تَعالَى عَلَى بَصِيرَةٍ ، لأَنَّهُ أَصْبَحَ فِي خُصُوصِيَّةِ دائِرَةِ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] ، والمُوَرِّثُ المُصْطَفَى نَبِينا ﷺ هاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ .

ولَقَدْ كانَ ارْتِحالُ الإِمامِ البَدَوِيِّ مِنْ (مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ) حَماها اللَّهُ إِلَى (طَنْطا بِمِصْرَ المَحْرُوسَةِ) حَفِظَها اللَّهُ بِناءً عَلَى تَوْجِيهٍ رَبَّانِيٍّ تَلَقَّاهُ فِي رُؤْيا مَنامِيَّةٍ ؛ مِنْ تِلْكَ الرُّؤَى الَّتِي أَخْبَرَ نَبِيُّنا ﷺ بِأَنَّها جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ .

وقَدْ كُوشِفَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ فِي تِلْكَ الرُّؤْيا بِسَبَبِ رِحْلَتِهِ ومَقْصِدِها ؛

---

(١) سُورَةُ يُوسُف : الآيَة ١٠٨ .

هُوَ تَرْبِيَتُهُ لِلرِّجالِ فِي طَرِيقِ اللهِ تَعالَى ؛ بَلْ وقَدْ عُيِّنَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الرُّؤْيا أَسْماءُ تَلامِيذِهِ ومُرِيدِيهِ الَّذينَ سَيَقُومُ بِتَرْبِيَتِهِمْ ويَصِيرُونَ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِهِ ؛ يَقُولُ العارِفُ البَدَوِيُّ : (... فَلَمَّا كانَتْ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيالِي إِذْ بِهاتِفٍ يَقُولُ لِي فِي المَنامِ : اسْتَيْقِظْ مِنْ مَنامِكَ يا نائِم وسِحْ فِي مَحَبَّةِ المَلِكِ الدَّائِمِ ، وسِرْ إِلَى طَنْدَتا ، فَإِنَّكَ تُقِيمُ بِها وتُعْطِي ، وتُرَبِّي بِها رِجالاً يَجِيءُ مِنْهُمْ رِجالٌ وأَيُّ رِجالٍ ، وكُلُّهُمْ لِطَرِيقِ الحَقِّ أَصْحابُ رَأْسِ مالٍ) [(١)] .

قالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ أَخِي الحَسَنَ بِما رَأَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، فَقالَ لِي : يا أَحْمَدُ : أَمْسِكْ نَفْسَكَ ، واكْتُمْ سِرَّكَ حَتَّى يَكْمُلَ وَعْدُكَ ، ويَحِلَّ أَوانُكَ ؛ حَتَّى يُعاوِدَكَ الهاتِفُ ثانِياً وثالِثاً .

قالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ : فَكَتَمْتُ سِرِّي ، ثُمَّ قالَ : وإِذا بِالهاتِفِ عاوَدَنِي فِي المَنامِ وقالَ : يا أَحْمَدُ ... مِثْلَما قالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ عاوَدَنِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وقالَ : (قُمْ يا هُمامُ وسِرْ إِلَى طَنْدَتا ولا تَشُكَّ فِي المَنامِ) ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ أَخِي حَسَناً بِما رَأَيْتُ .

قالَ لِي أَخِي : قَدِ انْتَهَى الوَعْدُ ، فَسِرْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، ولا تَخَفْ فَقَدْ

---

(١) الجَواهِرُ السَّنِيَّة : الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الصَّمَدِ الأَحْمَدِي .



صُرِفَتْ إِلَيْكَ الوِلايَةُ ، وبَلَغْتَ النِّهايَةَ !! سِرْ يا أَحْمَدُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى البِلادِ الَّتِي وَعَدَكَ اللهُ بِها ، وأَنْتَ فِي حِفْظِ اللهِ تَعالَى ، ثُمَّ تَوادَعْنا ؛ وكانَتْ لَيْلَةَ الإِثْنَيْنِ والعِشْرِينَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وثَلاثِينَ وسِتِّمائَةٍ .

ثُمَّ سارَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ إِلَى طَنْدَتا فَوَصَلَ إِلَيْها فِي أَرْبَعٍ وعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ وسِتِّمائَةٍ عَلَى الأَرْجَحِ لِقَوْلِ سَيِّدِي عَبْدِ المُتَعالِ خَلِيفَتِهِ الأَوَّلِ : (خَدَمْتُ الشَّيْخَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَما رَأَيْتُهُ غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ الله) ؛ فَيَكُونُ دُخُولُهُ طَنْطا سَنَةَ ٦٣٥ هـ ، لأَنَّهُ تُوفِّيَ سَنَةَ ٦٧٥ هـ ، وما بَيْنَهُما هُوَ أَرْبَعُونَ سَنَةً كَما يَقُولُ سَيِّدِي عَبْدُ المُتَعالِ[1] .

إِقامَةُ الإِمامِ البَدَوِيِّ بِدارِ رَكِينِ الدِّينِ واتِّخاذُها مَرْكَزاً لِطَرِيقَتِهِ :

لَقَدْ هَيَّأَتِ العِنايَةُ الإِلَهِيَّةُ لِلشَّرِيفِ النَّبَوِي القُطْبِ البَدَوِي مَقامَهُ بِطَنْدَتا (طَنْطا)، كَما هَيَّأَتِ القُلُوبَ والأَرْواحَ لِتَتَلَقَّى دَعْوَتَهُ الرَّبَّانِيَّةَ المُحَمَّدِيَّةَ الصُّوفِيَّةَ بِمَحَبَّةٍ فِطْرِيَّةٍ ؛ حَيْثُ سَبَقَ تَبْشِيرُ الأَوْلِياءِ بِهِ ومِنْهُمْ سَيِّدِي سالِمٌ المَغْرِبِي الَّذِي اسْتَدْعَى أَحَدَ الصَّالِحِينَ المُؤَهَّلِينَ لِلتَّبَعِيَّةِ

---

(١) العِظَةُ والاعْتِبار : الشَّيْخُ أَحْمَدُ حِجاب .

الرُّوحِيَّةِ لِلقُطْبِ البَدَوِيِّ : وهُوَ الشَّيْخُ (رُكْنُ الدِّينِ) الَّذِي كانَ يُسَمَّى أَيْضاً بِالشَّيْخِ (رَكِينٍ) وبَشَّرَهُ بِمَقْدِمِ أَبِي الفِتْيانِ البَدَوِيِّ وبِنُزُولِهِ فِي بَيْتِهِ ، ويا لَهُ مِنْ شَرَفٍ وإِسْعادٍ !! وكانَ الشَّيْخُ رَكِينٌ مِنْ أَعْيانِ طَنْدَتا ومِنْ تُجَّارِها المَرْمُوقِينَ ، فَكانَ لَهُ مَتْجَرٌ بِسُوقِ النَّاحِيَةِ يَتَّجِرُ بِهِ فِي العَسَلِ والزَّيْتِ والعَلَفِ وغَيْرِهِ ، وكانَ لِدُكَّانِهِ بابانِ : أَحَدُهُما لِلمَتْجَرِ ، والآخَرُ يَتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي كانَ يُجاوِرُ مَسْجِدَ (البُوصَةِ) الَّذِي يُعْرَفُ الآنَ بِمَسْجِدِ (البَهِيِّ) بِطَنْطا ، فَكانَتْ مُجاوَرَةُ بَيْتِ الشَّيْخِ رَكِينٍ لِلمَسْجِدِ مِنْ أَهَمِّ مُرَشِّحاتِهِ لِلإِقامَةِ ، كَما كانَتْ دارُ الشَّيْخِ رَكِينٍ واسِعَةً فَسِيحَةً مَتِينَةً ومُرِيحَةً مِمَّا جَعَلَ إِمامَنا البَدَوِيَّ يَتَّخِذُ مِنْ سَطْحِها مَقَرًّا ومَرْكَزاً لِدَعْوَتِهِ الصُّوفِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي شَعَّ نُورُها ورَسُخَ أَثَرُها فِي أَرْجاءِ العالَمِ الإِسْلامِي .

إِكْسِيرُ الطَّرِيق

نَهْجٌ وتَحْقِيق

تَواتَرَ عَنِ السَّيِّدِ البَدَوِيِّ أَنَّهُ قالَ :

(إِنَّ الفُقَراءَ كالزَّيْتُونِ ، وفِيهِمُ الصَّغِيرُ والكَبِيرُ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَيْتٌ فَأَنا زَيْتُهُ ، أُساعِدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وقَضاءِ حَوائِجِهِ ؛ لا بِحَوْلِي وقُوَّتِي

وَلَكِنْ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ)[1] .

(فُقَرائِي كالزَّيْتُون : الكَبِيرَةُ فِيها زَيْتٌ ، والصَّغِيرَةُ فِيها زَيْتٌ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ زَيْتٌ فَأَنا زَيْتُهُ)[2] .

(إِنَّ فُقَرائِي كالزَّيْتُونِ فِيهِمُ الكَبِيرُ والصَّغِيرُ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ زَيْتٌ فَأَنا زَيْتُهُ ؛ يَعْنِي مَنْ كانَ صادِقاً فِي فَقْرِهِ ، صافِياً كالزَّيْتِ الصَّافِي ، عامِلاً بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، فَأَنا مُساعِدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، وقَضاءِ حَوائِجِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ ، لا بِحَوْلِي وقُوَّتِي بَلْ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ)[3] .

(إِنَّهُمُ الفُقَراءُ كَأَشْجارِ الزَّيْتُونِ بَعْضُها ضَعِيفٌ وبَعْضُها كَبِيرٌ ؛ فَمَنْ لا زَيْتَ لَهُ فَأَنا زَيْتُهُ)[4] .

ولا يَغِيبُ عَنِ اللُّبِّ أَنَّ السَّيِّدَ البَدَوِيَّ كانَ وما زالَ نَبْعاً مِنْ يَنابِيعِ الحُبِّ ؛ وهَذا شَأْنُ القُطْبِ (والقُطْبُ الَّذِي قَلْبُهُ عَلَى قَلْبِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ وارِثُ العِلْمِ اللَّدُنِّيِّ مِنَ الحَبِيبِ الأَعْظَمِ ﷺ بَيْنَ النَّاس) ؛ وكَما قِيلَ : لَوْلا المَحَبَّةُ ما نَبَتَتْ عَلَى الأَرْضِ حَبَّةٌ .

---

(١) العِظَةُ والاعْتِبار : أَحْمَد مُحَمَّد حِجاب .

(٢) شَرْحُ حِزْبِ القُطْبِ النَّبَوِي : مُحَمَّد القاوُقْجِي .

(٣) السَّيِّدُ البَدَوِيُّ : إِبْراهِيم أَحْمَد نُورُ الدِّين .

(٤) دائِرَةُ المَعارِف الإِسْلامِيَّة .

وكَيْفَ لا ؟ وقَدْ جَعَلَ الحَبِيبُ الأعْظَم ﷺ الحُبَّ شَرْطاً للإيمانِ : (ولَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحابُّوا) .

وخَلَّفَ القُطْبُ البَدَوِيُّ كَتِيبَةً مِنَ النُّوَّابِ والأَحْبابِ الَّذِينَ جابُوا الأَقْطارَ والبِلادَ ، فَجَذَبَ اللهُ إلَيْهِمْ قُلُوبَ الكَثِيرِ مِنَ العِبادِ ، فَتَحَقَّقُوا بِرُوحِ المَحَبَّةِ والوِدادِ ، والسَّعادَةِ والإسْعادِ ، وعَلَى التَّحْقِيقِ فَإنَّ رُتْبَةَ المَحْبُوبِيَّةِ (وهِيَ ثَمَرَةُ المَحَبَّةِ) مِنْحَةٌ وَهْبِيَّةٌ ؛ فَقَدِ اطَّلَعَ اللهُ تَعالَى عَلَى قُلُوبِ عِبادِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَصْلُحُ لِحَمْلِ المَعْرِفَةِ صِرْفاً فَأَشْغَلَهُمْ بِالعِبادَةِ ، وإنَّ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ لَشَراباً لِقُلُوبِ أَهْلِ المَعْرِفَةِ ، فَإذا شَرِبُوا طارَتْ قُلُوبُهُمْ فِي المَلَكُوتِ حُبًّا للهِ وشَوْقاً إلَيْهِ ، فَبِذَلِكَ يَقْطَعُونَ لَيالِيَهُمْ إذا أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمْ ، ألا وإنَّ النَّاظِرِينَ إلَيْهِ لا إلَى غَيْرِهِ ذَهَبُوا بِصَفْوِ الدُّنْيا والآخِرَةِ :

غَرَسْتُ الْحُبَّ غَرْساً فِي فُؤادِي ۞ فَلا أَسْلُو إلَى يَوْمِ التَّنادِ

جَرَحْتُ الْقَلْبَ مِنِّي بِاتِّصالِي ۞ فَشَوْقِي زايِدٌ والْحُبُّ بادِي

سَقانِي شَرْبَةً أَحْيا فُؤادِي ۞ بِكَأْسِ الْحُبِّ مِنْ بَحْرِ الْوِدادِ

فَلَوْلا اللهُ يَحْفَظُ عارِفِيهِ ۞ لَهامَ الْعارِفُونَ بِكُلِّ وادِي

ومِنْ فَوْقِ السَّطْحِ فِي طَنْطا أَخَذَ أَبُو الفِتْيانِ يُمِدُّ بِزَيْتِهِ المُرِيدِينَ الَّذِينَ كانُوا يَزْدادُونَ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ .

ومِنْ فَوْقِ السَّطْحِ فِي طَنْطا أَخَذَ الشَّيْخُ يَسْتَقْبِلُ المُسْتَرْشِدِينَ مِنَ العُلَماءِ ؛ الفُقَهاءِ ، والمُتَكَلِّمِينَ ، والمُحَدِّثِينَ والمُفَسِّرِين .

ومِنْ فَوْقِ السَّطْحِ فِي مَدِينَةِ طَنْطا بِمِصْرَ المَحْرُوسَةِ أَخَذَ الشَّيْخُ يُوَجِّهُ أَتْباعَهُ مِنْ ذَوِي الكَفاءاتِ إِلَى مُخْتَلَفِ الأَقالِيمِ والجِهاتِ مُنَظِّماً أَمْرَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ عَلَى هُدًى وبَصِيرة .

ومِنْ فَوْقِ السَّطْح ... كانَ الفَتْحُ والمَنْحُ .

السَّطْحُ مَعْهَدٌ وجامِعَةٌ للدَّعْوَة
وقُوَّةٌ فِي الحَقِّ وفُتُوَّة

كانَ السَّيِّدُ البَدَوِيُّ كَواحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ اصْطَفاهُمُ اللهُ لإِصْلاحِ وتَزْكِيَةِ البَشَرِ قَبْلَ إِعْمارِ وتَعْلِيَةِ الحَجَرِ مُتَأَسِّياً فِي ذَلِكَ بِجَدِّهِ سَيِّدِ البَشَرِ ﷺ .

إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ هِيَ دائِماً الهَدَفُ الأَوَّلُ والأَخِيرُ للصُّوفِيَّة :

يَبْذُلُونَ فِي سَبِيلِها الرَّخِيصَ والغالِي ويَسْهَرُونَ مِنْ أَجْلِها اللَّيالِي ، وسَبْحُهُمُ الطَّوِيلُ فِي النَّهارِ إِنَّما هُوَ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَة .

وهُمْ يَبْدَأُونَ بِأَنْفُسِهِمْ : تَوْبَةً وإِنابَةً ، وتَضَرُّعاً وتَبَتُّلاً ، إِنَّهُمْ يَقُومُونَ اللَّيْلَ ، ويَصُومُونَ النَّهارَ ، ويَلْجَأُونَ إِلَى اللهِ يَدْعُونَهُ رَغَباً ورَهَباً ،

وَيَدْعُونَهُ خَوْفاً وطَمَعاً ، ويَذْكُرُونَهُ قِياماً وقُعُوداً ، وعَلَى جُنُوبِهِمْ ، ويُسَبِّحُونَهُ آناءَ اللَّيْلِ وأَطْرافَ النَّهار .

ولَقَدْ كانَ سَيِّدِي أَحْمَدُ رضي الله عنه يَتَعَبَّدُ فِي مَكَّةَ بِجَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ ، يُقِيمُ فِيهِ مُخْتَلِياً إِلَى رَبِّهِ حَتَّى فُتِحَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ؛ لَقَدْ أَخَذَ يُنَظِّمُ الدَّعْوَةَ مِنْ فَوْقِ السَّطْحِ كَما قُلْنا :

لَقَدْ كانَ يَأْتِي إِلَى السَّطْحِ الكَثِيرُ مِنَ المُرِيدِينَ ، فَيَأْخُذُ الشَّيْخُ فِي تَرْبِيَتِهِمْ بِالنَّظَرِ ، وبِالسُّلُوكِ ، وبِالتَّعْلِيم ، وبِالقُدْوَةِ : إِلَى أَنْ تَصْفُوَ نُفُوسُهُمْ ، فَيَبْدَأُ فِي تَوْجِيهِهِمْ إِلَى جِهاتٍ تَحْتاجُ إِلَى الدَّعْوَةِ ، ورُبَّما كانَتْ هَذِهِ الجِهاتُ هِيَ بِلادَهُمْ نَفْسَها الَّتِي أَتَوْا مِنْها ، ورُبَّما كانَتْ بِلاداً أُخْرَى لا يَعْرِفُونَ عَنْها شَيْئاً ؛ وإِنَّما رَأَى الشَّيْخُ بِإِلْهامٍ مِنَ اللهِ أَنَّها فِي حاجَةٍ إِلَى مُرْشِدٍ ، أَوْ سَمِعَ الشَّيْخُ عَنْ جَرائِمَ كَثِيرَةٍ تُرْتَكَبُ فِي مَكانٍ بِعَيْنِهِ ، فَيُرْسِلُ أَحَدَ مَنْ صَفَتْ نُفُوسُهُمْ مُبَشِّراً ومُنْذِراً .

ولَقَدْ كانَتْ جامِعَةُ الدَّعْوَةِ الأَحْمَدِيَّةِ السُّطُوحِيَّةِ تَسْتَقْبِلُ الوُفُودَ العِلْمِيَّةَ الَّتِي تَأْتِي إِلَى الإِمامِ البَدَوِيِّ لِتَنْهَلَ مِنْ عُلُومِهِ ومَعارِفِهِ ، كَما تَسْتَقْبِلُ مَنْ يَأْتِي إِلَى الشَّيْخِ مُخْتَبِراً لِعِلْمِهِ ووِلايَتِهِ ؛ فَإِذا كانَ حَسَنَ الطَّوِيَّةِ امْتَلأَ نُوراً وانْبِهاراً وقُرْباً وإِيقاناً ، وإِذا كانَ مَفْتُوناً غَوِيًّا انْقَلَبَ إِلَيْهِ

البَصَرُ خاسِئاً وهُوَ حَسِير !!

ويَطِيبُ لَنا أَنْ نَتَذَكَّرَ جُمْلَةً مِنْ هَؤُلاءِ السَّادَةِ الَّذِينَ تَتَلْمَذُوا للإمامِ البَدَوِيِّ وتَشَرَّفُوا بِصُحْبَتِهِ وسَلَكُوا طَرِيقَتَهُ وتَخَرَّجُوا فِي جامِعَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ ؛ فَمِنْ هَؤُلاءِ السَّادَةِ :

• الشَّيْخُ عَبْدُ المَجِيد الأَنْصارِي : شَقِيقُ سَيِّدِي عَبْدِ المُتَعالِ الخَلِيفَةِ الأَوَّلِ للقُطْبِ البَدَوِي ، وهُوَ الَّذي لَزِمَ جامِعَةَ السَّطْحِ مَعَ أَخِيهِ مُنْذُ البِدايَةِ وكانَ شَهِيدَ المَحَبَّةِ فِي النِّهايَةِ ، وضَرِيحُهُ كائِنٌ بِفِيشا المَنارَة (فِيشا سَلِيم) .

• الشَّيْخُ عَبْدُ الوَهَّابِ الجَوْهَرِي : تَرَبَّى عَلَى يَدِ الإمامِ البَدَوِي وتَخَرَّجَ بِصُحْبَتِهِ وكانَ مَدْرَسَةً بِناحِيَةِ الجَوْهَرِيَّةِ بِالقُرْبِ مِنْ (مَحَلَّة رُوح) بِمُحافَظَةِ الغَرْبِيَّةِ بِمِصْرَ المَحْرُوسَة .

• الشَّيْخُ عَلِي البَرِيدِي : أَمَّا سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بالبَرِيدِي ؛ فَلأَنَّ السُّلْطانَ أَرْسَلَهُ إِلَى الأُسْتاذِ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ بِبَرِيدٍ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيِّدَ عَظَّمَهُ وأَجَلَّهُ واحْتَرَمَهُ ، ومَلَكَ السَّيِّدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَقْطارِهِ فَلَمْ يُحاوِلْ مُفارَقَتَهُ ولازَمَهُ ناسِياً مَخْدُومَهُ وعَمَلَهُ ، وتَوافَقَ أَنْ جاءَ سَيِّدُهُ لِزِيارَةِ (أَبِي فَرَّاجٍ) فَوَجَدَهُ عِنْدَهُ فقالَ لَهُ : هَنِيئاً لَكَ ، ولَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ،

ولَمْ يَنْتَهِرْهُ ، واسْتَمَرَّ البَريدِيُّ مُلازِماً سَيِّدَنا السَّيِّدَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللهُ فَدُفِنَ فِي مُقابِلِ ضَرِيحِ السَّيِّدِ بِدايرِ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِي .

• الشَّيْخُ حَسَن القَلِّينِي : الَّذِي جاءَ إِلَى سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ قائِلاً لَهُ : يا سَيِّدِي شَيْئاً لله ، فَقالَ لَهُ : عَلَيْكَ بِكَوْم قَلِّين ، وحَذَّرَهُ مِنْ مُفارقَتِها مُبَيِّناً لَهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ أَتْباعٌ ومُرِيدُونَ فِي هَذِهِ البَلْدَةِ ، وأَنَّهُ سَيَخْتِمُ حَياتَهُ بِها ، وسَيَكُونُ لَهُ بِها شَأْنٌ فِي حَياتِهِ ، ومَقامٌ بَعْدَ وَفاتِهِ .

• الشَّيْخُ أَحْمَدُ المَعْلُوف : كانَ مِنْ أَجَلِّ أَصْحابِ السَّطْحِ ، وكانَ الأُسْتاذُ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيداً وكانَ ذا حَظْوَةٍ ووَجاهَةٍ لَدَيْهِ ، وكَذَلِكَ ذُرِّيَّتُهُ .

• سَيِّدِي مُحَمَّد قَمَرُ الدَّوْلَة : وهُوَ مِنْ أَجَلِّ خُلَفاءِ الإِمامِ البَدَوِي وضَرِيحُهُ بِقَرْيَةِ (نِفْيا) بِالغَرْبِيَّة .

• الشَّيْخُ يُوسُفُ الإِنْبابِي (والِدُ سَيِّدِي إِسْماعِيلَ الإِنْبابِي) وقَدْ أَرْسَلَهُ سَيِّدِي عَبْدُ المُتَعالِ إِلَى ناحِيَةِ (إِنْبابَة) بِالجِيزَةِ تُجاهَ بُولاق ، واشْتُهِرَ هُناكَ ، وضَرِيحُهُ ظاهِرٌ يُزارُ فِي اللَّيْلِ والنَّهار .

• الشَّيْخُ عَبْدُ العَظِيم الرَّاعِي : كانَ بِالإِضافَةِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ أَصْحابِ السَّطْحِ راعِياً لِبَهائِمِ سَيِّدِي أَحْمَدَ وغَنَمِهِ ؛ فَإِنَّ العارِفَ البَدَوِيَّ كانَ

لَهُ حَقْلٌ ومَزْرَعَةٌ وبَهائِمُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَحْتَرِفِ التَّصَوُّفَ لاكْتِسابِ الدُّنْيا وإِنَّما كانَ عَلَى هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ .

• الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الفَرَّان : وكانَتْ مُهِمَّتُهُ أَنَّهُ كانَ يَخْبِزُ لِفُقَراءِ الدَّائِرَةِ ، وكانَ يُشْرِفُ أَيْضاً عَلَى طَهْيِ الطَّعامِ لَهُمْ ، وهُوَ الَّذِي صَغَّرَ حَجْمَ الرَّغِيفِ إِلَى أَنْ جَعَلَهُ أَصْغَرَ مِنْ حَجْمِ بَيْضَةِ الدَّجاجَةِ ، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قالَ : إِنَّ مَسْأَلَةَ الشِّبَعِ مَسْأَلَةُ بَرَكَةٍ ، ولَيْسَتْ مَسْأَلَةَ حَجْمٍ .

ومَعَ مُهِمَّتِهِ هَذِهِ الَّتِي كانَتْ تَسْتَغْرِقُ جُهْدَهُ ، فَإِنَّهُ كانَ يَجِدُ أَيْضاً الوَقْتَ للشَّفاعَةِ للمَساكِينَ والمَظْلُومِينَ .

• الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الدَّقادُوسِي : جاءَ بِهِ الشَّيْخُ عَبْدُ العَظِيمِ الرَّاعِي وجَمَعَهُ عَلَى سَيِّدِي عَبْدِ المُتعالِ ، فَقَدَّمَهُ للأُسْتاذ (يُلاحَظُ هُنا وفِي مَواضِعَ عَدِيدَةٍ تَلْقِيبُ القُطْبِ البَدَوِيِّ بِالأُسْتاذ ؛ فَفِي ذَلِكَ دَلالَةٌ عَلَى المَنْصِبِ العِلْمِيِّ والتَّرْبَوِيِّ للسَّيِّد)، وقالَ يا سَيِّدِي : انْظُرْ إِلَى هَذا الرَّجُلِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ التَّرْبِيَةِ وتَعَهَّدَهُ بِالإِمْدادِ ، وقالَ : يا عَبْدَ المُتَعال أَرْسِلْهُ إِلَى ناحِيَةِ (دَقادُوس) بِساحِلِ البَرِّ الشَّرْقِيِّ فَإِنَّ بِها مَقامَهُ ، وسَتَكُونُ لَهُ شُهْرَةٌ وكَراماتٌ ظاهِرَةٌ .

• الشَّيْخُ عَلِي البَرَّاق : أَرْسَلَهُ الأُسْتاذُ إِلَى (سِبِرْباي)، فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَى

هُناكَ لَمْ يَرْضَ عَنِ المَكانِ ولا عَنْ عُمَّارِهِ ، فَذَهَبَ مُغاضِباً ، وغادَرَ البَلْدَةَ راجِعاً إِلَى السَّيِّدِ ، فَلَمْ يَرْضَ السَّيِّدُ عَنْ فِعْلِهِ ، وأَمَرَهُ بالرُّجُوعِ مِنْ حَيْثُ أَتَى ، وزَوَّدَهُ بالنَّصائِحِ والتَّوْجيهاتِ الَّتي تَنْفَعُهُ فِي دَعْوَتِهِ .

• الشَّيْخُ مُحَمَّد بَطَّالَة : كانَ أَشَدَّ النَّاسِ وَرَعاً وكانَ يَمْشِي بِالشَّفاعَةِ لِكُلِّ مَظْلُوم ، فَيَذْهَبُ إِلَى الحُكَّامِ ومَشايِخِ العَرَبِ ؛ مِنْ أَجْلِ إِنْصافِ النَّاسِ ، وكانَتْ شَفاعَتُهُ مَقْبُولَةً عِنْدَهُمْ ، وكانَ شَدِيدَ الحَمْلَةِ عَلَى الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللّهَ بِاللِّسانِ لا بِالقَلْبِ ويَتَمَسَّكُونَ بِالشَّكْلِ دُونَ الجَوْهَرِ ، وكانَ دائِمَ الدَّعْوَةِ للإِخْلاصِ فِي العِبادَةِ ، وكانَ مُجاهِراً ومُذَكِّراً أَنَّهُ إِذا لَمْ يَكُنِ الإِخْلاصُ فَلا قَبُولَ ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ ، وما عَدا الدِّينَ الخالِصَ فَهُوَ شِرْكٌ : إِنَّهُ عِبادَةٌ باطِلَةٌ .

• الشَّيْخُ وَهِيب : أُرْسِلَ لِلدَّعْوَةِ إِلَى ناحِيَةِ (بَرْشُوم الكُبْرَى) بالقَلْيُوبِيَّةِ ، وقِيلَ لَهُ : لا تُفارِقْها فَإِنَّ مَدْفَنَكَ بِها ، واسْتَمَرَّ يَدْعُو فِيها إِلَى أَنِ انْتَهَتْ بِهِ الحَياةُ ، فَدُفِنَ بِها ، ومِنْ طَرِيفِ ما يُرْوَى : أَنَّ ضَرِيحَهُ كانَ حَرَماً يَلْجَأُ إِلَيْهِ النَّاسُ ، فَلا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الظَّلَمَةِ أَنْ يَتَعَدَّى عَلَيْهِمْ فِيهِ .

• الشَّيْخُ رَمَضانُ الأَشْعَث : وهُوَ شَيْخُ الفُقَراءِ المَنايِفَةِ ، وضَرِيحُهُ

بِمَدِينَةِ (مُنُوف) ، وكانَ يَتَوَسَّطُ دائِماً للمَظْلُومِينَ عِنْدَ الكَشَّافِ وعِنْدَ مَشايِخِ العَرَبِ ، ومِنْ طَرائِفِهِ أَنَّهُ كانَ إِذا عاقَتْهُ العَوائِقُ عَنْ أَنْ يَذْهَبَ مَعَ المَظْلُوم أَرْسَلَ مَعَهُ عُكَّازَهُ ، فَيكُونُ عُكَّازُهُ بِمَثابَةِ حُضُورِهِ ويَقْضِي اللهُ حاجَةَ المَظْلُوم .

فَهَلْ تُراهُ كانَ عَلَى قَدَم سَيِّدِنا مُوسَىٰ الكَلِيم (عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وأَكْمَلُ التَّسْلِيم) وفِي عُكَّازِهِ مَآرِبُ أُخْرَى ؟!

• الشَّيْخُ عُمَرُ الشِّنَّاوِي : وهُوَ جَدُّ العارِفِ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي مُحَمَّدٍ الشِّنَّاوِي (الَّذِي هُوَ شَيْخُ الإمامِ عَبْدِ الوَهَّابِ الشَّعَرانِي)، وضَرِيحُهُ بابُ للفُتُوحِ بـ (مَحَلَّة رُوح)، وكانَ لِسَيِّدِي عُمَرَ الشِّنَّاوِي كَراماتٌ ظاهِرَةٌ فِي ناحِيَةِ (شِنَّاو) الَّتِي دُفِنَ بِها ، ولَهُ بِها ضَرِيحٌ مُنِيرٌ ، ويَقْصِدُهُ بِالزِّيارَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

• الشَّيْخُ فَرَج : الَّذِي دُفِنَ بِالقاهِرَةِ بِالزَّاوِيَةِ الَّتِي هِيَ بِالمَدْرَسَةِ القَرِيبَةِ مِنْ قَنْطَرَةِ المُوسْكِي .

• الشَّيْخُ خَلَف : المَدْفُونُ بِقَنْطَرَة سُنْقُر بِالقاهِرَةِ ، وكانَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ يَقُولُ لَهُ : (يا خَلَفُ أَنْتَ خَلِيفَتُنا فِي مِصْرَ)، وكانَ لا يَضَعُ جَنْبَهُ عَلَى الأَرْضِ لَيْلاً ولا نَهاراً ؛ فَكانَ مِنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَصْدُقُ

عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعالَى : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ [1] ، وكانَ الذِّكْرُ يَزِيدُهُ قُوَّةً عَلَى قُوَّةٍ بِصُورَةٍ مَلْحُوظَةٍ ، وصَدَقَ اللهُ تَعالَى إِذْ يَقُولُ مُبَيِّناً ما يَمْنَحُهُ لِعبادِهِ الذَّاكِرِينَ : ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ .

- الشَّيْخُ مُحَمَّد الكُنَّاسِي : شَيْخُ الكُنَّاسِيَّةِ الَّذِينَ يَكْنِسُونَ المَقامَ الأَحْمَدِيَّ كُلَّ سَنَةٍ فِي المَوْلِدِ ، ولَهُ مَقامٌ بِمَقابِرِ بابِ النَّصْرِ بالقاهِرَةِ .

- ومِنْ أَصْحابِ السَّطْحِ الشَّيْخُ عَلِي أَبو جِنِينَة المَدْفُونُ بِبِرْكَةِ القَرْعِ بِمِصْرَ ، وكانَتْ لَهُ كَراماتٌ كَثِيرَةٌ حَيًّا ومُنْتَقِلاً ، ويَقُولُ الإِمامُ الشَّعْرانِي : سَمِعْتُ قائِلاً يَقُولُ : صَلِّ العَصْرَ غَداً بِجامِعِ أَبو جِنِينَة ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، فَوَجَدْتُ فِي قَلْبِي انْفِساحاً وانْشِراحاً وأُنْساً لَمْ أَجِدْهُ إِلَّا فِي مَقامِ الأَئِمَّةِ الكِبارِ كالإِمامِ الشَّافِعِيِّ ، وذِي النُّونِ المِصْرِيِّ ، وأَضْرابِهِما رضي الله عنهم .

- الشَّيْخُ مُحَمَّد الكِتَّانِي : أَرْسَلَهُ الأُسْتاذُ إِلَى بَلْدَةِ سَلَمُون بالبَحْرِ الصَّغِير .

- ومِنْهُمْ الشَّيْخُ مُحَمَّد الواطِيُّ : نِسْبَةً إِلَى بَلْدَةِ الواطِيَّة ، أَمَرَهُ

---

(١) سُورَةُ السَّجْدَة : مِنَ الآيَة ١٦

الأُسْتاذُ بالإقامَةِ فِيها وبَشَّرَهُ بالذُّرِّيَّةِ الصَّالِحَةِ والشُّهْرَةِ الفالِحَةِ .

• ومِنْهُمْ الشَّيْخُ سَعْدُون : ولَهُ ضَرِيحُهُ المُبارَكُ شَرْقِيَّ مَدِينَةِ بِلْبِيس ، وكانَ لَهُ الكَثِيرُ مِنَ الكَراماتِ وكانَتْ لَهُ هَيْبَتُهُ حَتَّى لَقَدْ كانَ كاشِفُ بِلْبِيس إذا جَلَسَ عِنْدَهُ يَرْتَعِدُ مِنْ هَيْبَتِهِ ؛ وإنَّها هَيْبَةٌ أَضْفاها اللهُ عَلَيْهِ كَما يُضْفِيها عَلَى مَنِ اسْتَعَزَّ بِهِ وَحْدَهُ .

• ومِنْهُمُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الأَبارِيقِي : وضَرِيحُهُ بِرَوْضَةِ المِقْياس (مَنْيَل الرَّوْضَة) .

• ومِنْ أَصْحابِ السَّطْحِ الشَّيْخُ صالِح الدَّمَناوِي وأَخُوهُ الشَّيْخُ صَلاح : لَقَدْ مَرَّ الأُسْتاذُ يَوْماً بِبَلْدَةِ (مَحَلَّة دَمَنَة) فَلَقِيَهُ الشَّيْخُ صالِحٌ وأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ ضِيافَتَهُ ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ ، وشَكا إِلَيْهِ الشَّيْخ صالِحٌ مِنْ أَخِيهِ الشَّيْخِ صَلاح .

ولَمَّا جاءَ الشَّيْخُ صَلاح ، قالَ لَهُ الأُسْتاذ : لا بُدَّ مِنْ حُضُورِكَ أَنْتَ وأَخِيكَ الشَّيْخِ صالِحِ إِلَى طَنْطا لِنُوَجِّهَكَ إِلَى أَمْرٍ أَنْتَ مَوْعُودٌ بِهِ ، ولَمْ يَذْكُرْ لَهُ الأُسْتاذُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الخِلافِ الَّذِي كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخِيهِ .

ولَمَّا انْتَهَتِ الزِّيارَةُ وهَمَّ الأُسْتاذُ بِمُغادَرَةِ البَلْدَةِ تَعَلَّقَ بِهِ الشَّيْخُ صالِحٌ قائِلاً : يا سَيِّدِي أَعْطِنِي شَيْئاً مِنْ عِنْدِكَ أَتَبَرَّكُ بِهِ (ومِنْ عاداتِ

المُرِيدِينَ أَنْ يَكُونُوا حَرِيصِينَ عَلَى الاحْتِفاظِ بِبَعْضِ آثارِ شَيْخِهِمْ ؛ وقَدْ كانَ الصَّحابَةُ ﷺ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ)، فَأَعْطاهُ الأُسْتاذُ الإبْرِيقَ الَّذِي كانَ يَحْمِلُهُ مِنْ أَجْلِ تَيْسِيرِ الوُضُوءِ ، وأَعْطاهُ العَصا الَّتِي كانَ يَتَوَكَّأُ عَلَيْها والَّتِي كانَتْ لَهُ فِيها مَآرِبُ أُخْرَى ، وقالَ لَهُ : احْفَظْهُما ولا تَدَعْهُما إِلَّا عِنْدَ أَصْلَحِ أَوْلادِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، وكُلُّ شَيْءٍ وُضِعا فِيهِ تَنْزِلُ فِيهِ البَرَكَةُ .

ولَمْ تَنْتَهِ بِذَلِكَ مَطالِبُ الشَّيْخِ صالِح ، فَإِنَّهُ وإِنْ كانَ قَدْ نالَ لِنَفْسِهِ مِنْ بَرَكاتِ الأُسْتاذ ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ خَيْراً أَعَمَّ ، وبَرَكَةً أَشْمَلَ ، فَطَلَبَ إِلَى السَّيِّدِ أَنْ يُبارِكَ البَلْدَةَ ، وأَنْ يَدْعُوَ لأَهْلِها ، وبارَكَها السَّيِّدُ ودَعا اللهَ لأَهْلِها ، وغادَرَ السَّيِّدُ البَلْدَةَ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ فِيها أَرِيجاً مِنَ الصَّلاحِ ، وعَبِيراً مِنَ التَّقْوَى .

وبَعْدَ فَتْرَةٍ حَضَرَ الشَّيْخُ صالِحٌ والشَّيْخُ صَلاحٌ إِلَى طَنْدَتا وتَزَوَّدا بِالرَّحِيقِ المُصْطَفَوِي مِنْ مَعِينِ السَّطْحِ الأَحْمَدِي ، وعِنْدَها أَشارَ الأُسْتاذُ إِلَى الشَّيْخِ صَلاح بالذِّهابِ إِلَى البِيجُور (الباجُور بالمُنُوفِيَّة) ، فَأَقامَ بِها داعِياً ومُبَشِّراً وهادِياً ومُرْشِداً إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللهُ .

وأَشارَ إِلَى الشَّيْخِ صالِحٍ بالإقامَةِ فِي بَلَدِهِ (مَحَلَّة دَمَنَة) داعِياً ومُصْلِحاً

إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ بِها ، وما زالَ إِبْريقُ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ إِلَى وَقْتِنا هَذا يَتَوارَثُهُ صالِحُو كُلِّ جِيلٍ أَثَراً شاهِداً عَلَى حِفْظِ اللَّهِ لآثارِ أَوْلِيائِهِ وأَنَّهُمْ مَهْبِطُ بَرَكاتِهِ وآلائِهِ .

• ومِنْ أَصْحابِ السَّطْحِ الشَّيْخُ يُوسُفُ البُرُلُّسِي : المَدْفُونُ بناحِيَةِ البُرُلُّس ؛ كانَ مِنَ المُتَعَبِّدِينَ وكانَ مِنْ أَصْحابِ الجُودِ والكَرَم ، وكانَ فِي خِدْمَةِ النَّاسِ عِنْدَ الحُكَّامِ ، ولَهُ ذُرِّيَّةٌ صالِحَةٌ يَقْرُونَ الضَّيْفَ ويَقْضُونَ حَوائِجَ النَّاسِ عِنْدَ الحُكَّام .

• ومِنْهُمُ الشَّيْخُ جَمالُ الدِّينِ البُرُلُّسِي : كانَ صائِمَ الدَّهْرِ ، قائِمَ اللَّيْلِ ولَهُ كَراماتٌ كَثِيرَة .

• ومِنْ أَصْحابِ السَّطْحِ الشَّيْخُ مُحَمَّد الشِّيشِينِي صاحِبُ الإشارَةِ الَّتِي تَطْلُعُ المَوْلِدَ كُلَّ سَنَةٍ ، كانَ وَرِعاً زاهِداً وكانَ يُكَمِّمُ بَهائِمَهُ إذا سَرَحَتْ إِلَى المَرْعَى خَوْفاً مِنْ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ زَرْعِ أَحَدٍ غَيْرَ زَرْعِهِ .

• ومِنْهُمُ الشَّيْخُ خَلَفٌ الحِبْشِي : مَدْفَنُهُ بِمِيت حِبِيش .

• ومِنْهُمُ الشَّيْخُ رَيْحان : ومَزارُهُ بِالقُرْبِ مِنْ بِرْكَةِ النَّاصِرِيَّة .

• ومِنْهُمُ الشَّيْخُ مُحَمَّد الزَّعْفَرانِي : مَدْفَنُهُ بِناحِيَةِ (طُرَه البَلَد) .

• ومِنْهُمُ الشَّيْخُ أَحْمَد أَبو طَرْطُور : مَدْفَنُهُ بِناحِيَةِ أُوسِيم بِالجِيزَة .

- ومِنْهُمُ الشَّيْخُ مُحمَّد الكَتانْي : مَدْفَنُهُ خارِجُ بابِ النَّصْر .
- ومِنْهُمُ الشَّيْخُ شُعَيْب : مَدْفَنُهُ بالقُرْبِ مِنْ بابِ البَحْر .
- ومِنْ أَصْحابِ السَّطْحِ الشَّيْخُ بَشِيرٌ الحَبَشِي : المَدْفُونُ بِدَرْبِ السَّدِّ ، كانَ حَبَشِيًّا ولَهُ مُكاشَفاتٌ وأَحْوالٌ وشَطْحٌ ، وامْتَحَنُوهُ بَعْضُ النَّاسِ مَرَّةً فَصَنَعُوا لَهُ طَعاماً لا يَجُوزُ أَكْلُهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ هُوَ وفُقَراؤُهُ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ (ومِنَ الرِّجالِ مَنْ أَعْطاهُ اللهُ عَلامَةً يَعْرِفُ بِها الحَلالَ والحَرامَ فِي المَآكِلِ والمَشارِبِ والمَلابِسِ وغَيْرِ ذَلِكَ) .

وانْظُرْ إِلَى كَلِمَةِ (هُوَ وفُقَراؤُهُ) : تَفْهَمْ فِي يُسْرٍ أَنَّهُ كانَ داعِيَةً ولَهُ أَتْباعٌ ، وقَدِ اسْتَجابَ إِلَى هَدْيِهِ الكَثِيرُونَ ، وتَفْهَمُ مِنْها أَيْضاً أَنَّ غَيْرَهُ مِمَّنْ ذَكَرْنا ، ومَنْ لَمْ نَذْكُرْ مِنْ أَتْباعِ سَيِّدِنا السَّيِّدِ (تَلامِيذ جامِعَةِ السَّطْحِ) كانُوا عَلَى غِرارِهِ فِي الدَّعْوَةِ والهَدْيِ والأَتْباع .

هَذِهِ صُورَةٌ لِجُزْءٍ يَسِيرٍ مِنْ جامِعَةِ الدَّعْوَةِ الَّتِي أَقامَها السَّيِّدُ البَدَوِيُّ فَوْقَ السَّطْحِ والَّتِي كانَتِ الدُّرُوسُ فِيها بالكَلِمَةِ ، وبالنَّظَرِ ، وبالقُدْوَةِ وبالسُّلوك .

والواقِعُ أَنَّ الدَّعْوَةَ تَحْتاجُ إِلَى السُّلُوكِ والقُدْوَةِ أَكْثَرَ مِمَّا تَحْتاجُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ ، وبابُ الهِدايَةِ والتَّوْبَةِ والإِنابَةِ والاسْتِقامَةِ يُؤَثِّرُ فِيهِ السُّلُوكُ

المُسْتَقِيمُ للدَّاعِي أَكْثَرَ مِمَّا تُؤَثِّرُ فِيها النَّظَرِيَّاتُ والجَدَلُ .

ولَقَدْ كانَ الأَعْرابِيُّ يَأْتِي مِنْ أَطْرافِ البادِيَةِ جاهِلاً ، أُمِّيًّا لا يَعْرِفُ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ شَيْئاً فَإذا بِهِ عِنْدَما يَتَّصِلُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ لا تُعَدُّ بِالسِّنِينَ يُصْبِحُ وقَدْ صارَ مِنَ الصَّحابَةِ : أَيْ مِنْ أَئِمَّةِ الهُدَى ومِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِمْ .

لَقَدْ كانَ السَّطْحُ جامِعَةَ الهِدايَةِ ، ولَمْ تَكُنْ هَذِهِ الجامِعَةُ تُخَرِّجُ دُعاةً لِمِصْرَ فَحَسْبُ ؛ وما كانَتْ آمالُ السَّيِّدِ رضي الله عنه تَتَّجِهُ نَحْوَ مِصْرَ فَحَسْبُ ، والدُّعاةُ (بِحُكْمِ وَضْعِ الدَّعْوَةِ نَفْسِها مِنْ حَيْثُ كَوْنُها عالَمِيَّةً) لا تَقْتَصِرُ دَعْوَتُهُمْ عَلَى قُطْرٍ دُونَ قُطْرٍ مِنْ أَقْطارِ الإِسْلامِ ؛ إِنَّ اللهَ - عَظُمَتْ قُدْرَتُهُ - يُعْلِنُ : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ ؛ وما دامَتْ أُمَّةً واحِدَةً فَإِنَّها يَسْتَوِي فِيها المِصْرِيُّ والشَّامِيُّ ، والمَغْرِبِيُّ والهِنْدِيُّ ... ، وتَقْسِيمُها إِلَى أَقْطارٍ ودُوَلٍ ودُوَيْلاتٍ إِنَّما هُوَ تَقْسِيمٌ مُفْتَعَلٌ لا يَعْرِفُهُ الإِسْلامُ ، ولَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ قَبْلُ .

وجامِعَةُ السَّطْحِ إِذَنْ جامِعَةٌ عالَمِيَّةٌ تَقْبَلُ كُلَّ التَّلامِيذِ مِنْ جَمِيعِ الأَقْطارِ وعَلَى جَمِيعِ المُسْتَوَياتِ ، وتُؤَهِّلُهُمْ وتُصَدِّرُهُمْ إِلَى جَمِيعِ الأَقْطارِ أَيْضاً .

وإذا كُنَّا قَدْ ضَرَبْنا الأَمْثِلَةَ فِيما مَضَى بِبَعْضِ الَّذِينَ حَمَلُوا لِواءَ الدَّعْوَةِ فِي رُبُوعِ مِصْرَ وأَرْجائِها فَإِنَّنا الآنَ نَضْرِبُ بَعْضَ الأَمْثِلَةِ **بِمَنْ حَمَلُوا لِواءَ الدَّعْوَةِ خارِجَ مِصْرَ مِنْ أَصْحابِ السَّطْحِ** :

- الشَّيْخُ عَلِي البَعْلَبَكِّي : وقَدْ حَمَلَ الدَّعْوَةَ إِلَى بَعْلَبَكَّ بِالشَّام ، واسْتَمَرَّ يَحْمِلُ لِواءَها إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ فَدُفِنَ فِي بَعْلَبَكَّ .
- الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ اليُونِينِي : تُوفِّيَ أَيْضاً بـ (بَعْلَبَكَّ) وكانَ يَحْرُسُ البَساتِينَ ، وكانَ قُدْوَةً كُبْرَى فِي الصَّلاحِ والسُّلُوكِ المُسْتَقِيم .
- الشَّيْخُ خَلِيلٌ الشَّامِي : أَقامَ بالشَّامِ بِتَوْجِيهٍ مِنَ الأُسْتاذِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ ، ووَقَعَتْ لَهُ كَراماتٌ كَثِيرَةٌ مَعَ نائِبِ الشَّامِ حَتَّى انْجَذَبَ وتَبِعَ طَرِيقَهُ .
- الشَّيْخُ سَعْدٌ التَّكْرُورِي : تَوَجَّهَ إِلَى (حُوران) بِالشَّامِ داعِياً ومُبَشِّراً ومُنْذِراً وقُدْوَةً حَسَنَةً إِلَى أَنْ تُوفِّيَ بِها .
- الشَّيْخُ نِعْمَةُ اللَّهِ الصَّفَدِي : خَفِيرُ صَفَد ؛ وقَدْ مَنَحَهُ اللَّهُ تَعالَى هَيْبَةً إِلَى دَرَجَةِ أَنَّ الشِّرِّيرِينَ كانُوا مِنْ خَشْيَتِهِ لا يَسْرِقُونَ مِنْ دَرَكِهِ وحُدُودِهِ شَيْئاً .
- الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ المُوصِلِي : وكانَ مِنْ أَوائِلِ أَصْحابِ سَيِّدِي أَحْمَدَ

البَدَوي ، وظَلَّ داعِياً ومُبَشِّراً وهادِياً عَلَى بَصِيرَةٍ بِالعِراقِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ بِالمُوصِل .

- الشَّيْخُ عَلِيُّ الكَنْبَراوِي : أَرْسَلَهُ الأُسْتاذُ إِلَى اليَمَنِ هادِياً وداعِياً ، وطَبَقَتْ شُهْرَتُهُ اليَمَنَ كُلَّهُ .
- الشَّيْخُ أَحْمَدُ بنُ عُلْوان : أَرْسَلَهُ السَّيِّدُ إِلَى اليَمَنِ بِناحِيَةِ (تَعِز) .
- الشَّيْخُ عَوْسَجُ المِصْرِي : أَرْسَلَهُ الأُسْتاذُ إِلَى (زَبِيد) بِاليَمَنِ ، مُذَكِّراً بِالطَّرِيقَةِ ومُسْتَقِرّاً بِأَرْضِ اليَمَنِ ، وقَدْ حَباهُ اللّٰهُ كَرامَةَ تَكْثِيرِ الطَّعامِ والشَّراب ؛ فَكانَ يُطْعِمُ المِائَةَ مِنْ إِناءِ طَعامٍ صَغِيرٍ ، وكانَتْ لَهُ رَكْوَةٌ يُخْرِجُ مِنْها ما شاءَ مِنَ الماءِ والعَسَلِ واللَّبَنِ والسَّمْنِ .

وأَمَّا غَيْرُ أَصْحابِ السَّطْحِ مِنَ الأَحْمَدِيَّةِ الَّذِينَ جاؤُوا فِي الأَزْمِنَةِ الَّتِي تَلَتْ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيَّ وتَبِعُوا طَرِيقَتَهُ والْتَزَمُوا نَهْجَهُ وصارُوا عَلَى قَدَمِهِ فَكَثِيرُونَ ، مِنْهُمْ : الفَرْغَلُ أَبو أَحمد (سُلْطانُ الصَّعِيد) وبَلْدَتُهُ أَبُو تِيج ، والبَقْلِي ، وسَيِّدِي إِبْراهِيمُ المَتْبُولِي ، والشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ الشُّونِي (مِنْ أَجَلِّ شُيُوخِ الإِمامِ الشَّعْرانِي)، والشَّيْخُ مُحَمَّدٌ المُنَيَّر ، وسَيِّدِي عَلِيٌّ المَجْذُوبُ بِأَسْيُوط ، وسَيِّدِي عَلِيٌّ الرَّاعِي ، وسَيِّدِي شُعَيْبٌ بِالمَحَلَّةِ الكُبْرَى .

وبِجامِعِ الواسِطِي بِبُولاق جَماعَةٌ وهُمْ : (سَيِّدِي عَلِيٌّ الوَرَّاق ، وسَيِّدِي عَلِيٌّ العُرْيان ، وسَيِّدِي عَلِيٌّ المَجْذُوب)، وكانَ صاحِبُ جامِعِ الواسِطِي يُنْكِرُ عَلَى سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ أَشَدَّ الإنْكارِ وكانَ مِنْ أَكابِرِ أَهْلِ العِلْمِ ، فاعْتَرَتْهُ حالَةٌ نَسِيَ فِيها كُلَّ ما تَعَلَّمَهُ ، فَتابَ وصارَ مِنَ الأَحْمَدِيَّة .

ومِنْهُمُ الشَّيْخُ عَنْبَر المَدْفُونُ بِالغُورِيَّةِ (خارِجَ بابِ زُوِيلَة)، وسَيِّدِي عَلِيٌّ الجِيزِي بِبابِ القَرافَة ، وسَيِّدِي عَلِيٌّ أَبُو الظُّهُورِ فِي طَرِيقِ الإمامِ اللَّيْث ، وكَذَلِكَ سَيِّدِي عَلَى بابِ الله المَدْفُونُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ سَيِّدِي شِهابِ الدِّينِ الرَّمْلِي بِبابِ الشَّعْرِيَّةِ ، وسَيِّدِي مُحَمَّدٌ الثَّمَّار بِالقُرْبِ مِنْهُ ، وسَيِّدِي مُحَمَّد المِغَرْبِلُ بِغَيْطِ الحَمْزاوِي بِالأَزْبَكِيَّة ، وسَيِّدِي سَيْفٌ بِناحِيَةِ (باسُوس) عَلَى شاطِئِ النِّيل ، وسَيِّدِي غَوْثٌ بِبَنِي عَدِيٍّ بِالصَّعِيد .

ومِنْهُمُ الإمامُ الشَّهِيرُ نُورُ الدِّين الحَلَبِي (صاحِبُ السِّيرَةِ الحَلَبِيَّة) والَّذِي تُوفِّيَ سَنَةَ (١٠٤٤ هـ) وكانَ يَنْتَمِي لِلطَّرِيقَةِ الكُنَّاسِيَّةِ الأَحْمَدِيَّة ، ومِنْهُمْ عَمِّي الشَّيْخ حَسَنُ الشِّنَّاوِي شَيْخُ مَشايِخِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ بِجُمْهُورِيَّةِ مِصْرَ العَرَبِيَّة والَّذِي تُوفِّيَ سَنَةَ (٢٠٠٨ م) وضَرِيحُهُ ظاهِرٌ يُزارُ بـ (الرَّجْدِيَّة - مُحافَظَة الغَرْبِيَّة)؛ والشَّيْخُ مُحَمَّد مَحْمُود عَلِي

السُّطوحِي شَيْخُ المَشايِخ (ت ١٩٨٣ م) بِمِصْرَ المَحَمِيَّة .
ولا يَفُوتُنا فِي هَذا السِّياقِ أَنْ نَذْكُرَ شَيْخَ الإِسْلام وأَرْشِيفَ الصُّوفِيَّةِ الإِمامَ عَبْدَ الوَهَّابِ الشَّعراني (٩٣٧ هـ)، الَّذي لَبِسَ الخِرْقَةَ الأَحْمَدِيَّةَ بِيَدِ سَيِّدِي مُحَمَّد الشِّنَّاوِي بِالمَقامِ الأَحْمَدِي بطَنْطا .

السَّطْحُ إِشارَةٌ وعِبارَةٌ وبِشارَةٌ وعِمارَة

وكانَ السَّطْحُ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ خَلْوَةً تَتَكَشَّفُ فِيها السَّماواتُ ؛ فَيَسْرَحُ البَصَرُ ، ويَسْرَحُ الفِكْرُ فِي مَلَكُوتِ اللهِ مُسَبِّحاً بِجَلالِهِ وعَظَمَتِهِ ، مُشاهِداً بِالبَصِيرَةِ هَيْمَنَتَهُ عَلَى هَذا العالَمِ الفَسِيحِ الواسِعِ ، مُسَيِّراً لَهُ فِي دِقَّةٍ دَقِيقَةٍ ، وفِي إِحْكامٍ مُحْكَم : ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (١).
﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٢) .

---

(١) سُورَةُ يس : الآيَة ٤٠ .
(٢) سُورَةُ المُلْك : الآيات ١ - ٤ .

لَقَدْ كانَ السَّيِّدُ مِنْ فَوْقِ السَّطْحِ يُحِبُّ أَنْ يَتَحَقَّقَ بِالآياتِ القُرْآنِيَّةِ الكَرِيمَةِ :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [1] ، لَقَدْ أَحَبَّ السَّيِّدُ البَدَوِيُّ أَنْ يَتَحَقَّقَ فِي خَلْوَتِهِ : **بِالفِكْرِ** ، **وبِالذِّكْرِ** ، **وبِالدُّعاءِ** ، وقَدْ تَمَّ لِلسَّيِّدِ رضي الله عنه تَحْقِيقُ كُلِّ ذَلِكَ مِنْ فَوْقِ السَّطْحِ .

وكَما كانَ السَّطْحُ مَعْهَداً وجامِعَةً ونَدْوَةً ودائِرَةً فَإِنَّهُ كانَ أَيْضاً : مَسْجِداً ؛ هَذا هُوَ السَّطْحُ فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ وواقِعِهِ : رَبَّى السَّيِّدُ مِنْ فَوْقِهِ رِجالاً وأَبْطالاً ، ونَشَرَ عِلْماً ومَعْرِفَةً ، ونَظَّمَ دائِرَةً ، واسْتَغْرَقَ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ فِي

---

(١) سُورَةُ آل عِمْران : الآيات ١٩٠ – ١٩٤ .

العِبادَةِ ، وكُلُّ ذَلِكَ كانَ فِي سَبِيلِ اللّهِ ، إنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِدُنْيا يُصِيبُها أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُها ، وإنَّما كانَ كُلُّهُ هِجْرَةً خالِصَةً إلَى اللّهِ ورَسُولِه .

فَرائِدُ بَدَوِيَّة

وما تَطْوِيهِ مِنْ حِكَمٍ نَبَوِيَّة

حَثَّ اللّهُ عَلَى التَّفَكُّرِ ، والذِّكْرِ ، والتَّوْبَةِ ، والمَحَبَّةِ للّهِ ، والصَّبْرِ ، والزُّهْدِ ، والإيمانِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ مِنَ القُرْآنِ ؛ وقَدْ بَيَّنَها العُلَماءُ بَياناتٍ مُتَفاوِتَةً ، فَسَأَلَ سَيِّدِي عَبْدُ المُتَعالِ أُسْتاذَهُ البَدَوِيَّ عَنْ بَيانِ حَقِيقَةِ هَذِهِ الأَشْياءِ لِيَخْرُجَ مِنْ بَيانِهِ عَلَى نَتِيجَةٍ سَلِيمَةٍ يَنْتَهِجُها فِي سَيْرِهِ ويَتَوَخَّاها فِي سُلُوكِهِ : فَيَعْرِفُ كَيْفَ يُفَكِّرُ ، ويَذْكُرُ ، ويُحِبُّ ، ويَصْبِرُ ، ويَزْهَدُ ، ويَتَحَقَّقُ بالإيمانِ ؛ لأَنَّ هَذِهِ أَبْوابُ الوُصُولِ ومَفاتِيحُ المَعْرِفَةِ ، فَأَجابَهُ ﷺ بِفَرائِدَ جَمَعَتِ الفَوائِدَ ونَحْنُ نَتَخَيَّرُ مِنْها فَرِيدَةَ الفَرائِدِ ؛ وتِلْكَ وَصِيَّتُهُ العَطِرَةُ الَّتِي تُعْتَبَرُ مِنْ جَوامِعِ الكَلِمِ ، وتُعَدُّ بِحَقٍّ فَصْلَ الخِطابِ فِي أَغْراضِها ومَرامِيها :

قالَ البَدَوِيُّ فِي بَعْضِ وَصاياهُ لِتَلامِيذِهِ : (مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ قِيمَةٌ فِي الدُّنْيا ولا فِي الآخِرَةِ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ حِلْمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمٌ ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ سَخاءٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ مالِهِ نَصِيبٌ ،

وَمَنْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ شَفَقَةٌ عَلَى خَلْقِ اللهِ لَمْ تَكُنْ لَهُ شَفاعَةٌ عِنْدَ اللهِ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَبْرٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِي الأُمُورِ سَلامَةٌ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ تَقْوَى لَمْ تَكُنْ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللهِ ، وَمَنْ حُرِمَ هَذِهِ الخِصالَ السِّتَّ فَلَيْسَ لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ) .

فَهُوَ رضي الله عنه يَحُثُّ تَلامِيذَهُ ومُرِيدِيهِ عَلَى تَعَلُّمِ العِلْمِ ، ويُبَيِّنُ لَهُمْ فَضْلَهُ وثَمَرَتَهُ فَيَقُولُ : (مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ لَمْ تَكُنْ لَهُ قِيمَةٌ فِي الدُّنْيا ولا فِي الآخِرَةِ) ؛ فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِكَ بذاتِ اللهِ وأَسْمائِهِ وصِفاتِهِ تَكُونُ قِيمَتُكَ فِي الآخِرَةِ ، وعَلَى قَدْرِ عِلْمِكَ فِي الدُّنْيا تَكُونُ قِيمَتُكَ بَيْنَ النَّاسِ ، ولَمَّا كانَ العالِمُ الأَحْمَقُ لا يُفِيدُهُ عِلْمُهُ شَيْئاً ؛ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : (ومَنْ لَمْ يكُنْ عِنْدَهُ حِلْمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمٌ) ؛ فَإِنَّ العِلْمَ مِنْ دُونِ الحِلْمِ كالتَّاجِ مِنَ الذَّهَبِ عَلَى رَأْسِ حَيَوانٍ شَرِسٍ يُعْجِبُكَ مَنْظَرُهُ ويُسِيئُكَ مَخْبَرُهُ ، فَلا بُدَّ لِلعِلْمِ مِنْ حِلْمٍ يُزَيِّنُهُ وإِلَّا ضاعَتْ ثَمَرَتُهُ وانْحَطَّتْ قِيمَتُهُ ، ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَى السَّخاءِ بِقَوْلِهِ : (ومَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ سَخاءٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ مالِهِ نَصِيبٌ) ؛ لأَنَّ الحَرِيصَ عَلَى المالِ إِنَّما يَجْمَعُهُ لِغَيْرِهِ فَإِذا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ انْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى وارِثِهِ لا مَحالَةَ ولَمْ يَكُنْ نَصِيبُهُ مِنْهُ إِلَّا جَمْعَهُ وعَدَّهُ ثُمَّ مُناقَشَتَهُ عَلَيْهِ وعَذابَهُ بِهِ ؛ ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ

﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ، ثُمَّ يُبَيِّنُ لَهُمْ رضي الله عنه أَنَّ أَصْحابَ الشَّفاعَةِ عِنْدَ اللهِ هُمْ أَهْلُ الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللهِ ، فَقالَ : (ومَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ شَفَقَةٌ عَلَى خَلْقِ اللهِ لَمْ تَكُنْ لَهُ شَفاعَةٌ عِنْدَ اللهِ)؛ فالشَّفَقَةُ عَلَى الفُقَراءِ والعَطْفُ عَلَى البُؤَساءِ والرَّحْمَةُ بِالضُّعَفاءِ عُنْوانٌ صادِقٌ عَلَى أَنَّكَ سَتَكُونُ عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ مِنَ الشُّفَعاءِ ، والشُّحُّ عَلَى الفُقَراءِ والغِلْظَةُ عَلَى البُؤَساءِ والشِّدَّةُ والتَّجَبُّرُ عَلَى الضُّعَفاءِ عُنْوانٌ صادِقٌ عَلَى أَنَّ فاعِلَها سَيَكُونُ هُناكَ مِنْ أَهْلِ البُعْدِ والجَفاءِ ، ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ رضي الله عنه إِلَى أَنَّ السَّلامَةَ فِي الأُمُورِ لا تُوهَبُ إِلَّا لِلصَّابِرينَ وأَنَّ المَنْزِلَةَ عِنْدَ اللهِ لا تُنالُ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، فَقالَ : (ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَبْرٌ فَلَيْسَ لَهُ فِي الأُمُورِ سَلامَةٌ ، ومَنْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ تَقْوَى فَلَيْسَ لَهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللهِ)؛ فالصَّبْرُ لا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زانَهُ ، والجَزَعُ لا يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شانَهُ ، وأَوْلَى بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحاجَتِهِ : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ ، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ فاحْرِصْ عَلَى هَذِهِ الخِصالِ السِّتِّ فَإِنَّ مَنْ حُرِمَ هَذِهِ الخِصالَ السِّتَّ فَلَيْسَ لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ :

احْرِصْ عَلَى العِلْمِ وزَيِّنْهُ بِالحِلْمِ ، وتَوِّجْهُ بِالكَرَمِ والسَّخاءِ ، وبارِكْهُ بِالشَّفَقَةِ عَلَى الفُقَراءِ ، وجَمِّلْهُ بِالصَّبْرِ عَلَى البَلاءِ مَعَ الخَوْفِ مِنَ اللهِ تَنَلْ أَبْعَدَ الغاياتِ وأَسْمَى الدَّرَجاتِ فِي دُنْياكَ وأُخْراكَ .

كَثْرَةُ أَلْقابِهِ ودَلالَتُها بَيْنَ أَحْبابِهِ

لِسَيِّدِي أَحْمَدَ أَلْقابٌ كَثِيرَةٌ اشْتُهِرَ بِها عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ انْتَزَعُوها مِمَّا شاهَدُوهُ مِنْ صِفاتِهِ الجَلِيلَةِ واقْتَبَسُوها مِمَّا عَرَفُوهُ مِنْ مَساعِيهِ الحَمِيدَةِ ، وأَطْلَقُوها عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ غَرَضٌ فِي وَضْعِها لَهُ ، وحاشاهُ أَنْ يَنْصَرِفَ عَنِ الجَوْهَرِ ويَلْتَفِتَ لِلعَرَضِ ، ولِكَوْنِها ذاتَ تَأْثِيرٍ عَظِيمٍ فِي إِيضاحِ دَرَجَتِهِ الرُّوحِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ نَتَعَرَّضُ لَها لِنَقْتَبِسَ قَبَساً مِنْ أَنْوارِها :

البَـدَوِي

هَذِهِ النِّسْبَةُ لأَنَّهُ يُشْبِهُ أَهْلَ البادِيَةِ فِي مُلازَمَةِ اللِّثامِ ، ولَمْ يَثْبُتْ إِطْلاقاً أَنَّ أَحَداً مِنْ إِخْوَتِهِ لُقِّبَ بِالبَدَوِيِّ غَيْرُهُ حَتَّى يَكُونَ سَبَبُ هَذِهِ النِّسْبَةِ سُكْناهُمْ لِلبادِيَةِ ، كَما لَمْ يَثْبُتْ فِي التَّارِيخِ إِطْلاقاً أَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ أَقامَ فِي البادِيَةِ كَما ثَبَتَ مِنْ سِيرَتِهِ ، ولَوْ كانَتْ نِسْبَةُ البَدَوِيِّ لأَنَّهُ كانَ يَسْكُنُ البادِيَةَ لَكانَ حَسَناً وجَمِيلاً لأَنَّ سُكْنَى البادِيَةِ هِيَ عادَةُ العَرَبِ وفِيها

سَعادَتُهُمْ وهَناءَتُهُمْ ، وقَدِيماً قالَ سَيِّدُنا يُوسُفُ عليه السلام لأَبيهِ وإِخْوَتِهِ :

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ ؛

ولَكِنَّنا نُقَرِّرُ الحَقِيقَةَ كَما قَرَأْناها فِي تارِيخِهِ : فَنِسْبَةُ البَدَوِيِّ لأَنَّهُ كانَ يُشْبِهُ أَهْلَ البادِيَةِ فِي مُلازَمَةِ اللِّثام (1) .

المُلَثَّم

اللِّثامُ غِطاءٌ يُثَبَّتُ فَوْقَ الرَّأْسِ لِتَتَدَلَّى جَوانِبُهُ عَلَى الوَجْهِ فَتَسْتُرُ جَمِيعَ أَجْزائِهِ ما عَدا العَيْنَيْنِ ، والْتِزامُهُ رضي الله عنه لُبْسَ لِثامَيْنِ مُتَطابِقَيْنِ بَعْضُهُما فَوْقَ بَعْضٍ صَيْفاً وشِتاءً يَدُلُّ دَلالَةً واضِحَةً عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَرَضُهُ مُجَرَّدَ لُبْسِ اللِّثامِ كَما هِيَ عادَةُ بَعْضِ الأَعْرابِ ؛ وإِنَّما كانَ غَرَضُهُ مِنَ اللِّثامِ هُوَ سَتْرُ أَحْوالِهِ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى وَجْهِهِ والَّتِي تَنْشَأُ عَنْ مُشاهَدَتِهِ الَّتِي كانَتْ تَتَوالَى عَلَيْهِ قَبْضاً وبَسْطاً فَتَتَغَيَّرُ أَعْراضُ وَجْهِهِ تَغَيُّراً مَلْحُوظاً تَبَعاً لِتِلْكَ المُشاهَداتِ .

ولَعَلَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ قَدْ خُصَّ بِمَزِيَّةٍ مُوسَوِيَّةٍ تَبْدُو عَلَى وَجْهِهِ مِنْ كَثْرَةِ مُشاهَداتِهِ واتَّخَذَ مِنْ أَجْلِها اللِّثامَ كَما خُصَّ سَيِّدُنا مُوسَى عليه السلام بِبَياضِ يَدِهِ مُعْجِزَةً إِذا أَخْرَجَها مِنْ جَيْبِهِ ، وخَرَّ سَيِّدِي عَبْدُ المَجِيدِ

---

(1) العِظَةُ والاعْتِبارُ آراءٌ فِي حَياةِ السَّيِّدِ البَدَوِيِّ الدُّنْيَوِيَّةِ وحَياتِهِ البَرْزَخِيَّةِ : أَحْمَد مُحَمَّد حِجاب .

مِنْ أَجْلِها صَعِقاً حِينَما فاجَأَتْهُ تِلْكَ الظَّاهِرَةُ العَجِيبَةُ ، ولِذَلِكَ نَصَحَهُ وحَذَّرَهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ فَلَمْ يَسْمَعِ النُّصْحَ ولَمْ يَقْبَلِ التَّحْذِيرَ ؛ فَكانَ شَهِيدَ المَحَبَّةِ والاصْطِلام .

أَبُو الفِتْيان

الفُتُوَّةُ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجاتِ الصِّدِّيقِينَ ، والمُتَّصِفُ بِها يُسَمَّى فَتًى ، وأَهْلُ الفُتُوَّةِ يُسَمَّوْنَ بِالفِتْيان .

والفَتَى فِي اللُّغَةِ هُوَ الشَّابُّ وهِيَ حالَةُ بُلُوغِ الأَشَدِّ إِلَى حالَةِ الكُهُولَةِ، ولِمُلازَمَةِ القُوَّةِ لِحالَةِ الشَّبابِ أَخَذُوا الفُتُوَّةَ الرُّوحِيَّةَ مِنْ مادَّةِ الفَتَى لأَنَّها تُنْبِئُ عَنِ القُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي لا تُضارِعُها قُوَّةٌ ، كَما أَخَذُوا الفُتُوَّةَ البَدَنِيَّةَ الَّتِي لا تُضارِعُها شَجاعَةٌ مِنْ هَذِهِ المادَّةِ أَيْضاً ؛ وقَدْ قِيلَ عَنْ سَيِّدِي أَحْمَدَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي سُكَّانِ مَكَّةَ والمَدِينَةِ أَشْجَعَ مِنْهُ ، وقِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ لَيْسَ فِي أَوْلِياءِ مِصْرَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ فُتُوَّةً مِنْهُ ، كَما اشْتُهِرَ بَيْنَ العُلَماءِ وغَيْرِ العُلَماءِ الَّذِينَ لا يَتَسَرَّبُ الشَّكُّ إِلَى صِدْقِهِمْ فِي إِخْبارِهِمْ بِتَرْبِيَتِهِ الرُّوحِيَّةِ لأَهْلِ الصِّدْقِ فِي الدِّينِ مِنَ المُؤْمِنِينَ العامِلِينَ كَما شُوهِدَ فِي حَياتِهِ أَنَّهُ رَبَّى أَبْطالاً ورِجالاً لا يُحْصَوْنَ ، وكُلُّ ما قِيلَ عَنْهُ واشْتُهِرَ بِهِ وشُوهِدَ مِنْهُ لَهُ مِنْ أَعْمالِهِ الصَّالِحَةِ ما

يُدَعِّمُهُ ، ومِنْ أَحْوالِهِ الصَّادِقَةِ ما يُصَدِّقُهُ ؛ فَكانَ جَدِيراً بِكُلِّ مَعْنى الجَدارَةِ بِأَنْ يُلَقَّبَ بـ (الفَتى)، وأَنْ يُكَنَّى بـ (أَبي الفِتْيان)، وأَنْ يُنادَى بها فِي كُلِّ زَمانٍ ومَكان .

السَّيِّدُ والسِّيد

السَّيِّدُ : هُوَ أَجَلُّ القَوْمِ قَدْراً ، وسائِرُ القَوْمِ دُونَ السَّيِّدِ فِي الشَّرَفِ .
والسِّيدُ : السَّبُعُ ؛ وفِي كُلٍّ مِنَ السَّيِّدِ والسِّيدِ مَعْنَى الرِّياسَةِ والزَّعامَةِ المُنْبِئَتَيْنِ عَنِ الشَّرَفِ ، واشْتُهِرَ بـ (السَّيِّدِ) كُلُّ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالنَّسَبِ لِشَرَفِهِمُ المُكْتَسَبِ مِنْ بِضْعَتِهِ الطَّاهِرَةِ .
ولِجَلالَةِ قَدْرِهِ ﷺ وظُهُورِ فَضْلِهِ عَلَى العالَمِينَ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ سَيِّدَ المُرْسَلِينَ ، (وسَوَّغُوا عُرْفاً بَعْدَ إِلْغاءِ الأَلْقابِ فِي الدُّوَلِ إِطْلاقَ السَّيِّدِ عَلَى كُلِّ مُواطِنٍ حُرٍّ كَريم)، ولاجْتِماعِ أَسْبابِ السِّيادَةِ فِي سَيِّدِي أَحْمَدَ وتَوافُرِ صِفاتِها فِيهِ أَطْلَقُوا (السَّيِّدَ) عَلَيْهِ حَتَّى صارَ لا يُعْرَفُ مِنَ السَّيِّدِ عِنْدَ الإِطْلاقِ إِلَّا البَدَوِيَّ وَحْدَهُ ، وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُلَقِّبُ أَصْحابَهُ رضي الله عنهم أَلْقاباً لِمَعانٍ نَفْسِيَّةٍ امْتازُوا بِها ؛ وظَهَرَتْ فِيهِمْ واضِحَةً مِنْ بَيْنِ صِفاتِهِمُ الَّتِي اتَّصَفُوا بِها ؛ فَيَقُولُ : فُلانٌ أَسَدٌ مِنْ أُسْدِ اللهِ، أَوْ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ ، ولَوْ راعَيْنا المَعانِيَ الحَقِيقِيَّةَ الَّتِي أُشْرِبَتْها

رُوحانِيَّةُ البَدَوِيِّ ولاحَظْنا مَشْرَبَهُ مِنْ بَيْنِ المَشارِبِ المَعْرُوفَةِ عِنْدَ القَوْمِ لَمْ نَتَخَطَّ الحَقِيقَةَ قَيْدَ أَنْمُلَةٍ إذا قُلْنا عَنْهُ فِي صَراحَةٍ يَقِينِيَّةٍ إنَّهُ أَسَدٌ مِنْ أُسْدِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالَى ؛ فَلَمْ يَكُنْ تَعَرُّضُنا فِي أَوَّلِ الكَلامِ لِبَيانِ مَعْنَى (السِّيدِ) اسْتِطْراداً ، بَلْ لِنَلْفِتَ النَّظَرَ إلَى أَنَّ ما اتَّسَمَتْ بِهِ رُوحُهُ القَوِيَّةُ مِنْ هَذا المَعْنَى الَّذِي تَتَمَثَّلُ بِهِ ؛ وبِهَذا كانَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ جَدِيراً بِحِيازَةِ اللَّقَبَيْنِ .

القُطْبُ النَّبَوِي

قُطْبُ الرَّحَى : هُوَ العَمُودُ المُثَبَّتُ فِي قاعِدَتِها القائِمُ فِي مَرْكَزِ القاعِدَةِ ، وعَلَيْهِ يَدُورُ جُزْؤُها الأَعْلَى إذا تَطابَقَ مَعَ القاعِدَةِ بِواسِطَةِ هَذا العَمُودِ ، والنَّجْمَةُ القُطْبِيَّةُ هِيَ النَّجْمَةُ السَّابِعَةُ فِي طَرَفِ الدُّبِّ الأَكْبَرِ الَّذِي يَظْهَرُ فِي السَّماءِ بَعْدَ العِشاءِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ (إذا جَعَلْتَها خَلْفَ الأُذُنِ اتَّجَهْتَ بِواسِطَةِ هَذِهِ النَّجْمَةِ إلَى قِبْلَةِ الصَّلاةِ) ، ولِكَوْنِ الرَّحَى لا يَنْتَظِمُ دَوَرانُها إلَّا بِواسِطَةِ قُطْبِها ، ولِكَوْنِ التَّوَجُّهِ إلَى قِبْلَةِ الصَّلاةِ لا يَتِمُّ إلا بِواسِطَةِ النَّجْمَةِ القُطْبِيَّةِ السَّابِعَةِ ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ؛ أَطْلَقَ عُلَماءُ التَّصَوُّفِ لَفْظَ القُطْبِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَنْتَظِمُ أَمْرُ العِبادِ بِهِ وتُرْحَمُ الأُمَّةُ بِواسِطَتِهِ وكُلِّ مَنْ يُوَجِّهُكَ إلَى اللهِ ويُعَرِّفُكَ بِهِ ، وقُطْبُ

رَحَى الوُجُودِ وقُطْبُ الهِدايَةِ إِلَى اللهِ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي انْتَظَمَ أَمْرُ العِبادِ بِهِ ورُحِمَتِ الدُّنْيا بِواسِطَتِهِ وهُوَ الَّذِي وَجَّهَنا إِلَى اللهِ وعَرَّفَنا بِهِ ، وقُطْبُ زَمانِهِ : هُوَ كُلُّ مَنْ سارَ سِيرَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي العَمَلِ وقامَ مَقامَهُ بِطَرِيقِ النِّيابَةِ فِي هِدايَةِ النَّاسِ إِلَى رَبِّهِمْ وتَعْرِيفِهِمْ بِهِ .

والقُطْبُ النَّبَوِيُّ والشَّرِيفُ العَلَوِيُّ : هُوَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ ؛ وإِنَّما سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّ المَعانِي الَّتِي مِنْ أَجْلِها سُمِّيَ القُطْبُ قُطْباً والصِّفاتِ الَّتِي لُوحِظَتْ حِينَما وَضَعُوا هَذا الاسْمَ لِلدَّلالَةِ عَلَى مُسَمَّاهُ كُلُّ هَذِهِ المَعانِي اجْتَمَعَتْ لَهُ وتَحَقَّقَتْ فِيهِ ، يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلُّ مَنْ دَرَسَ بِعِنايَةٍ تارِيخَ حَياتِهِ وتَفَقَّدَ بِنَفْسِهِ خِلالَهُ وأَعْمالَهُ وأَدْرَكَ بِنُورِ عَقْلِهِ ما جَرَى عَلَى يَدَيْهِ ويَجْرِي مِنْ هِدايَةِ النَّاسِ وتَعْرِيفِهِمْ بِاللهِ تَعالَى ، ولا يَعْرِفُ إِلَّا اللهُ كَمْ قَدَّمَ مِنْ أَعْمالٍ وكَمْ هَدَى إِلَى اللهِ مِنْ رِجالٍ وكَمْ عَرَّفَ بِاللهِ مِنْ أَبْطالٍ ، وإِنَّما سُمِّيَ نَبَوِيًّا لأَنَّ كُلَّ قُطْبٍ يَنالُ هَذِهِ المَنْزِلَةَ عَنْ شَيْخِهِ الَّذِي رَبَّاهُ ، وشَيْخُهُ يَنالُها عَنْ شَيْخِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ويَظْهَرُ أَنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ لَمْ يَنَلْ هَذِهِ المَنْزِلَةَ عَنْ طَرِيقِ أَحَدٍ مِنَ الشُّيُوخِ بِدَلِيلِ مَقالَتِهِ الشَّائِعَةِ فِي تارِيخِهِ : أَنا لا آخُذُ المِفْتاحَ إِلَّا مِنْ

يَدِ الفَتَّاح ، فَلَمْ يَأْخُذْهُ مِنْ سَيِّدِي الجَيْلانِي ولا مِنْ سَيِّدِي الرِّفاعِي رضي الله عنه ، وإنَّما مِفْتاحُ فَتْحِهِ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلِذَلِكَ اشْتُهِرَ بِأَنَّهُ القُطْبُ النَّبَوِيُّ مَنْسُوباً إِلَى شَيْخِهِ الَّذِي رَبَّاهُ .

وهَذا لا يَقْدَحُ فِي كَوْنِهِ تَسَلَّكَ فِي الطَّرِيقِ عَلَى نَهْجِ الإمامَيْنِ الرِّفاعِيِّ والجَيْلانِيِّ فَوَصَلَ بِهِما إِلَى مَقام : (ها أَنْتَ ورَبُّكَ) .

جَيَّابُ الأَسِير

قالَ السُّيُوطِيُّ والشَّعْرانِيُّ وغَيْرُهُما : أُوثِرَ عَنِ البَدَوِيِّ كَراماتٌ وخَوارِقُ أَشْهَرُها قِصَّةُ المَرْأَةِ الَّتِي أَخَذَ الفِرِنْجُ وَلَدَها فَلاذَتْ بِالبَدَوِيِّ فَأَحْضَرَهُ إِلَيْها فِي قُيُودِهِ ، وقَدِ انْتَشَرَتْ هَذِهِ القِصَّةُ بَيْنَ أَفْرادِ الشَّعْبِ وتَناقَلَها المَدَّاحُونَ عَلَى أَبْوابِ البُيُوتِ عِدَّةَ قُرُونٍ فَكانَ هَذا دَلِيلاً واضِحاً عَلَى ثُبُوتِ هَذا اللَّقَبِ لَهُ ؛ ولَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبارَةٌ عامِّيَّةٌ بَحْتَةٌ كَثِيراً ما طَرَقَتِ الأَسْماعَ بِبَساطَةِ مَبْناها ولَكِنَّ مَعْناها يَتَضَمَّنُ مَعْنًى ذا مَغْزًى عَمِيقِ الأَثَرِ وهُوَ قَوْلُهُمْ : (الله الله يا بَدَوِي جاب اليُسْرَى)؛ فَهَذِهِ الكَلِمَةُ عَلَى بَساطَتِها إِحْقاقٌ لِلحَقِّ أَنْطَقَ اللهُ بِها أَلْسِنَةَ الخَلْقِ ، لِيَكُونَ عِظَةً واعْتِباراً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ؛ إِذْ مَعْناها : الله الله يا بَدَوِي هُوَ الَّذِي جاءَ بِاليُسْرَى لا أَنْتَ (وإِنْ كانَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ قَدَّرَهُ عَلَى يَدَيْكَ)؛ فَهُوَ

تَذْكِيرٌ لِلخَلْقِ بِقُدْرَةِ الحَقِّ لِيُوَحِّدُوهُ فَيَجِدُوهُ عِنْدَ حاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ؛ فَهُوَ عَلَى غِرارِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ .

وجَيَّابُ الأَسِيرِ : كَلِمَةٌ مَنْحُوتَةٌ مِنْ جَيَّاءٍ بالأَسِيرِ وهِيَ تَدُلُّ عَلَى المُبالَغَةِ فِي كَثْرَةِ مَجِيئِهِ بِالأَسارَى ؛ كَما نَقُولُ : فُلانٌ خَرَّاجٌ مِنَ البَيْتِ ووَلَّاجٌ فِيهِ إِذا دَخَلَ فِيهِ كَثِيراً وخَرَجَ مِنْهُ كَثِيراً ، وهَذا اللَّقَبُ بِما فِيهِ مِنَ المُبالَغَةِ فِي لَفْظِهِ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ مَجِيئِهِ بِالأَسارَى مِنْ بِلادِ النَّصارَى (ولَعَلَّهُ أَحْضَرَ مِنَ الأَسارَى أَكْثَرَ مِنْ واحِدٍ) لأَنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ حُرَّاسَ الأَسارَى مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ كانُوا يُوقِعُونَ عِقابَهُمُ الصَّارِمَ عَلَى مَنْ يَنْطِقُ بِاسْمِ البَدَوِيِّ مِنَ الأَسارَى فِي مُعْتَقَلاتِهِمْ (وما ذاكَ إِلَّا لِتَكَرُّرِ مَسْؤُولِيَّاتِهِمْ أَمامَ رُؤَسائِهِمْ عَمَّا يَخْتَفِي مِنَ الأَسارَى مِنْ مُعْتَقَلاتِهِمْ ولأَنَّ الصَّلِيبِيِّينَ اخْتَطَفُوا ظُلْماً واقْتَنَصُوا غَدْراً عَدَداً كَثِيراً مِنْ طَبَقاتِ الشَّعْبِ المِصْرِي) ، والشَّعْبُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَصْبِرَ ويَقْتَنِعَ مِنْ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِمَجِيءِ أَسِيرٍ واحِدٍ لامْرَأَةٍ واحِدَةٍ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الطَّبَقاتِ ؛ وقَدْ أَظْهَرَ اسْتِعْدادَهُ لِمِثْلِ هَذِهِ العَمَلِيَّةِ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِّ عَلَى عَهْدِ سَيِّدِنا سُلَيْمانَ عليه السلام ، وباشَرَ مِثْلَها آصِفُ بنُ بَرْخِيا كاتِبُ سَيِّدِنا سُلَيْمانَ عليه السلام ، وما كانَتْ رُوحُ البَدَوِيِّ أَقَلَّ اسْتِعْداداً مِنْ رُوحِ شَيْطانٍ ، وما كانَ اللهُ

لِيُكْرِمَ كاتِبَ سَيِّدِنا سُلَيْمانَ عليه السلام ولا يُكْرِمَ خادِمَ القُرْآنِ وسَلِيلَ سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنان ﷺ ، ولَيْسَ الاحْتِفاظُ إِلَى الآنَ بالقُيُودِ والأَغْلالِ الَّتي كانُوا يَغُلُّونَهُمْ بِها ، وبَقاؤُها فِي أَيْدِي أَبْناءِ الأَسارَى وذُرِّيَّاتِهِمْ إِلَى الآنَ يَظْهَرُونَ بِها فِي مَوالِدِ البَدَوِيِّ السَّنَوِيَّةِ فِي العُهُودِ الأَخِيرَةِ إِلَّا مِنْ أَقْوَى الشَّواهِدِ عَلَى صِحَّةِ هَذا اللَّقَبِ وإِثْباتِهِ لِلبَدَوِي .

بَحْرُ العُلُومِ ومَعْنَى قَوْلِهِ : (سَواقِيَّ تَدُورُ عَلَى المُحِيطِ)

بَحْرُ العُلُومِ لَقَبٌ مِنْ أَلْقابِهِ يُنادِيهِ النَّاسُ بِهِ ولَقَّبَهُ بِهِ سَيِّدِي عَبْدُ العَزِيزِ الدِّرِينِي بَعْدَ أَنْ تَناقَشَ مَعَهُ فِي بَعْضِ المَسائِلِ العِلْمِيَّةِ فَكانَ إِذا سُئِلَ عَنْهُ يَقُولُ : (هُوَ البَحْرُ لا يُدْرَكُ لَهُ قَرارٌ) ، وكانَ مِنْ مُتَرَتِّباتِ النَّتِيجَةِ أَنْ صارَ الشَّيْخُ الدِّرِينِي مُرِيداً وتابِعاً لِلقُطْبِ البَدَوِي ، وقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي شِعْرِهِ قائِلاً :

يَقُولُونَ يا عَبْدَ الْعَزِيزِ بنَ أَحْمَدٍ
بِمَنْ فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ ما عِشْتَ تَقْتَدِي
فَقُلْتُ بِأُسْتاذِي وشَيْخِ مَشايِخِي
وشَيْخِ طَرِيقِي والْحَقِيقَةِ أَحْمَدِ

والحَقِيقَةُ أَنَّ مَنْ يُمارِسُ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيَّ يُدْرِكُ أَنَّ عُلُومَهُ ومَعارِفَهُ

الرَّبَّانِيَّةَ مِنْ طِرازٍ فَوْقَ مُتَناوَلِ العُرْفِ ومُنْتَهَى العَقْلِ ولا يَسَعُ مَنْ يَسْمَعُها إِلَّا أَنْ يَعْتَرِفَ بما اعْتَرَفَ بِهِ العارِفُ الدِّرِينِي ، ويَعْجَبُ كَيْفَ تَصْدُرُ هَذِهِ المَعارِفُ مِنْ عَقْلِ إِنْسانٍ ؛ وقَدْ وَصَفَ لَنا عُلُومَهُ وأَسْرارَهُ ومَعارِفَهُ فِي عِبارَتِهِ المَشْهُورَةِ الَّتِي نَقَلَها عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ المُؤَرِّخِينَ وهِيَ قَوْلُهُ : (وعِزَّةِ رَبِّي سَواقِيَّ تَدُورُ عَلَى المُحِيطِ ، لَوْ نَفِدَ ماءُ سَواقِي الدُّنْيا ما نَفِدَ ماءُ سَواقِيَّ) : فَلَيْسَ البَحْرُ المُحِيطُ الَّذِي يَعْنِيهِ فِي هَذا التَّمْثِيلِ إِلَّا سَيِّدَ المُرْسَلِينَ ﷺ ، ولَيْسَتْ هَذِهِ المِياهُ إِلَّا العُلُومَ والمَعارِفَ والأَسْرارَ النَّبَوِيَّةَ الَّتِي يَسْتَقِي مِنْها عُلُومَهُ ومَعارِفَهُ وأَسْرارَهُ كَما قالَ المُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ ؛ فَسَّرُوا ﴿مَآءً﴾ بالمَعارِفِ والعُلُومِ ، و ﴿أَوْدِيَةٌۢ﴾ بالقُلُوبِ الَّتِي سالَتْ بِهَذِهِ العُلُومِ والمَعارِفِ ، ولا يَتَّضِحُ مَعْنَى هَذِهِ العِبارَةِ تَمامَ الاتِّضاحِ إِلَّا إِذا بَيَّنَّا ما هُوَ المُرادُ بالسَّواقِي ، قالَ فِي القامُوسِ : السَّواقِي جَمْعُ ساقِيَةٍ والسَّاقِيَةُ النَّهْرُ فالسَّواقِي الأَنْهارُ الكَثِيرَةُ .

يَقُولُ سَيِّدِي أَحْمَدُ : إِنَّهُ لَهُ سَواقٍ كَثِيرَةٌ أَيْ أَنْهارٌ كَثِيرَةٌ يَسْتَقِي مِنْ هَذِهِ الأَنْهارِ عُلُومَهُ ومَعارِفَهُ وأَسْرارَهُ المُتَنَوِّعَةَ بِتَنَوُّعِ تِلْكَ الأَنْهارِ ، ويَعْنِي

بِهَذِهِ الأَنْهارِ السَّادَةَ : الحَسَنَ والحُسَيْنَ والسَّيِّدَةَ الفاضِلَةَ الزَّهْراءَ وكَرِيمَتَها السَّيِّدَةَ الطَّاهِرَةَ وأَمِيرَ المُؤْمِنينَ عَلِيَّ بنَ أَبي طالِبٍ رضي الله عنهم ؛ فَإِنَّ مَدَدَهُ مُتَّصِلٌ بِهَؤُلاءِ جَميعِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُباشَرَةً ؛ فالسَّيِّدَةُ الزَّهْراءُ تَغْتَرِفُ مِنْ جانِبٍ وكَرِيمَتُها المُشِيرَةُ مِنْ جانِبٍ آخَرَ ، والحَسَنُ والحُسَيْنُ وأَمِيرُ المُؤْمِنينَ يَغْتَرِفُونَ مِنْ مَعِينٍ آخَرَ ، كُلٌّ عَلَى حَسَبِ ما أُلْهِمَ مِنْ مَشْرُوبٍ وقُدِّرَ لَهُ مِنْ شَرابٍ ، والبَدَوِيُّ رضي الله عنه قَدِ اغْتَرَفَ مِنْ هَذِهِ المَشارِبِ كُلِّها فاجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ السَّواقِي كُلُّها يَغْتَرِفُ مِنْها حَيْثُ شاءَ وكَما يَشاءُ بِقَدْرِ ما قَدَّرَتْ لَهُ المَشِيئَةُ الأَزَلِيَّةُ ، ولَيْسَتْ لَفْظَةُ الدَّوَرانِ إِلَّا تَرْشِيحاً لِهَذا التَّمْثِيلِ ذَكَرَها لَمَّا ذَكَرَ لَفْظَةَ السَّواقِي (لَوْ نَفِدَتْ مِياهُ أَنْهارِ الدُّنْيا ما نَفِدَتْ مِياهُ أَنْهارِهِ)؛ لأَنَّ مِياهَ أَنْهارِهِ كَما عَلِمْتَ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ ذَلِكَ المُحِيطِ الأَعْظَمِ ﷺ ، ولَوْ نَفِدَتْ عُلُومُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ما نَفِدَتْ عُلُومُهُ ومَعارِفُهُ ﷺ ، كَيْفَ والأَنْبِياءُ جَمِيعُهُمْ - عَلَيْهِمُ السَّلامُ - يَسْتَقُونَ مِنْ ماءِ مَعِينِهِ ﷺ .

والمَعْنَى الحَقِيقِيُّ لِهَذِهِ العِبارَةِ بِجُمْلَتِها : أَنَّ مَعارِفَهُ وأَسْرارَهُ وعُلُومَهُ مُتَنَوِّعَةٌ تَنَوُّعاً كَثِيراً ومُسْتَمَدَّةٌ مِنْ حَضْرَةِ الرَّسُولِ الأَعْظَمِ ﷺ مُقْتَبَسَةٌ مِنْهُ بِطَرِيقٍ مُباشِرٍ ، ويَصِفُ تَنَوُّعَها وكَثْرَتَها بِأَنَّ مَعارِفَ أَهْلِ الدُّنْيا

عَلَى زَمانِهِ لَوْ نَفِدَتْ ما نَفِدَتْ مَعارِفُهُ كَأَنَّهُ يُقْسِمُ بِعِزَّةِ رَبِّهِ إِنَّهُ بَحْرُ العُلُومِ الذَّي لا ساحِلَ لَهُ ولِهَذا لُقِّبَ بِهَذَا اللَّقَبِ .

الزَّاهِـد

لُقِّبَ بِهَذا اللَّقَبِ وهُوَ لَمْ يَتَجاوَزِ السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِهِ بـ (فاس) وعاشَ تِسْعَةً وسَبْعِينَ سَنَةً ولَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً يُورَثُ عَنْهُ إِلَّا عَباءَتَهُ وقَمِيصَهُ وعِمامَتَهُ وجُبَّتَهُ ومِهْراشَهُ ومِسْبَحَتَهُ ، ويَكْفِي فِي مَعْرِفَةِ زُهْدِهِ فِي الدُّنْيا بَيانُهُ لِلزُّهْدِ بِأَنَّهُ : مُخالَفَةُ النَّفْسِ بِتَرْكِ الشَّهَواتِ الدُّنْيَوِيَّةِ إِطْلاقاً وأَنْ يَتْرُكَ سَبْعِينَ باباً مِنَ الحَلالِ مَخافَةَ الوُقُوعِ فِي الحَرام .

أَبُو فَرَّاج

فَرَّجَ اللهُ الغَمَّ : كَشَفَهُ ، وفَرَّاجٌ : مُبالَغَةٌ فِي كَشْفِ الغُمُوم ، وأَبُو فَرَّاجٍ الكَشَّافُ لِلغُمُوم ؛ وهِيَ كَيْفِيَّةٌ اشْتُهِرَ بِها سَيِّدِي أَحْمَدُ وانْفَرَدَ بِها وَحْدُهُ تَدُلُّ عَلَى اخْتِصاصِهِ بِمَزِيَّةٍ اقْتَضَتْ هَذا الانْفِرادَ ، ولَعَلَّ نَوْعاً مِنَ العَطاءِ الَّذي اخْتَصَّهُ اللهُ بِهِ يَخْتَصُّ بِتَفْرِيجِ الأَزَماتِ وتَيْسِيرِ الحاجاتِ وتَنْفِيسِ الكُرُباتِ .

وهَذا النَّوْعُ مِنَ العَطاءِ يَجْعَلُ بابَ الرَّجاءِ أَمامَهُ فِي اللهِ مُتَيَسِّراً واحْتِمالَ قَبُولِهِ مُتَحَقِّقاً ، لا سِيَّما فِي الأَزَماتِ الخَطِيرَةِ والأَقْضِيَةِ

المُذْهِلَةِ الَّتِي تَنُوءُ بِاحْتِمالِها قُدُراتُ العَبْدِ والَّتِي اسْتَحَقَّها بِما كَسَبَ وعَفا اللهُ فِيها عَنْ كَثِيرٍ ؛ وقَدْ يُمْكِنُ اسْتِخْراجُ هَذا النَّوْعِ مِنَ العَطاءِ مِنْ كَلامِ سَيِّدِي أَحْمَدَ نَفْسِهِ ومِنْ قَوْلِهِ : (إِنَّ الفُقَراءَ كالزَّيْتُونِ وفِيهِمُ الصَّغِيرُ والكَبِيرُ ومَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَيْتٌ فَأَنا زَيْتُهُ أُساعِدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وقَضاءِ حَوائِجِهِ لا بِحَوْلِي ولا بِقُوَّتِي ولَكِنْ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ) ؛ فَبِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ وبِقُوَّةِ اتِّصالِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِهَذِهِ الحَضْرَةِ تَتَوالَى تَفْرِيجُ الأَزَماتِ وتَتَكاثَرُ تَيْسِيرُ الحاجاتِ وتَتَرادَفُ تَنْفِيسُ الكُرُباتِ حَتَّى عُرِفَ عِنْدَ النَّاسِ بِـ (أَبِي فَرَّاج) .

وخُلاصَةُ ما يُمْكِنُ ذِكْرُهُ فِي هَذا المَقامِ أَنَّهُ رضي الله عنه اخْتُصَّ بِبابٍ مِنْ أَبْوابِ الفَرَجِ اخْتَصَّهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وعُرِفَ بِسَبَبِهِ بِـ (أَبِي فَرَّاج)، وما وَراءَ ذَلِكَ نَدَعُ سِرَّهُ إِلَى اللهِ : ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

أَبُو العَبَّاس

فِي القامُوسِ : العابِسُ والعَبُوسُ والعَبَّاسُ هُوَ الأَسَدُ (وكَأَنَّ مَعْنَى عَبَسَ وَجْهُهُ : تَغَيَّرَ وَجْهُهُ مِنَ الغَضَبِ حَتَّى بَدَتْ عَلَيْهِ مَلامِحُ الأَسَدِ)، ولِكَوْنِ سَيِّدِي أَحْمَدَ أَسَداً مِنْ أُسْدِ اللهِ كَما قَدَّمْنا بَيانَهُ فِي لَقَبِ السَّيِّدِ

والسِّيدِ وَضَعُوا لَهُ هَذِهِ الكُنْيَةَ فَكَنَّوْهُ بِهَذِهِ الكُنْيَةِ كَما كَنَّوْا بِها كُلَّ مَنْ تَسَمَّى بِاسْمِ أَحْمَدَ وكانَ عَلَى هَذا القَدَمِ (وتَوَسَّعُوا عُرْفاً فِي إِطْلاقِها عَلَى كُلِّ مَنِ اسْمُهُ أَحْمَدُ ولَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذا القَدَمِ كَما تَوَسَّعُوا فِي إِطْلاقِ أَبِي خَلِيلٍ عَلَى كُلِّ إِبْراهِيمَ ولَوْ لَمْ يَكُنْ خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ ، وكَما تَوَسَّعُوا فِي إِطْلاقِ أَبِي عَوْفٍ عَلى كُلِّ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ولَوْ لَمْ يَكُنْ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بنَ عَوْف) .

القُدْسِي

القُدُّوسُ اسْمٌ مِنْ أَسْماءِ اللهِ تَعالَى مَعْناهُ الطَّاهِرُ ، وقُدْسُ اللهِ وطُهْرُهُ مَعْناهُ تَنَزُّهُهُ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ يُدْرَكُ بِالحِسِّ أَوْ يُتَصَوَّرُ بِالخَيالِ أَوْ يَقْضِي بِهِ التَّفْكِيرُ وكَذا تَنَزُّهُهُ عَنْ كُلِّ ما يَعُدُّهُ النَّاسُ عَيْباً أَوْ نَقْصاً ، وقُدْسُ العَبْدِ وطُهْرُهُ مَعْناهُ تَنَزُّهُهُ عَنْ أَنْ تَحُومَ نَفْسُهُ حَوْلَ الحُظُوظِ البَشَرِيَّةِ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى لَذَّةِ الشَّهْوَةِ ومُتْعَةِ المَطْعَمِ والمَلْبَسِ والمَشْرَبِ والمَلْمَسِ وسائِرِ المَلَذَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وقَصْرُ هِمَّتِهِ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ بِحَيْثُ لا يَبْقَى لَهُ حَظٌّ إِلَّا فِي اللهِ ولا يَكُونُ لَهُ شَوْقٌ إِلَّا إِلَى اللِّقاءِ بِهِ ولا فَرَحٌ إِلَّا بِالقُرْبِ مِنْهُ ولا أُنْسٌ إِلَّا بِمُشاهَدَتِهِ ، وهَذِهِ الصِّفاتُ الَّتِي ذَكَرْناها فِي بَيانِ مَعْنَى قُدْسِ العَبْدِ هِيَ بِعَيْنِها الَّتِي تَقْرَؤُها فِي تارِيخِ سَيِّدِي

أَحْمَدَ مِنْ أَوَّلِ فَصْلٍ فِي تارِيخِهِ إِلَى آخرِ فَصْلٍ فِيهِ ، وهِيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِها سُمِّيَ قُدْسِيًّا .

الصَّامِت

كانَ البَدَوِيُّ يُعَوِّلُ عَلَى الذِّكْرِ بالقَلْبِ ؛ لأَنَّ الذِّكْرَ بِالقَلْبِ أَعْمَقُ أَثراً وأَكْثَرُ عَدَداً وأَعْظَمُ نَفْعاً ، لأَنَّهُ كُلَّما دارَ الاسْمُ عَلَى اللِّسان مَرَّةً دارَ فِي القَلْبِ أَضْعافَ هَذِهِ المَرَّةِ لِسُرْعَةِ جَرَيانِهِ فِي القَلْبِ عَلَى سُرْعَةِ جَرَيانِهِ فِي مَخارِجِ الحُرُوفِ ، وشَتَّانَ بَيْنَ جَرَيانِهِ فِي القَلْبِ وجَرَيانِهِ فِي مَخارِجِ الحُرُوفِ ؛ ومِنْ ضَرُورَةِ الذِّكْرِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ظُهُورُ الصَّمْتِ فِي اللِّسانِ وظُهُورُ السُّكُونِ عَلَى أَعْضاءِ البَدَنِ ، ولِغَلَبَةِ أَوْقاتِ الذِّكْرِ عَلَيْهِ غَلَبَ عَلَيْهِ الصَّمْتُ حَتَّى عُرِفَ بِالصَّامِتِ ، وهَذا عِلاوَةٌ عَلَى أَنَّ الصَّمْتَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكانِ الطَّرِيقِ المَشْهُورَةِ ؛ ومِنْ هُنا فَضَّلَ بَعْضُهُمْ العُزْلَةَ عَلَى غَيْرِها .

وَلِيُّ اللّه

الوَلِيُّ : المُحِبُّ والنَّصِيرُ ، والوَلِيُّ : اسْمٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الوَلْي ، ومَعْناهُ القُرْبُ والدُّنُوُّ ؛ فَوَلِيُّ اللّهِ تَعالَى بِمُقْتَضَى الإِطْلاقِ اللُّغَوِيِّ يُعْتَبَرُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلّهِ نَصِيراً لِدِينِهِ قَرِيباً مِنْهُ قُرْباً يُدْنِيهِ مِنْ حَضْرَتِهِ ؛

فَمَنْ لَمْ تَجْتَمِعْ فِيهِ هَذِهِ الصِّفاتُ لا يَكُونُ وَلِيًّا للّٰهِ فِي اللُّغَةِ .

ومُهِمٌّ بَيانُ مَعْنَى (وَلِّي النَّاسِ) الَّذِي ذَكَرَهُ القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آياتِهِ لِيَتَمَيَّزَ الفَرْقُ بَيْنَهُ وبَيْنَ (وَلِيِّ اللّٰهِ) ويَزُولَ الالْتِباسُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ يَخْلِطُونَ بَيْنَ (وَلِيِّ اللّٰهِ)، و(وَلِيِّ النَّاسِ) فَيَجْعَلُونَ هَذا فِي مَوْضِعِ ذاكَ وبالعَكْسِ ؛ فَيَذْكُرُونَ مَثَلاً فِي تَعْرِيفِ وَلِيِّ اللّٰهِ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ﴾ وقَوْلَهُ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ، مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ، وقَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ﴾ ، ونَحْوَها نَحْوَ : ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ : كُلُّها فِي بَيانِ (وَلِيِّ النَّاسِ) لا فِي بَيانِ (وَلِيِّ اللّٰهِ) وهُوَ خَلْطٌ واضِحٌ .

أَمَّا وَلِيُّ اللّٰهِ أَوْ أَوْلِياءُ اللّٰهِ فَقَدْ أَوْضَحَ القُرْآنُ أَوْصافَهُمْ بِقَوْلِهِ جَلَّتْ حِكْمَتُه : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ؛ فَبَيَّنَتِ الآيَةُ أَنَّ مِنْ أَخَصِّ صِفاتِهِمُ الإيمانَ والتَّقْوَى ، وقَدْ وَصَفَ اللّٰهُ المُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، واضْطَرَبَتْ مِنْ مُجَرَّدِ ذِكْرِهِ

هَيْبَةً وجَلالاً ولا يَضْطَرِبُونَ عِنْدَ مُجَرَّدِ ذِكْرِهِ إلَّا إذا عَرَفُوا هَيْبَتَهُ وجَلالَهُ كَما يَضْطَرِبُ قَلْبُ المُحِبِّ بِمُجَرَّدِ ذِكْرِ حَبِيبِهِ وهَذا أَحَدُ أَوْصافٍ خَمْسَةٍ للمُؤْمِنِينَ ذُكِرَتْ كُلُّها فِي هَذِهِ الآيَةِ ويَطُولُ بِنا الحَدِيثُ إذا نَحْنُ تَتَبَّعْناها ، ويَكْفِي هَذا الوَصْفُ فِي التَّعْرِيفِ بإيمانِ أَوْلِياءِ اللَّهِ تَعالَى ، الوَصْفُ الثَّانِي مِنْ أَوْصافِ الأَوْلِياءِ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعالَى بِقَوْلِهِ : ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ أَيْ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ويَخافُونَ سَطْوَتَهُ فَتَجَنَّبُوا كُلَّ ما يُوقِعُ فِي الإِثْمِ مِنْ فِعْلِ مَعْصِيَةٍ ولَوْ صَغِيرَةً وتَرْكِ طاعَةٍ ولَوْ مَنْدُوبَةً وأَقْبَلُوا عَلَى رَبِّهِمْ بِكُلِّهِمْ ؛ فَإذا اسْتَقامُوا عَلَى الإيمانِ كَما وَصَفْنا وعَلَى التَّقْوَى كَما بَيَّنَّا اسْتِقامَةً مِثْلَ الاسْتِقامَةِ الَّتِي طَلَبَها اللَّهُ مِنْ رَسُولِهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعالَى :﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ فَقَدْ تَحَقَّقَتْ فِيهِمْ أَوْصافُ الأَوْلِياءِ وكانُوا أَحِقَّاءَ بِأَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِمْ اسْمُ أَوْلِياءِ اللهِ سَواءٌ أَكانُوا تُجَّاراً أَمْ صُنَّاعاً أَمْ حُكَّاماً أَمْ عُلَماءَ أَمْ فَلَّاحِينَ ، أَمَّا إذا لَمْ تَتَحَقَّقْ فِيهِمْ هَذِهِ الأَوْصافُ فَيَجِبُ بِمَفْهُومِ القُرْآنِ أَنْ تُنْفَى عَنْهُمُ الوِلايَةُ حَتَّى يَكُونَ ما لِلَّهِ لِلَّهِ وما لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ ؛ فَوَلِيُّ اللهِ عَبْدٌ بَلَغَ مِنْ تَفانِيهِ فِي حَضْرَتِهِ وذَوَبانِهِ فِي خِدْمَتِهِ أَنْ قَرَّبَهُ اللَّهُ مِنْهُ وأَدْناهُ مِنْ ساحَتِهِ حَتَّى إِنَّهُ سُبْحانَهُ شَرَّفَهُ

أَعْظَمَ تَشْرِيفٍ وكَرَّمَهُ أَبْلَغَ تَكْرِيم ؛ انْظُرْ كَيْفَ أضافَ وِلايَتَهُ إِلَى اللَّهِ نَفْسِهِ فَسَمَّاهُ (وَلِيَّ اللَّهِ) وفِي هَذا أَكْبَرُ تَشْرِيفٍ لا يَخْفَى عَلَى الفَطِنِ الأَرِيبِ ؛ لأَنَّهُ تَوَلَّى اللَّهَ بِتفانِيهِ فِي طاعَتِهِ فَأَلْبَسَهُ لِباسَ وِلايَتِهِ فَكانَ لِلَّهِ وَلِيًّا .

والمُعْتَرِضُ عَلَى سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ يُطْلِقُ كَلِمَةَ وَلِيِّ اللَّهِ عَلَى مَنِ اتَّقَى الشِّرْكَ بِاللَّهِ وقالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، هَذا وَلِيُّ اللَّهِ عِنْدَ حَضْرَتِهِ (ومَعْلُومٌ أَنَّ هَذا الإِطْلاقَ لا تُساعِدُ عَلَيْهِ اللُّغَةُ لأَنَّ الوَلِيَّ كَما بَيَّنَّا مَعْناهُ المُحِبُّ والنَّصِيرُ)، ومَأْخُوذٌ كَما قُلْنا مِنْ مادَّةِ القُرْبِ والدُّنُوِّ : فَكَلِمَةُ الوَلِيِّ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ يَنْتَظِمُ فِيها بِحَسَبِ مَعْناها أَنْ يَكُونَ العَبْدُ قَرِيباً مِنَ اللَّهِ قُرْباً يُدْنِيهِ مِنْ حَضْرَتِهِ (وهَذا قَدْ لا يَتَحَقَّقُ فِي خَواصِّ النَّاسِ فَضْلاً عَمَّنِ اتَّقَى الشِّرْكَ بِاللَّهِ وقالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ وكَما لا تُساعِدُ عَلَيْهِ اللُّغَةُ يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ نَفْسُهُ لأَنَّهُ تَعالَى وَصَفَ عِبادَهُ المُقَرَّبِينَ بِأَنَّهُمْ قَلِيلُونَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ ، فَكَيْفَ نُطْلِقُ أَوْلِياءَ اللَّهِ المُقَرَّبِينَ عَلَى كُلِّ مَنْ هَبَّ ودَبَّ حَتَّى مَنْ نَبَتَتْ قُرُونُهُ وطالَتْ آذانُهُ ؛ إِنَّما وَلِيُّ اللَّهِ : هُوَ عَبْدٌ أَحَبَّ اللَّهَ حُبًّا صادِقاً ونَصَرَ دِينَهُ نَصْراً حَقِيقِيًّا وقَرُبَ مِنْهُ قُرْباً حَقِيقِيًّا ، ولا تَتَحَقَّقُ المَحَبَّةُ

الصَّادِقَةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا عَنْ تَعارُفٍ بَيْنَهُما فَهُوَ عَبْدٌ عرَفَ رَبَّهُ فَأَحَبَّهُ ؛ ولا تَتَحَقَّقُ نُصْرَتُهُ لِدِينِهِ إِلَّا إذا حافَظَ عَلَى كُلِّ ما يَقْتَضِيهِ الدِّينُ ثُمَّ قامَ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى هَدْيِهِ المُسْتَقِيمِ ، ولا يَتَحَقَّقُ قُرْبُهُ مِنْهُ قُرْباً حَقِيقِيًّا إِلَّا إذا شاهَدَهُ فَأَدْناهُ مِنْ حَضْرَتِهِ ، فَإِذا أَحَبَّ اللَّهَ كَذَلِكَ ونَصَرَ دِينَهُ عَلَى هَذا النَّحْوِ وقَرُبَ مِنْهُ هَذا القُرْبَ فَهُوَ الوَلِيُّ حَقًّا ؛ وتارِيخُ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ كُلُّهُ يَدُورُ فِي هَذا الفَلَكِ فَكانَ جَدِيراً بِأَنْ يُلَقَّبَ بِوَلِيِّ اللَّه .

العَطَّاب

ذَكَرُوا أَنَّهُ اشْتُهِرَ بِالعَطَّابِ لِكَثْرَةِ ما كانَ يَقَعُ مِنَ الضَّرَرِ لِكُلِّ مَنْ آذاهُ ؛ وفِي اشْتِهارِهِ بِهَذِهِ أَمارَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لِغَضَبِهِ ويُحارِبُ مَنْ حارَبَهُ وأَنَّهُ رضي الله عنه كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي مُعامَلَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ ومِنَ المُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ ، وكَثْرَةُ الضَّرَرِ لِمَنْ آذاهُ لا تَعْنِي اضْطِرادَ الضَّرَرِ كُلَّما أُوذِيَ ؛ فَقَدْ يَكُونُ الضَّرَرُ الأَنْكَى فِي التَّأْخِيرِ لا فِي التَّعْجِيلِ ، والعَطَبُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الفُتُوَّةِ الَّتِي لُقِّبَ بِها وأَوْضَحْناهُ فِيما سَبَقَ ، فَمِنْ ضَرُورِيَّاتِ الفُتُوَّةِ البَدَنِيَّةِ إِصابَةُ مَنْ باراهُ وغالَبَهُ بِالضَّرَرِ والعَطَبِ ؛ ولِذا سَمَّاهُ أَخُوهُ بِالعَطَّابِ لِفُتُوَّتِهِ البَدَنِيَّةِ وهُوَ أَيْضاً

مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الفُتُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ لأَنَّ الفَتَى الرُّوحِيَّ أَقْدَرُ فِي الانْتِصارِ وإِصابَةِ الغَرَضِ مِنَ الفَتَى الشُّجاعِ .

العارِفُ بِاللّٰه

المَعْرِفَةُ بِاللّٰهِ : هِيَ أَوَّلُ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنازِلِ الوَلِيِّ أَوْ آخِرُ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنازِلِهِ ولا يَصِحُّ أَنْ يُطْلَقَ الوَلِيُّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا إِذا حَصَلَ عَلَى هَذِهِ المَنْزِلَةِ ؛ ولِذا جَعَلَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ المَعْرِفَةَ أُولَى عَلاماتِ الوَلِيِّ ، وجَعَلَها عُلَماءُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ كَلِمَةٍ فِي تَعْرِيفِ الوَلِيِّ : بِأَنَّهُ العارِفُ بِاللّٰهِ تَعالَى المُواظِبُ عَلَى طاعَتِهِ ... إِلَى آخِرِهِ ، وإِنَّما رَدَّدْناهُ هَذا التَّرْدِيدَ وقُلْنا إِنَّ المَعْرِفَةَ هِيَ أَوَّلُ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنازِلِ الوَلِيِّ أَوْ آخِرُ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنازِلِهِ لأَنَّ الأَوْلِياءَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ للّٰهِ عَلَى صِنْفَيْنِ : صِنْفٌ يَمُنُّ اللّٰهُ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَتِهِ فِي بِدايَةِ أَمْرِهِ فَيَشْهَدُ أَوَّلَ ما يَشْهَدُ فِي سُلُوكِهِ ذاتَ اللّٰهِ تَبارَكَ وتَعالَى كَأَنَّهُ يَراهُ مُتَيَقِّناً بِأَنَّ اللّٰهَ يَراهُ ، وبَعْدَ أَنْ يُفِيضَ اللّٰهُ عَلَيْهِ ما شاءَ مِنْ أَسْرارِهِ يَرُدُّهُ إِلَى التَّعَرُّفِ بِصِفاتِهِ ثُمَّ بِأَسْمائِهِ ثُمَّ إِلَى مُشاهَدَةِ الآثارِ ، وصِنْفٌ يَشْهَدُ فِي سُلُوكِهِ الآثارَ أَوَّلاً ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْها إِلَى مَعْرِفَةِ الأَسْماءِ ثُمَّ الصِّفاتِ ثُمَّ الذَّاتِ ؛ فَلِهَذا قُلْنا إِنَّ المَعْرِفَةَ هِيَ أَوَّلُ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنازِلِ الوَلِيِّ أَوْ آخِرُ مَنْزِلَةٍ مِنْ مَنازِلِهِ ،

وِمنْ هُنا قالَ بَعْضُ كِبارِ الصُّوفِيَّةِ كَلِمَتَهُ المَشْهُورَةَ : إنَّ بِدايَتَنا نِهايَةُ غَيْرِنا ؛ لأَنَّهُ كانَ مِنَ الصِّنْفِ الَّذي مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِمَعْرِفَتِهِ أَوَّلاً في بِدايَةِ أَمْرِهِ .

ولَيْسَ المُرادُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعالَى العِلْمَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ الَّتِي لا تَحْتَمِلُ شَكًّا أَوْ عَنْ طَرِيقِ الخَبَرِ الصَّادِقِ أَوْ عَنْ طَرِيقِ الحَواسِّ الظَّاهِرَةِ بَلْ مَعْرِفَتُهُ عَنْ طَرِيقِ الشُّهُودِ بِالبَصائِرِ فَتَكُونُ المَعْرِفَةُ غَيْرَ العِلْمِ .

وتَمْييزُ العارِفِ عَنْ غَيْرِ العارِفِ عَسِيرٌ وشاقٌّ لأَنَّ مَعْرِفَةَ اللهِ سِرٌّ مِنْ أَسْرارِهِ ولا يُمْكِنُ أَنْ يَدَّعِيَها عارِفٌ مَهْما سَمَتْ دَرَجَتُهُ اللهُمَّ إلَّا أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقٍ تَلْمِيحِيٍّ فَقَط ؛ وفِي كَلامِ الصُّوفِيَّةِ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ التَّلْمِيحاتِ وفِي كَلامِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْضٌ مِنْ هَذِهِ التَّلْمِيحاتِ ؛ فَقَدْ سَأَلَهُ أَصْحابُهُ رضي الله عنهم : هَلْ نَرَى رَبَّنا يَوْمَ القِيامَةِ فَأَجابَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِقَوْلِهِ : (وهَلْ تُمارُونَ فِي القَمَرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحابٌ) فَقالُوا : لا يا رَسُولَ اللهِ ، قالَ ﷺ : (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ)، فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ (فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ) تَلْمِيحٌ مِنْهُ بِأَنَّهُ عارِفٌ بِرَبِّهِ حَقَّ المَعْرِفَةِ وإِنْ كانَ ظاهِرُ كَلامِهِ أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ تَكُونُ فِي القِيامَةِ مِنَ

الوُضوحِ بحَيْثُ لا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ كَما أَجابَهُمْ أَيْضاً فِي مُناسَبَةٍ أُخْرَى بِقَوْلِهِ ﷺ : (نُورٌ أَنَّى أَراهُ)، ولَمْ يَتْرُكِ اللَّهُ تَعالَى عِبادَهُ فِي جَهالَةٍ مِنْ مَعْرِفَتِهِ كَيْفَ وهُوَ سُبْحانَهُ لَمْ يَخْلُقْهُمْ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ ، قالَ تَعالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ؛ فَهُوَ سُبْحانَهُ ذَكَرَ العِلَّةَ الباعِثَةَ عَلَى المَعْرِفَةِ وهِيَ العِبادَةُ ، وإِلَّا فالغايَةُ الوَحِيدَةُ مِنَ الخَلْقِ هِيَ المَعْرِفَةُ ؛ ولِهَذا فَسَّرَ حَبْرُ الأُمَّةِ سَيِّدُنا عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما العِلَّةَ بِغايَتِها فَقالَ : ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ مَعْناها لِيَعْرِفُون .

وقَدْ وَضَّحَ لَهُمْ طَرِيقَ مَعْرِفَتِهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى بِالأَمْثِلَةِ الواضِحَةِ الَّتِي لا تَحْتَمِلُ لَبْساً ولا خَفاءً لِيَعْرِفُوهُ ؛ فَقالَ لَهُمْ : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ ، فَمَنْ حَقَّقَ عِبادَتَهُ لا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَهُ مِنْ كَلامِهِ الَّذي وَضَّحَهُ لَهُمْ إِنْ كانُوا يَعْقِلُونَ ، ولَمَّا كانَتِ المُعْجِزاتُ هِيَ الَّتِي مَيَّزَتْ لَنا الصَّادِقَ مِنْ غَيْرِ الصَّادِقِ كانَتِ الكَراماتُ هِيَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ نُمَيِّزَ بِها العارِفَ مِنْ غَيْرِ العارِفِ ؛ فَمَتَى ظَهَرَتِ الكَراماتُ عَلَى يَدِ أَحَدٍ مُسْتَوْفٍ لأَرْكانِ الوِلايَةِ والصَّلاحِ عَلِمْنا أَنَّهُ مِنَ العارِفِينَ بِاللَّهِ ؛ هَذا ما يُمْكِنُ أَنْ نَعْرِفَ بِهِ العارِفَ مِنْ غَيْرِ العارِفِ .

وظُهُورُ الكَراماتِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ شَيْءٌ لا يُمْكِنُ إِحْصاؤُهُ فَكانَ جَدِيراً بِأَنْ يُسَمَّى عارِفاً بالله .

السُّطُوحِي

وذَلِكَ لأَنَّهُ أَقامَ بِالسُّطُوحِ واتَّخَذَ مِنْ سَطْحِ بَيْتِ الشَّيْخِ رَكِين بِطَنْطا مَرْكَزاً لِجامِعَتِهِ السُّطُوحِيَّةِ وطَرِيقَتِهِ الأَحْمَدِيَّةِ فَلُقِّبَ بـ (السُّطُوحِي)، وفِي ذَلِكَ يَقُولُ رضي الله عنه :

بِالسُّطُوحِيِّ وبِالْمُلَثَّمِ أُدْعَىٰ ۞ بَـدَوِيًّـا كالسَّـادَةِ الآبَـاءِ

العِيسَوِي

فَإِنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيَّ كانَ عَلَى قَدَمِ سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام ؛ أَيْ يَسْتَمِدُّ مِنَ الحَضْرَةِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنْ نَفْسِ المَشْرَبِ الرُّوحِي الَّذِي يَسْتَمِدُّ مِنْهُ كَلِمَةُ اللهِ عليه السلام ، ثُمَّ لَقَدْ ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ بَعْضُ الكَراماتِ مِنْ جِنْسِ ما ظَهَرَ لِسَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام مِنَ المُعْجِزاتِ .

شَيْخُ العَرَب

وهُوَ مِنْ أَشْهَرِ أَلْقابِهِ ، وهُوَ دالٌّ عَلَى اسْتِجْماعِ القُطْبِ البَدَوِيِّ رضي الله عنه لِكَرامِ صِفاتِ العَرَبِ وشَرائِفِ مَآثِرِهِمْ وأَجْوَدِ نُعُوتِهِمْ مِنَ الجُودِ والكَرَمِ والنَّجْدَةِ والإِيثارِ ومَكارِمِ الأَخْلاقِ .

كراماتُهُ

وكَرامَةُ **السَّيِّدِ الكُبْرَى** : هِيَ أَنَّهُ رَبَّى رِجالًا ، وكَوَّنَ أَبْطالاً مُجاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ .

إِنَّ مَدْرَسَةَ السَّيِّدِ مُنْذُ أَنْ أَنْشَأَها فَوْقَ السَّطْحِ لا تَزالُ تَعْمَلُ ، وقَدِ افْتُتِحَتْ لَها فُرُوعٌ فِي جَمِيعِ أَنْحاءِ العالَمِ ، وفِي كُلِّ جِيلٍ مِنَ الأَجْيالِ يَهْتَدِي بِسَبَبِ دَعْوَتِهِ آلافُ الأَشْخاصِ فِي مُخْتَلَفِ المُسْتَوَياتِ .

ولَعَلَّ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ عَنِ السَّيِّدِ ساخِرِينَ يَسْأَلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَمَّا فَعَلُوا هُمْ فِي الرُّقِيِّ بِالمُجْتَمَعِ أَخْلاقِيًّا ، وعَمَّا قامُوا بِهِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ ، وهَلْ لَهُمْ فِي مَجالِ الهِدايَةِ قَدَمٌ ، ثُمَّ لَعَلَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ويُحاسِبُونَها فِي مَجالِ الخَيْرِ والشَّرِّ ، وفِي مَجالِ مُجاهَدَةِ النَّفْسِ وتَزْكِيَتِها ... إِذا فَعَلُوا ذَلِكَ فِي صِدْقٍ ، فَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُمْ سَيَأْسَفُونَ فِي خَجَلٍ عَمَّا قامُوا بِهِ مِنْ مُحاوَلَةٍ (لَمْ يُكْتَبْ لَها النَّجاحُ) لِلتَّقْلِيلِ مِنْ شَأْنِ قِمَّةٍ مِنْ قِمَمِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ .

فَإِذا ما أَسِفُوا فَسَيَكُونُ هَذا بِدايَةَ هِدايَتِهِمْ إِنْ شاءَ اللهُ ، وسَيَعُودُ الفَضْلُ فِيهِ إِلَى السَّيِّدِ نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ وأَعْلَى فِي العالَمِينَ ذِكْرَهُ .

ومِنَ الكَراماتِ : ما وَقَعَ لَهُ مَعَ الشَّيْخِ رَكِينٍ الَّذِي هُوَ نازِلٌ فِي بَيْتِهِ ،

جاءَ إِلَيْهِ فَقالَ : يا سَيِّدِي ، جاءَ أَمِيرُ النَّاحِيَةِ وضَرَبَ خِيامَ عَسْكَرِهِ حَوْلَ طَنْدَتا ، وأَرْسَلَ جُنْدَهُ لِجَمْعِ الشَّعِيرِ مِنَ البَلْدَةِ لِعَلَفِ دَوابِّ العَسْكَرِ ، ولَيْسَ هُوَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ إِلَّا عِنْدِي ، وأَخافُ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنِّي كُلَّهُ .

فَقالَ لَهُ سَيِّدي أَحْمَدُ : لا تَخَفْ ، وإِنْ سَأَلُوكَ عَنِ الشَّعِيرِ فَقُلْ لَهُمْ : ما عِنْدِي إِلَّا قَمْحُ زَرِّيعَةٍ ، فَلَمَّا جاءَ أَعْوانُ الأَمِيرِ لِطَلَبِ الشَّعِيرِ ، قالَ لَهُمْ : ما عِنْدِي إِلَّا قَمْحُ زَرِّيعَة ، فَأَخَذُوا مِنْهُ مِفْتاحَ المَخْزَنِ وفَتَحُوهُ فَما وَجَدُوا فِيهِ إِلَّا قَمْحَ زَرِّيعَةٍ لا يَصْلُحُ عَلَفاً لِدَوابِّهِمْ ، فَتَرَكُوهُ وانْصَرَفُوا عَنْهُ .

وهَذِهِ الكَرامَةُ مِنْ قَبِيلِ قَلْبِ الأَعْيانِ لِحِمايَةِ مَنِ احْتَمَى بِوَلِيٍّ مِنْ أَوْلِياءِ اللهِ تَعالَى ؛ وهِيَ كَرامَةٌ مُتَواتِرَةٌ ولَها نَظائِرُ لا تُحْصَى فِي كُتُبِ التَّارِيخِ والمَناقِبِ .

ومِنْ كَراماتِهِ رضي الله عنه : قِصَّةُ المَرْأَةِ الَّتِي أَسَرَ الفِرِنْجُ وَلَدَها فَلاذَتْ بِهِ فَأَحْضَرَهُ اللهُ تَعالَى إِكْراماً لَهُ فِي قُيُودِهِ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهاد .

وقَدْ وَقَعَ نَحْوَ هَذِهِ الكَرامَةِ كَثِيرٌ وكَثِيرٌ وَقْتَ الحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ حَتَّى قالُوا : (اللهِ اللهِ يا بَدَوِي جاب اليُسْرا) أَي الأَسْرَى .

ومِنْ كَراماتِهِ : أَنَّ امْرَأَةً ماتَ لَها وَلَدٌ صَغِيرٌ ، فَحَصَلَ لَها عَلَيْهِ وَجْدٌ شَدِيدٌ فَجاءَتْ إِلَى سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ ، وهِيَ صارِخَةٌ وقالَتْ : يا سَيِّدِي أَحْمَدُ ما أَعرِفُ وَلَدِي إِلَّا مِنْكَ ، وقامَ مُرِيدُو السَّيِّدِ لِيَمْنَعُوها فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مَنْعِها وهِيَ تَقُولُ : سُقْتُ عَلَيْكَ اللهَ ورَسُولَهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ : مَدَّ سَيِّدِي أَحْمَدُ يَدَهُ ودَعا اللهَ تَعالَى ، فَأَحْيا اللهُ بِبَرَكَةِ دُعائِهِ وَلَدَها ؛ وهُنا نُنَوِّهُ بِأَنَّ الَّذِي أَحْيا المَيِّتَ هُوَ اللهُ تَعالَى ، ودُعاءُ السَّيِّدِ البَدَوِيِّ إِنَّما هُوَ سَبَبٌ فِي الإِجابَةِ ، وأَمَّا تَوَسُّلُ المَرْأَةِ بِالسَّيِّدِ البَدَوِيِّ بِاعْتِبارِهِ وَسِيلَةً مَقْبُولَةً إِلَى اللهِ فَذَلِكَ مَشْرُوعٌ ومَرْضِيٌّ مِنَ اللهِ .

وهَذِهِ تَبْصِرَةٌ وذِكْرَى لِمَنْ يَسْمَعُ ويَرَى :

يَقُولُ اللهُ تَعالَى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ ؛ فامْتِثالاً لأَمْرِ اللهِ تَعالَى وتَلْبِيَةً لِنِداءِ القُرْآنِ سَنَذْهَبُ إِلَى البَدَوِيِّ ونَقُولُ لَهُ حِسْبَةً لِوَجْهِ اللهِ تَعالَى وامْتِثالاً لأَمْرِ اللهِ عاوِنَّا فِي قَضاءِ حَوائِجِنا وساعِدْنا عَلَى قَضاءِ مَصالِحِنا ، واسْأَلِ اللهَ تَعالَى أَنْ يَكْشِفَ عَنَّا السُّوءَ ، واطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَمْنَحَنا رِضاهُ ، واسْأَلْهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنِ المُسْلِمِينَ ما هُمْ فِيهِ مِنْ جُهْدٍ وعَناءٍ ، وأَنْ يُزِيلَ عَنْهُمْ ما هُمْ فِيهِ مِنْ فاقَةٍ وبَلاءٍ ، سَنَقُولُ ذَلِكَ وأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، ونَقُولُ لَهُ : أَنْتَ أَعْرَفُ مِنَّا بِرَبِّكَ وأَدْرَى بِما يَجِبُ

لَهُ مِنْ أَدَبٍ وخُضُوعٍ ، واللهُ يَقُولُ : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ ، وَنَحْنُ عَبِيدٌ قَدْ أَعْمَتْنا الدُّنْيا عَنْ مَعْرِفَةِ اللهِ ، وشَغَلَتْنا عَنْ حَضْرَتِهِ ، وحالَتْ بَيْنَنا وبَيْنَهُ ، فَأَصْبَحْنا نَسْتَحِقُّ الإِبْعادَ ، ونَسْتَوْجِبُ الطَّرْدَ والإِعْراضَ مِنْ حَضْرَتِهِ ، ولَيْسَ لَنا مَوْئِلٌ ولا سَنَدٌ ولا مُعِينٌ إِلَّا أَنْ نَطْلُبَ مِنْكَ المُعاوَنَةَ والمُساعَدَةَ عِنْدَهُ ، فَإِنْ لَمْ تُعاوِنَّا وتُساعِدْنا فَما ذَلِكَ بِعَهْدِنا مِنْ أَهْلِ اللهِ المُقَرَّبِين .

نَعَمْ سَنَقُولُ لَهُ ذَلِكَ اعْتِرافاً لِلّهِ بِعَجْزِنا واعْتِرافاً بِخَطِيئَاتِنا ، وإِقْراراً بِتَقْصِيرِنا وقُصُورِنا عَنْ طَلَبِ السُّؤالِ مِنْهُ ؛ لأَنَّنا أَغْضَبْناهُ وخَرَجْنا عَنْ حُدُودِ الأَدَبِ فِي مُعامَلَتِهِ وانْصَعْنا لِشَهَواتِنا، وانْقَدْنا لأَهْوائِنا ، وما بَقِيَ لَنا وَجْهٌ نَسْأَلُهُ بِهِ ، ولِسانٌ نَذْكُرُهُ بِهِ ، وما بَقِيَ لَنا إِلَّا الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ بِأَخَصِّ أَحْبابِهِ وأَخْلَصِ المُقَرَّبِينَ إِلَيْه .

هَذا هُوَ تَقْدِيرُنا لِتَعالِيمِ القُرْآنِ ، وتَقْدِيرُنا لِمَقامِ رَبِّنا ، وتَقْدِيرُنا لِمَقامِ أَحْبابِهِ وتَقْدِيرُنا لأَنْفُسِنا ؛ فَمَنْ يَسْمَعْ يَسْمَعْ ، ومَنْ يُجانِبُ الدِّينَ والقُرْآنَ فَلَيْسَ لَنا مَعَهُ كَلامٌ .

ويَنْسَحِبُ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ وَلِيٍّ لِلّهِ صالِحٍ تَقِيٍّ حَيًّا كانَ أَمْ مُنْتَقِلاً ، وقَدْ حَذَّرَنا رَبُّنا مِنَ الآيِسِينَ المُؤَيِّسِينَ وأَمَرَنا مِنَ الفِرارِ مِنْهُمْ فَقالَ فِي

قُرْآنِهِ المُبِين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ [1].

ومِنْ كَراماتِهِ العُظْمَى : رُؤْيَتُهُ لِسَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي اليَقَظَةِ وسَماعِهِ وتَلَقِّيهِ عَنْ حَضْرَتِهِ ﷺ ، وذَلِكَ بِخِطابِهِ :

يَقُولُونَ زُرْتُمْ بِما رَجَعْتُمْ ❁ يا أَكْرَمَ الرُّسْلِ ما نَقُولُ

فَسَمِعَ ما يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ اتِّصالِهِ بِسَيِّدِ الخَلْقِ ﷺ ؛ وهُوَ إجابَةُ خِطابِهِ :

قُولُوا رَجَعْنا بِكُلِّ خَيْرٍ ❁ واجْتَمَعَ الفَرْعُ والأُصُولُ

ومِمَّا يَدُلُّنا عَلَى ذَلِكَ ما رَواهُ الشَّيْخُ أَبُو نَصِير : أَنَّ عالِماً مِنَ العُلَماءِ أَقْبَلَ عَلَى سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِي يَسْأَلُهُ فِي مَسائِلِ المَعْرِفَةِ (واسْمُ ذَلِكَ العالِمِ أَبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عَلِيٍّ) ، فَلَمَّا سَأَلَهُ صاحَ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ وغابَ عَنِ الحاضِرِينَ ، وصُعِقَ مَعَهُ السَّائِلُ ، ثُمَّ صاحَ مَرَّةً أُخْرَى فَأَفاقا ، فَسَأَلَ مُرِيدُو سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ عَنِ السَّبَبِ ، فَقالَ الإمامُ البَدَوِيُّ : إِنِّي تَمَنَّيْتُ عَلَى اللهِ رُؤْيَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى أَسْأَلَهُ عَنِ المَسائِلِ الَّتِي سُئِلْتُ عَنْها ، فَرَأَيْتُ سَيِّدَنا رَسُولَ اللهِ ومَعَهُ سَيِّدُنا مُوسَى بنُ عُمْرانَ عَلَيْهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِما فَرَدَّا عَلَيَّ السَّلامَ ، وأَشارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجُلُوسِ ، فَجَلَسْتُ ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ

(١) سُورَةُ المُمْتَحَنَة : الآيَة ١٣ .

فِي السُّؤالِ فَأْذَنَ لِي ، قالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ بَعْدَ مَسْأَلَةٍ، والنَّبيُّ ﷺ يُجيبُنِي ، فَلَمَّا كُنْتُ فِي آخِرِ مَسْأَلَةٍ سَلَّمَ عَلَيَّ الحَبيبُ والكَلِيمُ ، فَأَخَذَنِي الوَجْدُ مِنَ الفَرَحِ فَصِحْتُ هَذِهِ الصَّيْحَةَ .

وتَأْصِيلُ رُؤْيَتِهِ ﷺ والاجْتِماعُ بِهِ فِي اليَقَظَةِ قَدْ صَرَّحَ بِهِ أَئِمَّةٌ مِنَ العُلَماءِ الأَثْباتِ كالإمامِ السُّيُوطِي فِي كِتابِهِ : (تَنْوِيرُ الحَلَكِ فِي جَوازِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ والمَلَكِ)[1] .

غَيْبَةُ البَدَوِيِّ مُفارَقَةٌ للأَغْيارِ واسْتِغْراقٌ فِي الأَنْوار

لَقَدْ كانَ حُضُورُ السَّيِّدِ أَكْثَرَ مِنْ غِيابِهِ ، والواقِعُ أَنَّهُ ما كانَ يَتَأَتَّى لَهُ أَنْ يُقِيمَ هَذا الصَّرْحَ الشَّامِخَ مِنَ الطَّرِيقَةِ الأَحْمَدِيَّةِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ حُضُورُهُ أَكْثَرَ مِنْ غِيابِهِ ، ولَقَدْ رَبَّى المُرِيدِينَ ، وكانَتْ تَرْبِيَتُهُ للمُرِيدِينَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ اسْتِعْدادِهِمْ ، فَكانَ يُعْطِي كُلًّا مِنْهُمْ ما يُناسِبُهُ ، فَبَعْضُهُمْ تَكْفِيهِ نَظْرَةٌ : نَظْرَةٌ صادِرَةٌ مِنْ نَفْسٍ مَلِيئَةٍ بِالنُّورِ والإِلْهامِ ، فَتَتَعَلَّقُ رُوحُهُ بِالسَّيِّدِ ويُحاوِلُ دائِماً أَنْ يَلْتَقِيَ بِهِ كُلَّما أَمْكَنَتْهُ الفُرْصَةُ .

وبَعْضُهُمْ يَحْتاجُ إِلَى زَمَنٍ يَطُولُ أَوْ يَقْصُرُ بِحَسَبِ اسْتِعْدادِهِ .

وكُلَّما نَضِجَ المُرِيدُ وكُلَّما أَصْبَحَ السَّالِكُ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَجَّهَهُ السَّيِّدُ إِلَى هُنا أَوْ هُناكَ مِنْ قُرَى مِصْرَ القَرِيبَةِ أَوِ البَعِيدَةِ ، أَوْ يُرْسِلُهُ

---

(١) حَقِيقَةُ القُطْبِ النَّبَوِي السَّيِّدِ أَحْمَدَ البَدَوِي : د . جُودة مُحَمَّد أَبو اليَزِيدِ المَهْدِي .

إِلَى اليَمَنِ ، أَوِ الحِجازِ ، أَوِ الشَّام ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَقْطارِ والبِلاد .

إِنَّ كُلَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي أَنْ يَكُونَ الحُضُورُ أَكْثَرَ مِنَ الغِياب .

ثُمَّ ما الغِيابُ الَّذِي كانَ يَغِيبُهُ السَّيِّدُ ؟

إِنَّهُ لَيْسَ ذُهُولاً ، ولَيْسَ غَفْلَةً ، ولا يَمُتُّ بِصِلَةٍ إِلَى عَدَمِ الوَعْيِ ؛ كَلَّا وَلَكِنَّهُ اسْتِغْراقٌ فِي الفِكْرِ فِي آلاءِ اللهِ ونِعَمِهِ ، إِنَّهُ انْغِماسٌ فِي الأَنْوارِ تُشْرِقُ عَلَى قَلْبِهِ ، إِنَّهُ اسْتِجابَةٌ إِلَى السَّكِينَةِ تَمْلَأُ الجَوانِحَ والجَوارِحَ ، إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الرِّضا العَمِيقِ الَّذِي يَمْنَحُهُ اللهُ أَهْلَ الصَّفاءِ مِنْ عِبادِهِ ، إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ القُوَّةِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي تَكْتَفِي بِاللهِ عَنِ الخَلْقِ ، وتَكْتَفِي بِالهُدُوءِ الرُّوحِيِّ عَنِ الحَرَكَةِ الجِسْمانِيَّةِ ، وبِالتَّأَمُّلِ فِي مَلَكُوتِ اللهِ رُوحِيًّا عَنِ الاضْطِرابِ مَعَ الخَلْقِ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ .

ولِلإِنْسانِ حَقُّهُ فِي أَنْ يَخْلُوَ بِنَفْسِهِ مَعَ اللهِ ، وهَذِهِ الخَلْوَةُ الثَّرِيَّةُ بِالتَّيَّاراتِ الرُّوحِيَّةِ هِيَ الَّتِي تُمَيِّزُ الإِنْسانَ فِي تَسامِيهِ عَنْ عالَمِ المادَّةِ ، وهِيَ الَّتِي تُسَمِّيهِ بِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الكائِناتِ يَمْتازُ عَنْ غَيْرِهِ بِعِرْفانِ رَبِّهِ .

وهَذِهِ الخَلْوَةُ أَوْ هَذِهِ الغَيْبَةُ يَطْلُبُها قَوْمٌ بِتَهْيِئَةِ أَسْبابِها المادِّيَّةِ ، فَيَنْعَزِلُونَ عَنِ النَّاسِ فَتْرَةً تَطُولُ أَوْ تَقْصُرُ ، إِنَّها سِياحَتُهُمُ الاسْتِجْمامِيَّةُ ؛ وكَما يَسْتَجِمُّ بَعْضُ النَّاسِ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ فَتْرَةً تَطُولُ أَوْ تَقْصُرُ سائِحِينَ

مُتَنَزِّهِينَ ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسْتَجِمُّونَ رُوحِيًّا بِالخَلْوَةِ سائِحِينَ فِي فَيْضٍ مِنَ الإلْهاماتِ الإلَهِيَّةِ ، مُهَيِّئِينَ الجَوَّ المادِّيَّ بِحَيْثُ يَكُونُونَ فِي بُعْدٍ عَنِ النَّاسِ بُعْداً تامًّا .

لَمْ يَفْعَلِ السَّيِّدُ البَدَوِيُّ ذَلِكَ عَلَى السَّطْحِ ؛ وإنَّما كانَ يَنْغَمِسُ فِي خَلْوَتِهِ مَعَ وُجُودِ النَّاسِ مُصاحِباً الدُّنْيا بِجِسْمِهِ وقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى (إنَّها خَلْوَةٌ فِي جَلْوَةٍ) يَنْغَمِسُ فِيها فِي وَضَحِ النَّهارِ ، ويَنْغَمِسُ فِيها فِي إشْراقَةِ القَمَرِ ، ويَنْغَمِسُ فِيها كُلَّما اشْتَدَّ بِهِ الوَجْدُ فِي حُبِّ اللهِ ورَسُولِهِ ، يَنْغَمِسُ فِيها رَغْمَ ما يُحِيطُ بِهِ مِنْ أَتْباعٍ ومُرِيدِينَ ، يَنْغَمِسُ فِيها فَيَتَلاشَى الزَّمانُ والمَكانُ ، والأَهْلُ والأَصْحابُ والضَّجِيجُ ، ويَبْقَى اللهُ فِي قَلْبِهِ يَمْلأُ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنْ فَراغٍ فِيهِ .

ويَتَدَرَّجُ فِي الاسْتِغْراقِ حَتَّى يَصِلَ إلَى الشُّعُورِ بِالنِّداءِ الإلَهِيِّ : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ؟ ويَسْمَعُ الإجابَةَ فِي أَعْماقِ قَلْبِهِ : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ .

يَنْغَمِسُ وهُوَ يُحِسُّ إحْساساً يَمْلِكُ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَقْطارِ نَفْسِهِ أَنَّ المُلْكَ مِنْ جاهٍ ومَنْصِبٍ ومِنْ قُوَّةٍ وضَعْفٍ ، ومِنْ حَرَكَةٍ وسُكُونٍ ، ومِنْ نُطْقٍ وصَمْتٍ ، ومِنْ صِحَّةٍ ومَرَضٍ ... المُلْكُ كُلُّ المُلْكِ (طَرْفَةُ عَيْنٍ ، نَبْضَةُ

قَلْبٍ ، مُرورُ خاطِرٍ......) ؛ إنَّما هُوَ لِلّهِ الواحِدِ القَهَّار .

إنَّهُ يَرْتَفِعُ إلَى اللهِ عَنْ دُنْيا النَّاسِ ، إنَّهُ فِي مِعْراجِهِ فَوْقَ المادَّةِ ، إنَّهُ فِي الحَرَمِ المُقَدَّسِ ، .... ثُمَّ يَعُودُ ؛ يَعُودُ إلَى النَّاسِ مُرَبِّياً ، مُهَذِّباً ، مُرْشِداً ، يَدْعُو إلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ .

وغَيْبَةُ السَّيِّدِ البَدَوِيِّ إذَنْ اسْتِجْمامٌ رُوحِيٌّ ، أَوْ إشْراقٌ رُوحِيٌّ ، أَوْ غَلَبَةُ وَجْدٍ ، أَوْ شِدَّةُ حُبٍّ : سَمِّها ما شِئْتَ مِنْ هَذِهِ الأَسْماءِ الَّتِي يَعْرِفُها الصُّوفِيَّةُ ويُعَرِّفُونَها مَواجِيدَ ، ويُعَرِّفُونَها أَذْواقاً ، ويُعَرِّفُونَها تَجْرِبَةً عاشُوها وسَعِدُوا بِها.... وجَهِلَها غَيْرُهُمْ فَخَلَطُوا بَيْنَها وبَيْنَ غَيْرِها جَهْلاً بِها ؛ وما هِيَ إلَّا تَجَلِّياتٌ مِنْ تَجَلِّياتِ الحَقِّ يَمُنُّ بِها عَلَى مَنْ هَداهُمْ إلَيْه وعَرَّفَهُمْ بِهِ أَوْ عَلَى مَنِ اجْتَباهُمْ : ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١) .

غايَةُ طَرِيقَتِهِ الوُصُولُ إلَى مَلِكِ المُلُوك
وسَبِيلُهُ صِدْقُ العَزْمِ وهِمَّةُ السُّلُوك

الطَّرِيقَةُ كَما رَسَمَها السَّيِّدُ فِي وَصاياهُ وفِي سُلُوكِهِ : والطَّرِيقُ تَبْدَأُ أَوَّلَ ما تَبْدَأُ بِالتَّوْبَةِ الخالِصَةِ النَّصُوحِ ؛ وحَقِيقَةُ التَّوْبَةِ كَما يَقُولُ السَّيِّدُ :

---

(١) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الآيَة ١٣ .

النَّدَمُ عَلَى ما مَضَى مِنَ الذَّنْبِ ، والإقْلاعُ عَنِ المَعْصِيَةِ ، والاسْتِغْفارُ بِاللِّسانِ ، والعَزْمُ عَلَى أَلَّا يَعُودَ إِلَى المَعْصِيَةِ ، والصَّفاءُ بِالقَلْبِ .

يَقُولُ السَّيِّدُ : فَهَذِهِ هِيَ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعالَى بِها ، وذَكَرَها فِي كِتابِهِ العَزِيزِ فَقالَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (١) .

والواقِعُ أَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ الخُطْوَةُ الأُولَى واللَّبِنَةُ الأَساسِيَّةُ فِي طَرِيقِ كُلِّ سالِكٍ إِلَى اللهِ تَعالَى ، ويَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ بِناءُ الطَّرِيقَة .

يَقُولُ السَّيِّدُ : هَذِهِ طَرِيقَتُنا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الكِتابِ والسُّنَّةِ ، والصِّدْقِ والصَّفاءِ ، وحُسْنِ الوَفاءِ وحَمْلِ الأَذَى وحِفْظِ العُهُود .

ومِنْ شُرُوطِ الطَّرِيقِ حُسْنُ الخُلُق .

يَقُولُ السَّيِّدُ : (أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً أَكْثَرُكُمْ إِيماناً بِاللهِ تَعالَى ، والخُلُقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ العَمَلَ الصَّالِحَ كَما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ) .

ونَظْرَةُ السَّيِّدِ هَذِهِ الَّتِي رَتَّبَ فِيها حُسْنَ الخُلُقِ عَلَى قُوَّةِ الإِيمانِ نَظْرَةٌ فِي غايَةِ العُمْقِ ؛ والواقِعُ أَنَّهُ كُلَّما قَوِيَ الإِيمانُ كانَتِ الأَخْلاقُ حَسَنَةً ، والمُصْلِحُونَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ تَنْهَضَ الأُمَمُ أَخْلاقِيًّا فَيَسْلُكُونَ طَرِيقاً

---

(١) سُورَةُ التَّحْرِيم : مِنَ الآيَة ٨ .

غَيْرَ تَقْوِيَةِ الإيمانِ يَخْفِقُونَ فِي إِصْلاحِهِمْ ، ويَخِيبُ ظَنُّهُمْ فِي ثِمارِ عَمَلِهِمْ .

إِنَّنا دائِماً نَسْتَحْسِنُ ما قالَ شَوْقِي - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - ونُنْشِدُهُ ونَسْتَشْهِدُ بِهِ :

وإِنَّما الأُمَمُ الأَخْلاقُ ما بَقِيَتْ ۞ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

وما مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ أَمِيرَ الشُّعَراءِ يُعَبِّرُ عَنْ حَقِيقَةٍ ، وما مِنْ شَكٍّ أَيْضاً فِي أَنَّ أَساسَ الأَخْلاقِ إِنَّما هُوَ الإيمانُ ، وأَنَّهُ لا أَخْلاقَ دُونَ إِيمانٍ .

ولا بُدَّ فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْتِزامِ الذِّكْرِ ، ومِنَ المُحافَظَةِ عَلَى فُرُوضِ العِبادَةِ ، ومِنَ الإِكْثارِ مِنَ النَّوافِلِ ؛ يَقُولُ الخَلِيفَةُ الأَوَّلُ سَيِّدِي عَبْدُ المُتَعال : (خَدَمْتُ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيَّ رضي الله عنه أَرْبَعِينَ سَنَةً فَما رَأَيْتُهُ غَفَلَ عَنْ طاعَةِ اللهِ تَعالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ) .

ومِنْ وَصاياهُ لِعَبْدِ المُتَعالِ : صَلاةُ اللَّيْلِ ؛ يَقُولُ لَهُ :

(واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ رَكْعَةٍ بِاللَّيْلِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ بِالنَّهار) .

أَمَّا الزُّهْدُ فِي الدُّنْيا : فَإِنَّ السَّيِّدَ رضي الله عنه يُفَسِّرُهُ بِهَذا التَّفْسِيرِ الطَّبِيعِيِّ المَنْطِقِيِّ المُتَّفِقِ مَعَ القَواعِدِ الشَّرْعِيَّةِ إِنَّهُ : (مُخالَفَةُ النَّفْسِ بِتَرْكِ الشَّهَواتِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وأَنْ يَتْرُكَ سَبْعِينَ باباً مِنَ الحَلالِ مَخافَةَ أَنْ يَقَعَ فِي الحَرام) .

ومِنَ الأَخْلاقِ الَّتي يَجِبُ أَنْ يَتحلَّى بِها المُريدُ : الإِشْفاقُ عَلَى اليَتِيمِ ، وكِسْوَةُ العُرْيانِ ، وإِطْعامُ الجائعِ ، وإِكْرامُ الغَريبِ والضَّيْفِ .

يَفْعَلُ المُريدُ ذَلِكَ عَسَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللهِ مِنَ المَقْبُولِينَ .

وأَلَّا يَشْمَتَ المُريدُ بِمُصِيبَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَعالَى ، ولا يَنْطِقَ بِغِيبَةٍ ولا نَمِيمَةٍ ، وأَنْ يُقابِلَ السَّيِّئَةَ بِالعَفْوِ ؛ يَقُولُ السَّيِّدُ لِعَبْدِ المُتَعالِ والمُريدِينَ : (ولا تُؤْذِ مَنْ يُؤْذِيكَ ، واعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وأَحْسِنْ لِمَنْ أَساءَكَ ، وأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ) .

ولا يُنْكِرُ مُريدٌ عَلَى مُريدٍ ، ويَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَأَدَّبَ مَعَ المَشايِخِ وأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْخَ فِي قَوْمِهِ كالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ ؛ أَيْ أَنَّهُ ما دامَ هادِياً إِلَى طَرِيقِ اللهِ ، مُبَشِّراً بِالفَضائِلِ ناهِياً عَنِ الرَّذائِلِ ، سالِكاً سَبِيلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، مُتَّبِعاً لَهُ ، داعِياً إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ .

ما دامَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ خَلِيفَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ يَجِبُ أَنْ يُوَقَّرَ وأَنْ يُحْتَرَمَ ، ويَسْأَلُ سَيِّدِي عَبْدُ المُتَعالِ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيَّ عَنْ حَقِيقَةِ أُمُورٍ أَوْ صِفاتٍ يَتَحَلَّى بِها الصُّوفِيَّةُ ويَتَحَدَّثُونَ عَنْها ؛ فَيَسْأَلُهُ عَنْ حَقِيقَةِ الصَّبْرِ ، فَيَقُولُ رضي الله عنه : الرِّضا بِحُكْمِ اللهِ ، والتَّسْلِيمُ لأَمْرِ اللهِ تَعالَى ، وأَنْ يَفْرَحَ بِالمُصِيبَةِ كَما يَفْرَحُ بِالنِّعْمَةِ ، قالَ اللهُ تَعالَى :

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ (١).

ويَسْأَلُ عَبْدُ المُتَعالِ عَنِ الوَجْدِ ، ويَتَحَدَّثُ السَّيِّدُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وهُوَ : أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ الحَقِّ (لا إِلَهَ إِلَّا هُو)؛ فَإِذا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ وتَعالَى يَقْذِفُ فِي قَلْبِ الذَّاكِرِ النُّورَ ، فَإِذا ما قُذِفَ النُّورُ فِي قَلْبِ الذَّاكِرِ ، اقْشَعَرَّ مِنْهُ جِلْدُهُ ، يَقُولُ اللهُ تَعالَى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ (٢)؛ فَإِذا ما لانَتْ قُلُوبُهُمْ وجُلُودُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ، واسْتَغْرَقُوا فِي الذِّكْرِ قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّهُ ، وهَذا هُوَ الوَجْدُ .

وعَلامَةُ الفَقِيرِ (الصُّوفِيِّ الصَّادِقِ) : أَلَّا يَسْأَلَ أَحداً ، إِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ ، وإِنْ مُنِعَ صَبَرَ ، إِنَّهُ صابِرٌ لأَحْكامِ اللهِ تَعالَى ، عامِلٌ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ .

(١) سُورَةُ البَقَرَة : الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧ .
(٢) سُورَةُ الزُّمَر : الآيَة ٢٣ .

ولَقَدْ وَضَعَ السَّيِّدُ مِقْياساً دَقِيقاً للصُّوفِيَّةِ وقاعِدَةً يَعْرِفُونَ بِها أَنْفُسَهُمْ ويَعْرِفُهُمُ النَّاسُ بِها ، ولَقَدْ تابَعَ فِي هَذا جَدَّهُ الإمامَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنهُ الَّذِي وَضَعَ هَذِهِ القَواعِدَ وأَسَّسَ هَذِهِ الأُسُسَ .

يَقُولُ عَبْدُ المُتَعالِ : وسَأَلْتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنْ حَقِيقَةِ الفَقْرِ الشَّرْعِيِّ (أَي حَقِيقَةِ التَّصَوُّفِ الصَّادِقِ) ، فَقالَ : لِلفُقَراءِ اثْنَتا عَشْرَةَ عَلامَةً ؛ لِما رُوِيَ عَنِ الإمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّهُ رَأَى فَقِيراً يَمْشِي فِي سُوقِ البَصْرَةِ وهُوَ يَتَبَخْتَرُ فِي مِشْيَتِهِ ، فَقالَ لَهُ الإمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقالَ لَهُ : فَقِيرٌ ، فَقالَ لَهُ الإمَامُ : ما عَلامَةُ الفَقْرِ ؟ فَقالَ : مِنْكَ يُؤْخَذُ العِلْمُ يا أَبا الحَسَنِ .

فَقالَ لَهُ الإمامُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : لِلفَقِيرِ اثْنَتا عَشْرَةَ عَلامَةً :

الأُولَى : أَنْ يَكُونَ عارِفاً بِاللهِ تَعالَى .

الثَّانِيَةُ : أَنْ يَكُونَ مُراعِياً لأَوامِرِ اللهِ تَعالَى .

الثَّالِثَةُ : أَنْ يَكُونَ مُتَمَسِّكاً بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ .

الرَّابِعَةُ : أَنْ يَكُونَ دائِماً عَلَى طَهارَةٍ .

الخامِسَةُ : أَنْ يَكُونَ راضِياً عَنِ اللهِ تَعالَى فِي كُلِّ حالٍ .

السَّادِسَةُ : أَنْ يَكُونَ مُوقِناً بِما عِنْدَ اللهِ تَعالَى .

السَّابعَةُ : أَنْ يَكُونَ آيساً مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاس .

الثَّامِنَةُ : أَنْ يكُونَ مُتَحَمِّلاً للأَذَى .

التَّاسِعَةُ : أَنْ يَكُونَ مُبادِراً لأَمْرِ اللَّهِ تَعالَى .

العاشِرَةُ : أَنْ يكُونَ شَفُوقاً عَلَى النَّاس .

الحادِيَةَ عَشْرَةَ : أَنْ يكُونَ مُتَواضِعاً للنَّاس .

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْطانَ عَدُوٌّ لَهُ ؛ كَما يَقُولُ اللَّهُ تَعالَى : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (١) .

فَلَمَّا سَمِعَ الفَقِيرُ ذَلِكَ مِنَ الإمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه نَزَعَ مَرْقَعْتَهُ، وقالَ : واللهِ لا أَلْبَسُها بَعْدَ هَذا اليَوْمِ أَبداً .

هَذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ السَّيِّدِ ؛ وهِيَ طَرِيقَةٌ تَلْتَزِمُ التَّوْبَةَ والإيمانَ القَوِيَّ ، والخُلُقَ الحَسَنَ ، والاتِّباعَ قَدْرَ الاسْتِطاعَةِ لِكِتابِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ .

كُتُبُهُ أَصْحابُهُ

لَمْ يُؤَلِّفِ السَّيِّدُ كُتُباً ، وإِنَّما رَبَّى رِجالاً وأَبْطالاً .

وكانَ مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ الإمامَ الشَّاذُلِيَّ الَّذِي قالَ : كُتُبِي أَصْحابِي .

---

(١) سُورَةُ فاطِر : مِنَ الآيَة ٦ .

ولَقَدْ كانَ للسَّيِّدِ فِي هَذا المَجالِ (مَجالِ تَرْبِيَةِ الرِّجالِ) ثَرْوَةٌ وآثارٌ هائِلَةٌ ، ولا يَزالُ المَدَدُ مُتَّصِلاً .

وما مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ للسَّيِّدِ فِي عالَمِ الطَّرِيقِ : أَوْراداً وأَذْكاراً وآثاراً كَثِيرَةً ، بَيْدَ أَنَّ ما نُقِلَ إِلَيْنا عَنْهُ لا يَتَناسَبُ وما كانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الحِرْصِ عَلَى آثارِ السَّيِّدِ ونَقْلِها .

ويَبْدُو أَنَّ شَخْصِيَّةَ السَّيِّدِ نَفْسَها كانَتِ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ ، لَقَدْ طَغَتْ شَخْصِيَّتُهُ عَلَى ما عَداها حَتَّى عَلَى الكِتابَةِ عَنْهُ .

لَمْ يَكْتُبْ عَنْهُ أَتْباعُهُ ، وإِنَّما نَقَلَ عَنْهُ النَّاقِلُونَ حِزْباً وصَلَواتٍ ونَصائِحَ .

والآنَ نُورِدُ فِيما يَلِي : الحِزْبَ الَّذِي أُثِرَ عَنِ السَّيِّدِ رضي الله عنه ، والصَّلاةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْهُ .

الحِزْبُ الكَبِيرُ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ آمِين .

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ .

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ .

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ .

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ .

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى (٧) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ .

﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣) إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ .

﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ .

﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ .

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ .

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ .

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ .

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ .

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ ۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ .

﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا ﴾ .

اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلأَ أَرْكانَ عَرْشِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِطَوْلِ حَوْلِ شَدِيدِ قُوَّتِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِتَوْكِيدِ أَكِيدِ بُرْهانِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِبَدِيعِ مَنِيعِ رَفِيعِ سِتْرِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِقَدْرِ مِقْدارِ اقْتِدارِ قُدْرَتِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِدَوامِ دَيُّومِ دَيْمُومِيَّتِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِعَزِيزِ مُعْتَزِّ عِزَّتِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِجَلالِ كَمالِ نِعْمَتِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِمَكْنُونِ تَكْوِينِ كائِنِ سِرِّكَ ، وأَسْأَلُكَ بِما أَنارَتْ بِهِ السَّمَواتُ والأَرْضُ مِنْ خَفِيِّ عِلْمِكَ ، وأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ العَظِيمِ ورُكْنِكَ الجَسِيمِ ، أَنْ تَفُكَّ اللهُمَّ كُرْبَتِي وتُفَرِّجَ غُمَّتِي وتُؤْنِسَ غُرْبَتِي وتُقِيلَ عَثْرَتِي وتَتَفَضَّلَ عَلَيَّ يا إلَهِي بِنَظْرَةٍ مِنْكَ تَكُونُ لِيَ النَّجاةُ بِها فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ولا حَوْلَ

ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم .

الحِزْبُ الصَّغِيرُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم : لَوَوْا عَمَّا نَوَوْا [1] ، فَعَمُوا [2] وصَمُّوا عَمَّا طَوَوْا [3] ، ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [4] ، بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ .

اللهُمَّ اكْفِينِهِمْ بِما شِئْتَ [5] ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ وأَدْرَأُ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ ، بِكَ أُحاوِلُ وبِكَ أُقاتِلُ ، اللهُمَّ واقِيَةً كَواقِيَةِ الوَلِيدِ [6] .

---

(١) أَيْ : صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عَنْ كُلِّ ضَرَرٍ أَرادُوهُ فِينا .

(٢) عَمَّا قَصَدُوا فَهُمْ لا يُبْصِرُون .

(٣) عَمَّا أَخْفَوْا فِي ضَمائِرِهِمْ مِنَ الشَّرِّ والأَذَى .

(٤) هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ دَعا بِها سَيِّدُنا زَكَرِيَّا عليه السلام مُتَضَرِّعاً إِلَى اللهِ أَنْ يَرْزُقَهُ ما يَرِثُ دَعْوَتَهُ ، ولَقَدْ أَجابَ اللهُ دَعْوَتَهُ وقَبِلَ تَضَرُّعَهُ ووَهَبَهُ سَيِّدَنا يَحْيَى عليه السلام الَّذِي وَرِثَ النُّبُوَّةَ والعِلْمَ .

(٥) أَيْ : امْنَعْ عَنِّي الأَعْداءَ واكْفِنِي شَرَّهُمْ .

(٦) الوَلِيدُ : الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ .

بـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كُفِيتُ ، بـ ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ حُمِيتُ ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ثَلاثاً ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الكَرِيمِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيماً والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِين .

الصَّلاةُ الأُولَى : (الصَّلاةُ الشَّجَرِيَّة)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا[1] ومَوْلانا مُحَمَّدٍ شَجَرَةِ الأَصْلِ النُّورانِيَّةِ[2] ، ولَمْعَةِ القَبْضَةِ الرَّحْمانِيَّةِ[3] وأَفْضَلِ الخَلِيقَةِ الإِنْسانِيَّةِ[4] ، وأَشْرَفِ الصُّورَةِ الجِسْمانِيَّةِ ، ومَعْدِنِ

---

(١) فِي صَحِيحِ البُخارِي وفِي غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أَنا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ) ؛ ومَنْ كانَ سَيِّدَ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ فَهُوَ مِنْ بابِ أَوْلَى سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيا ، وفِي حَدِيثٍ رَواهُ الحاكِمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (أَنا سَيِّدُ العالَمِين) ؛ ومِنَ المَعْرُوفِ أَنَّ العالَمَ هُوَ كُلُّ ما سِوَى اللهِ تَعالَى ، وفِي صَحِيحِ البُخارِي أَنَّ سَيِّدَنا عُمَرَ ﷺ قالَ عَنْ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ وعَنْ سَيِّدِنا بِلالٍ ﷺ : (أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنا وأَعْتَقَ سَيِّدَنا) .

(٢) أَي الشَّجَرَةُ الَّتِي هِيَ الأَصْلُ ؛ وهَذِهِ الشَّجَرَةُ نُورانِيَّةٌ نِسْبَةً إِلَى النُّورِ ، ولَقَدْ سَمَّى اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى رَسُولَهُ نُوراً ، وسَمَّاهُ سِراجاً مُنِيراً ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ المَصْدَرُ الوَحِيدُ فِي العالَمِ الآنَ ، الَّذِي أَتَى النُّورُ عَلَى لِسانِهِ وَحْياً : قُرْآناً كانَ أَوْ سُنَّةً ، فَهُوَ شَجَرَةُ النُّورِ فِي العالَمِ ، وهُوَ بِالوَحْيِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ أَصْلُ كُلِّ نُورِ الآنَ .

(٣) القَبْضَةُ الرَّحْمانِيَّةُ : هِيَ المَخْلُوقاتُ الَّتِي أَفاضَ اللهُ عَلَيْها بِرَحْمَتِهِ الوُجُودَ ، ولَمْعَتُها : أَيْ أَضْوَؤُها ، فَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَضْوَءُ المَخْلُوقات .

(٤) يَقُولُ الإِمامُ البُوصِيري :

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْناهُ وصُورَتُهُ ❁ ثُمَّ اصْطَفاهُ حَبِيباً بارِئُ النَّسَمِ

الأَسْرارِ الرَّبَّانِيَّةِ[1] ، وخَزائِنِ العُلُومِ الاصْطِفائِيَّةِ[2] ، صاحِبِ القَبْضَةِ الأَصْلِيَّةِ[3] ، والبَهْجَةِ السَّنِيَّةِ[4] ، والرُّتْبَةِ العَلِيَّةِ ؛ مَنِ انْدَرَجَتِ النَّبِيُّونَ تَحْتَ لِوائِهِ فَهُمْ مِنْهُ وإِلَيْهِ[5] ، وصَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ عَدَدَ ما خَلَقْتَ ورَزَقْتَ وأَمَتَّ وأَحْيَيْتَ إِلَى يَوْمِ تَبْعَثُ مَنْ أَفْنَيْتَ وسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ .

الصَّلاةُ الثَّانِيَةُ : (صَلاةُ بابِ اليَسار)

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى نُورِ الأَنْوارِ ، وسِرِّ الأَسْرارِ ، وتِرْياقِ الأَغْيارِ ، ومِفْتاحِ

---

(١) أَيْ مَحَلُّها ومَرْكَزُها ، وأَنَّهُ كانَ الَّذي يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ .

(٢) أَيْ المُخْتارَةُ المُصْطَفاةُ المُنْتَقاةُ ، وجَمِيعُ ما فِي الوَحْيِ مُصْطَفًى مُخْتارٌ مُنْتَقًى ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (أُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِم) .

ويَقُولُ الإِمامُ البُوصِيرِي فِي هَمْزِيَّتِهِ المُبارَكَةِ :

لَكَ ذاتُ العُلُومِ مِنْ عالَمِ الغَيْـ ※ ـبِ ومِنْـها لآدَمَ الأَسْـماءُ

(٣) يَقُولُ سَيِّدِي عَبْدُ الرَّحْمنِ العَيْدَرُوسُ (حَظِيُّ جِوارِ الرَّوْضَةِ الزَّيْنَبِيَّةِ بِمِصْرَ المَحْمِيَّةِ) فِي شَرْحِ ذَلِكَ : إِشارَةٌ إِلَى المَقامِ المُحَمَّدِي الخاصِّ بِهِ ﷺ ، وهُوَ المُسَمَّى بِمَقامِ (أَوْ أَدْنَى) وهُوَ وِلايَتُهُ الخاصَّةُ ﷺ ، والمَقامُ المُحَمَّدِيُّ الثَّانِي يُسَمَّى بِمَقامِ : (قابَ قَوْسَيْنِ) وهُوَ وِلايَتُهُ العامَّةُ .

(٤) يَقُولُ سَيِّدِي عَبْدُ الرَّحْمنِ العَيْدَرُوس : إِنَّ ذَلِكَ فِي ذاتِهِ وصِفاتِهِ وأَفْعالِهِ ، كَيْفَ لا وهُوَ رَحْمَةٌ لِلعالَمِينَ ، والرَّحْمَةُ خَيْرٌ مَحْضٌ .

قالَ سَيِّدِي الأُسْتاذُ أَبو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ : جَمِيعُ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ رَحَماتٌ ، فَهُوَ ﷺ أَصْلُ الرَّحَماتِ ويَنْبُوعُها ، ولا رَحْمَةَ خارِجَةٌ عَنْهُ .

(٥) يَقُولُ ﷺ : (بِيَدِي لِواءُ الحَمْدِ ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوائِي) .

يَقُولُ إِمامُ المادِحِينَ البُوصِيري :

وكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلُ الكِرامُ بِها ※ فَإِنَّما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَواكِبُها ※ يُظْهِرْنَ أَنْوارَها لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

بابِ اليَسارِ ، سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المُخْتارِ ، وآلِهِ الأَطْهارِ ، وأَصْحابِهِ الأَخْيارِ ، عَدَدَ نِعَمِ اللهِ وإِفْضالِه .

شارَتُهُ الحَمْراء

أَصْلُها الاقْتِداءُ بِسَيِّدِ الأَنْبِياء ﷺ

أَمَّا مِنْ ناحِيَةِ الشَّكْلِ فَإِنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيَّ اقْتَدَى بِجَدِّهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي لُبْسِ الأَحْمَرِ .

عَنْ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ لَهُ حُلَّةٌ حَمْراءُ يَلْبَسُها فِي الأَعْيادِ والجُمَعِ .

وقَدْ وَرَدَ أَنَّ سَيِّدَنا رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدَّمَ لِواءَ بَنِي سُلَيْمٍ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى الأَلْوِيَةِ وكانَ أَحْمَرَ .

وفِي صَحِيحِ البُخارِي عَنْ سَيِّدِنا البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنه :

ما رَأَيْتُ ذا لَمَّةٍ سَوْداءَ فِي حُلَّةٍ حَمْراءَ أَجْمَلَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

ولَقَدْ قالَ سَيِّدِي أَحْمَدُ لِخَلِيفَتِهِ سَيِّدِي عَبْدِ المُتَعال : اعْلَمْ أَنِّي اخْتَرْتُ هَذِهِ الرَّايَةَ الحَمْراءَ لِنَفْسِي فِي حَياتِي ، ولِخُلَفائِي بَعْدَ مَماتِي ، وهِيَ عَلامَةٌ لِمَنْ يَمْشِي عَلَى طَرِيقَتِنا مِنْ بَعْدِي .

أَمْثِلَةٌ مِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ تَحَدُّثاً بِنِعْمَةِ رَبِّهِ

قَدْ عَلا مَجْدِي وعَزَّتْ رُتَبِي ۞ بِانْتِسابِي لِلنَّبِيِّ الْعَرَبِي

هُوَ جَدِّي وإِلَيْهِ نَسَبِي ۞ يَنْتَمِي فانْظُرْ لِهَذا النَّسَب

وسَقانِي خالِقِي مِنْ شَرْبَةٍ ۞ سَلَكَتْنِي لِطَرِيقِ الأَدَب

عِشْتُ وَلْهانَ بِشَطْحِي غارِقاً ۞ نِعْمَ هَذا الْحالُ مِنْ مُنْجَذِب

بَدَوِيُّ الْعَزْمِ اسْمِي أَحْمَدٌ ۞ ضارِبُ الأَعْداءِ بِالْمُقْتَضِب

كَمْ أَسِيرٍ لاذَ بِي خَلَّصْتُهُ ۞ مِنْ دِيارِ الْحَرْبِ ثُمَّ الْعَطَبِ

كَمْ ذَلِيلٍ فِي الْبَرايا عَزَّ بِي ۞ وتَرَقَّىٰ عالِياتِ الرُّتَب

كُلُّ هَذا كانَ لِي مِنْ خالِقِي ۞ بِانْتِسابِي لِلنَّبِيِّ الْعَرَبِي

۞۞۞۞۞

بِفَضْلِي وعَزْمِي يَشْهَدُ النَّقْلُ والْعَقْلُ

وبِاسْمِي يُنادِي كُلُّ قُطْبٍ لَهُ فَضْلُ

أَنا أَحْمَدُ الْبَدَوِيُّ فارِسُ مَكَّةٍ

وساكِنُ طَنْطا فِي الْمُلُوكِ لِيَ الْعَزْلُ

وأُدْعَى أَبا فَرَّاجٍ إِذْ بِي تَفَرَّجَتْ

كُرُوبُ الأَسارَى وانْتَفَى عَنْهُمُ الذُّلُّ

وأُدْعَىٰ أَبا فَرْحاتٍ إذْ لِمُشاهِدِي
جَمالٌ بِهِ الْأَكْدارُ لا شَكَّ تَنْحَلُّ
وأُدْعَىٰ بِعَطَّابٍ لِمَنْ صالَ واعْتَدَىٰ
عَلَى حَرَمٍ لِي جاهُهُ أَبَداً يَعْلُو
أَنا حَرَمِي الْمَحْمِيُّ لَيْسَ لِظالِمٍ
عَلَيْهِ سَبِيلٌ بَلْ بِهِ لِلْعِدا الْقَتْلُ
عَلَيْكَ بِهِ فالْزَمْهُ وانْظُرْ لِغَيْرِهِ
ومِنْ بَعْدِ ذا فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ ما يَحْلُو
ومَنْ عاشَ بَعْدِي سَوْفَ يَشْهَدُ مَوْلِداً
بِهِ تُجْمَعُ الْأَضْدادُ لَيْسَ لَهُ مِثْلُ
وتَأْتِي لَهُ الزُّوَّارُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ
رِجالاً ورُكْباناً كَأَنَّهُمْ نَمْلُ
فَمَنْ زارَنِي فِيهِ تَنَحَّتْ ذُنُوبُهُ
وفازَ بِغُفْرانٍ لِما قَدْ جَنَى قَبْلُ
وعادَ إِلَى أَوْطانِهِ فِي جَلالَةٍ
وعِزٍّ وتَكْرِيمٍ وقَدْ عَمَّهُ الْفَضْلُ

أَنا الْأَسَدُ الْقَتَّالُ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى

إِذا جُلْتُ فِي الْأَعْداءِ يَنْهَزِمُ الْكُلُّ

أَنا الْفارِسُ الْفَتَّاكُ فِيمَنْ بَغَى عَلَى

مُرِيدِي وأَغْواهُ التَّجَبُّرُ والْجَهْلُ

أَنا صاحِبُ الرُّمْحَيْنِ فِي أَرْضِ مَكَّةٍ

لِيَ الْبَأْسُ فِي الْهَيْجا إِذا صالَتِ الْخَيْلُ

أَنا كُلُّ أَرْضِ اللّٰهِ مِلْكِي وساحَتِي

بِها الْخَيْرُ لِلْوُرَّادِ مَأْخَذُهُ سَهْلُ

أَنا غادِياتُ السُّحْبِ طَوْعِي وإِنْ أَنا

أَشَرْتُ لِما فِيها مِنَ الرِّزْقِ يَنْهَلُّ

مُدِحْتُ بِآياتِ الْكِتابِ لأَنَّنِي

تَقَرَّرَ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ لِي أَصْلُ

وأَذْهَبَ عَنِّي الرِّجْسَ والْحُزْنَ وانْتَفَى

مَخافِي ومِنْ مَوْلايَ قَدْ حَصَلَ الْوَصْلُ

ولِمْ لا وإِنِّي مِنْ سُلالَةِ أَحْمَدٍ

وفاطِمَةَ الزَّهْرا فَياحَبَّذا النَّسْلُ

وقَـدْ وَصَفَـتْني بالْجُنُون جَماعَـةٌ

فَقُلْتُ لَـهُـمْ بَيْتاً لِسامِعِه يَحْـلُو

مَـجانِـينُ إلَّا أنَّ سِـرَّ جُنُونِـهِمْ

عَجِيبٌ عَلَى أعْتابِهِ يَسْجُدُ الْعَقْلُ

❁❁❁❁❁

ألا أيُّـها الـزُّوَّارُ حُـجُّـوا لِبَيْـتِنا

وطُـوفُـوا بِأَسْـتارٍ لَـهُ تَبْلُغُوا الْمُنَىٰ

وعِنْدَ الصَّفا فاسْعَوْا وحُلُّوا رِحالَكُمْ

تُحَـطُّ ذُنُوبٌ فِي مَـواطِـنِ أمْـنِنا

وفِي يَوْمِ عِيدِ الْوَصْلِ أوْفُوا نُذُورَكُمْ

كَـذا تَفَـثٌ فاقْضُوا وطُـوفُـوا بِبَيْتِنا

فَـكُلُّ زَمـانٍ فِيهِ وَصْـلِي فَعِيدُكُمْ

وكُلُّ مَـكانٍ فِيهِ قُرْبِى لَكُمْ مِـنَىٰ

فَمَنْ جاءَنا أهْـلاً وسَهْلاً ومَرْحَباً

بِـهِ والَّـذِي يَخْـتارُ يَلْـقاهُ عِـنْدَنا

ومَنْ جـاءَنا بِالـذُّلِّ يَطْلُبُ رِفْـعَةً

مَنَحْناهُ كُلَّ الْقَصْدِ فِي بَيْتِ عِزِّنا

وَمَــنْ زالَ عَنْهُ حِــرْزُهُ وأَتَــى لَـنا

جَعَلْنـاهُ مَحْـفُوظاً وداخِـلَ حِـرْزِنا

ومَـنْ خافَ مِنْ أَعْدائِهِ يَخْـذُلُونَهُ

نَصَـرْناهُ بَـيْنَ الْعالَمِينَ بِبَأْسِــنا

ومَـنْ جاءَ يَرْجُو خِدْمَةً فِي بُيُوتِنا

جَعَلْنـاهُ مَخْدُوماً مُطاعـاً بِفَضْـلِنا

ومَـنْ يَدَّعِي فِـي حَيِّنا رِفْـعَةً أَتَـتْ

إِلَـيْهِ بِلا إِنْعامِـنا جـاءَهُ الْعَـنا

ومَـنْ يَدَّعِيها مِـنْ حِـمانا يَـنالُها

ويَبْلُغُ ما يَرْجُـوهُ مِنْ أَوْجُـهِ الْغِنَىٰ

خَفَضْنا مَعالِي الْعَزْمِ مِنْ كُلِّ شامِخ

قَهَـرْنا مُلُـوكَ الْعالَمِـينَ بِعَـزْمِـنا

لَنا الرَّايَةُ الْعَلْياءُ فِـي كُلِّ مَشْــهَدٍ

وأَعْـلامُنا مَنْشُـورَةٌ فَـوْقَ حِـزْبِـنا

حِـمانا عَـزِيـزٌ لا يُضامُ نَـزِيـلُهُ

وساكِـنُهُ مازالَ فِـي الْعِـزِّ والْهَـنا

وَمَــنْ رامَ كَـيْداً فِـيهِ رُدَّ لِنَحْـرِهِ

سَـرِيعاً وفَوَّقْـنا لَهُ فِيهِ سَهْـمَنا

ولِـمْ لَا وإِنَّـا أَهْـلُ بَيْـتِ نُـبُـوَّةٍ

وأَذْهَبَ عَنَّا الرِّجْسَ فِي الذِّكْرِ رَبُّنا

وأَوْرَثَنا عِـلْمَ النَّـبِيِّ مَـعَ اسْـمِـهِ

فَصارَتْ حُداةُ الْعِيسِ تُطْرِبُ بِاسْمِنا

فَهَيَّا بَنِي الْحاجاتِ سَعْياً لِمَنْـهَلٍ

وَرِثْناهُ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ فَيْضِ جَدِّنا

مُحَـمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِالْأَمْـنِ والْهُدَىٰ

وبِالْبِشْـرِ والتَّقْوَىٰ وما فِيهِ رُشْدُنا

عَلَـيْهِ صَـلاةٌ فِي سَـلامٍ تَعَطَّـرا

بِكُلِّ عَبِـيرٍ فـاحَ فِـي سـائِرِ الدُّنـا

وآلٍ وأَصْـحـابٍ كِرامٍ بِـمَدْحِـهِمْ

لِمادِحِـهِمْ كُلُّ الأَمـانِ كَذا الْمُنَىٰ

وأَتْباعِهِمْ فِي الْفَضْلِ ما قالَ مُنْشِدٌ

أَلا أَيُّـها الـزُّوَّارُ حُـجُّـوا لِبَيْـتِـنا

تَقْبِيلُ الآثارِ والمَزارات

عُنْوانُ مَحَبَّةٍ لا طُقُوسَ عِبادات

هَذِهِ القُبُلاتُ الَّتِي نَسْمَعُ رَنِينَها ، ونَرَى انْطِباعَها عَلَى المَزاراتِ ، وهَذِهِ الأَيْدِي الَّتِي تَمْتَدُّ عَلَى الحَواجِزِ النُّحاسِيَّةِ والخَشَبِيَّةِ ثُمَّ تُعادُ لِلتَّمَسُّحِ بِها بِقَصْدِ التَّبَرُّكِ بِمَنْ أُقِيمَتْ عَلَيْهِ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ أَوْ بِقَصْدِ إِظْهارِ الصِّدْقِ والإِخْلاصِ والمَحَبَّةِ ؛ لَيْسَتْ مَنْدُوبَةً ولا مَطْلُوبَةً شَرْعاً ، ولَيْسَتْ مِمَّا تَجْلِبُ لِفاعِلِها الرِّضا والمَحَبَّةَ (وإِنْ كانَتْ عُنْواناً عَلَى الرِّضا والمَحَبَّةِ) ، وإِنَّما الَّذِي يَجْلِبُ لِفاعِلِه الرِّضا والمَحَبَّةَ : هُوَ أَنْ يَقِفَ الزَّائِرُ خارِجَ البابِ فَيَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ (١١ مَرَّةً) مِنْ خَطِيئاتِهِ وفَرَطاتِ لِسانِهِ ، ثُمَّ يَدْخُلَ المَقامَ فِي أَدَبٍ واحْتِرام قائِلاً : ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١٠ مَرَّات ، ثُمَّ يَخْتِمَ الحادِيَةَ عَشْرَةَ بِقَوْلِهِ : ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ، فَإِنَّهُ إِذا كانَتْ رُوحُ الوَلِيِّ غائِبَةً أَوْ مَشْغُولَةً بِأَمْرٍ حَضَرَتْ عِنْدَ ذِكْرِ ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ؛ لأَنَّهُ لا شَيْءَ أَشْهَى لِلوَلِيِّ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ، فَإِذا ذُكِرَ عِنْدَها حَضَرَتْ عَلَى عَجَلٍ .

وبَعْدَ ذَلِكَ يَبْدَأُ بِالسَّلامِ ، فَإِذا سَلَّمَ رَدَّ صاحِبُ المَقامِ عَلَيْهِ السَّلامَ ،

ورَدُّهُ لِلسَّلامِ مِنْحَةٌ للزَّائِرِ لا يُسْتَهانُ بِها ، ثُمَّ يَقْرَأُ الزَّائِرُ (سُورَةَ الإِخْلاصِ) ١١ مَرَّةً ، ثُمَّ يَقُولُ : اللهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي هَذِهِ القِراءَةَ واجْعَلْ ثَوابَها فِي صَحِيفَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ﷺ ، وثَوابَ مِثْلِ ذَلِكَ لأَرْواحِ أَبِينا سَيِّدِنا آدَمَ وأُمِّنا سَيِّدَتِنا حَوَّاءَ ومَنْ وَلَدا مِنَ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وثَوابَ مِثْلِ ذَلِكَ لآلِ بَيْتِ النَّبِيِّ وأَصْحابِهِ وأَزْواجِهِ وذُرِّيَّتِهِ ﷺ ورَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وعَنَّا بِهِمْ ونَفَعَنا اللهُ بِهِمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وأَلْحَقَنا بِهِمْ فِي الدَّارَيْنِ آمِينَ ، وثَوابَ مِثْلِ ذَلِكَ فِي صَحِيفَةِ هَذا الوَلِيِّ ثُمَّ مَنْ تُحِبُّ بَعْدَ ذَلِكَ (مِنْ شَيْخٍ أَوْ مُعَلِّمٍ أَوْ صاحِبِ فَضْلٍ عَلَيْكَ) .

فَإِذا قَدَّمَ الزَّائِرُ هَذِهِ الهَدِيَّةَ ، فالمَزُورُ (بِفَضْلِ اللهِ) يُسارِعُ بِدَعْمِ الزَّائِرِ بَيْنَ يَدَي رَبِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ الزَّائِرُ : (شَيْئاً لِلهِ مِنَ المَدَدِ يا سَيِّدِي فُلان) ١١ مَرَّةً ، وبَعْدَ ذَلِكَ يَبْسُطُ يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ ويَطْلُبُ مِنَ اللهِ حاجاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةَ ثُمَّ الأُخْرَوِيَّةَ ؛ وعِنْدَئِذٍ يُؤَمِّنُ الوَلِيُّ عَلَى دُعائِهِ الدُّنْيَوِيِّ ثُمَّ الأُخْرَوِيِّ (وتَأْمِينُهُ قَدْ يَكُونُ سَبَباً فِي قَبُولِ دُعاءِ الدَّاعِي) ؛ فَهَذِهِ صِفَةُ الزِّيارَةِ الَّتِي تَجْلِبُ لِفاعِلِها الرِّضا والمَحَبَّةَ مِنْ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِي .

الأَثَرُ النَّبَوي

المَوْجُودُ بِرُكْنِ المَقامِ الأَحْمَدِي

مَشَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الرَّمْلِ الكَثِيبِ المَهِيلِ ، فَقَصَّ أَعْداؤُهُ أَثَرَهُ فَلَمْ يَجِدُوا لِقَدَمَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ أَثَراً عَلَى الرَّمْلِ الكَثِيبِ المَهِيلِ ، ومَشَى عَلَى الصَّخْرِ الأَسْوَدِ الجَلْمُودِ فَأَثَّرَتْ قَدَماهُ الشَّرِيفَتانِ فِي الصَّخْرِ الأَسْوَدِ الجَلْمُودِ ؛ لِيُرِيَهُمْ بِهَذا وذاكَ أَنْواعاً مِنْ مُعْجِزاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وهَذا الحَجَرُ الأَسْوَدُ المَوْجُودُ بِرُكْنِ المَقامِ هُوَ مِنْ ذَلِكَ الصَّخْرِ الأَسْوَدِ الذِي مَشَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَثَّرَتْ فِيهِ قَدَماهُ الشَّرِيفَتانِ : احْتُفِظَ بِهِ لأَنَّهُ أَثَرٌ مِنْ آثارِهِ ، وتَخْلِيدٌ لِمُعْجِزَةٍ مِنْ مُعْجِزاتِهِ ، وقَدْ تَناوَبَهُ بِالحِفْظِ المَعْنِيُّونَ بِالمُحافَظَةِ عَلَى آثارِهِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي هَذا المَكانِ المُناسِبِ لِحِفْظِهِ فِيهِ لِيَبْقَى فِي النَّاسِ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ عَلَماً مِنْ أَعْلامِ نُبُوَّتِهِ ﷺ ، وشاهِداً ناطِقاً يَشْهَدُ بِصِحَّةِ رِسالَتِهِ ودَلِيلاً واضِحاً يَدُلُّ النَّاسَ عَلَى بَعْضِ مُعْجِزاتِهِ وعَظِيمِ آياتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام .

وقَدْ وُضِعَ هَذا الأَثَرُ العَظِيمُ فِي هَذا المَكانِ بِالذَّاتِ لِيَكُونَ رَمْزاً بِما انْطَبَعَ عَلَيْهِ ؛ لأَنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيَّ كانَتْ قَدَمُهُ عَلَى أَثَرِ قَدَمِ

رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ، وكانَتْ سِيرَتُهُ وطَرِيقَتُهُ عَلَى سِيرَةِ وطَرِيقَةِ جَدِّهِ المُصْطَفَى ﷺ .

ولا يَفُوتُنا فِي هَذا المَقامِ أَنْ نُذَكِّرَ أَنَّ اللّٰهَ تَعالَى أَقَرَّ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى ما اعْتَقَدُوهُ فِي بَرَكَةِ التَّابُوتِ لِما يَضُمُّهُ بَيْنَ جَنَباتِهِ مِنْ آثارٍ مِنْها عَصَا سَيِّدِنا مُوسَى عليه السلام وعِمامَةُ سَيِّدِنا هارُونَ عليه السلام ، وأَنَّهُمْ كانُوا يَسْتَنْصِرُونَ بِبَرَكَةِ ذَلِكَ فَيَنْتَصِرُونَ ولَمَّا فَقَدُوهُ ما انْتَصَرُوا بَعْدَها فِي مَعْرَكَةٍ بَلْ يَنْهَزِمُونَ ؛ فَقالَ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١) .

مُخَلَّفاتُ البَدَوِي

لَمْ يَتْرُكْ سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ شَيْئاً يُوَرَّثُ عَنْهُ إِلَّا مِسْبَحَةً وعِمامَةً بِلِثامَيْنِ وبُرْدَةً وقَمِيصاً ومَشْطاً ؛ وكُلُّها مَحْفُوظَةٌ فِي حُجْرَةٍ خاصَّةٍ بِها بِالمَسْجِدِ الأَحْمَدِيِّ بِطَنْطا ، وقَدْ تَبَرَّكَتْ واسْتَضاءَتْ هَذِهِ الحُجْرَةُ أَيْضاً بِشَعَراتٍ مُبارَكاتٍ مِنْ شَعْرِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : الآيَة ٢٤٨ .

وَفاتُهُ

كانَتْ وَفاتُهُ ﵁ يَوْمَ الثُّلاثاءِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ ٦٧٥ هـ حَيْثُ دُفِنَ بِمَنْزِلِه ومُقامِهِ وبُنِيَ لَهُ فِيهِ قَبْرٌ ، ثُمَّ بُنِيَ حَوْلَهُ مَسْجِدٌ ، ثُمَّ بُنِيَتْ عَلَيْهِ قُبَّةٌ فَريدَةٌ فِي نَوْعِها فِي عَهْدِ عَلِي بك الكَبِير؛ ومُنْذُ ذَلِكَ العَهْدِ ومَسْجِدُهُ وضَرِيحُهُ مَحَطُّ عِنايَةِ أُولِى الأَمْرِ فِي كُلِّ عَصْرٍ ، ومَهْوَى أَفْئِدَةِ الزَّائِرِينَ المُتَعَطِّرِينَ بِمَوَدَّةِ عِتْرَةِ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ ﷺ .

أَبْياتٌ تُقالُ عِنْدَ الضَّرِيحِ لِقَضاءِ الحاجاتِ

قالَ العَلَّامَةُ الشَّيْخُ حَسَن العِدْوي (١٣٠٣ هـ) : وقَدْ أَفادَنِي بَعْضُ العارِفِينَ مِنْ مَشايِخِي أَنَّ مَنْ قالَ الأَبْياتَ الثَّلاثَةَ المَشْهُورَةَ وهِيَ :

يا إِماماً يُرْجَى لِكُلِّ مُلِمٍّ ❁ وهُماماً يَرُدُّ بَأْسَ الْقَوِيِّ

يا حَسِيباً إِنَّا عَلَيْكَ حُسِبْنا ❁ ودَخَلْنا فِي كَهْفِكَ الْمَحْمِيِّ

وبِظِلِّ الْجَنابِ مِنْكَ اتَّقَيْنا ❁ مِنْ عَدُوٍّ وحاسِدٍ وبَغِيِّ

٣ مَرَّاتٍ عِنْدَ ضَرِيحِ سَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ ، وعِنْدَ ضَرِيحِ سَيِّدِنا الإِمامِ الشَّافِعِيِّ ، وسَأَلَ اللهَ تَعالَى حاجَتَهُ قَضاها اللهُ لَهُ كائِنَةً ما كانَتْ .

القَرْنُ السَّابِعُ عَصْرُ أَهْلِ الفَضْلِ الجَوامِع

إذا ما دَقَّقْنا وتَعَرَّضْنا لِنَفَحاتِ الوِلايَةِ والتَّصَوُّفِ الإِسْلامِيِّ فِي القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ (عَصْرِ أَبِي الفِتْيانِ البَدَوِيِّ) لَوَجَدْنا جِبالاً ورَواسِيَ شامِخاتٍ فِي عالَمِ التَّحَقُّقِ والمَعْرِفَةِ ؛ فَقَدْ كانَ القَرْنُ السَّابِعُ الهِجْرِيُّ عَصْراً زاهِياً لِلتَّصَوُّفِ والوِلايَةِ عَلَى امْتِدادِ آفاقِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ فَضْلاً عَنْ أَنَّ جُلَّ عُلَماءِ هَذا العَصْرِ كانُوا صُوفِيَّةً عارِفِينَ كَما اتَّضَحَ لَنا فِيما عَرَضْنا مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الرَّبَّانِيَّةِ المُعْتَبَرَةِ .

فَمِنْ أَقْطابِ الصُّوفِيَّةِ المُعاصِرِينَ لِسَيِّدِي أَحْمَدَ البَدَوِيِّ بِمِصْرَ :

- الشَّيْخُ الإِمامُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِي (شَيْخُ الطَّائِفَةِ الشَّاذُلِيَّةِ ونَزِيلُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ)، قالَ عَنْهُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابنُ دَقِيقِ العِيدِ : (ما رَأَيْتُ أَعْرَفَ بِاللهِ مِنَ الشَّاذُلِيِّ)، وكانَ سُلْطانُ العُلَماءِ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ ابنُ عَبْدِ السَّلامِ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ ويَسْمَعُ كَلامَهُ ويُشِيدُ بِهِ (بَعْدَ أَنْ كانَ يُنْكِرُ عَلَيْهِ قَبْلَ مَعْرِفَتِهِ ثُمَّ صارَ مِنْ أَتْباعِهِ)، ولَهُ مَناقِبُ جَمَّةٌ وطَرِيقَةٌ عَظِيمَةٌ ، وقَدْ تُوفِّيَ رضي الله عنه بِصَحَراءِ عِيذاب عَلَى البَحْرِ الأَحْمَرِ (حُمَيْثَرَة) سَنَةَ ٦٥٦ هـ ؛ حَيْثُ كانَ قاصِداً حَجَّ بَيْتِ اللهِ الحَرامِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَة .
- الشَّيْخُ الإِمامُ أَبو العَبَّاسِ المُرْسِي (ت ٦٨٦ هـ) : وهُوَ أَجَلُّ أَتْباعِ

الإمامِ الشَّاذُلِيِّ ووارِثُ عُلومِهِ، وقَدْ رَبَّى ﷺ أَئِمَّةً وأَقْطاباً فِي طَرِيقِ اللهِ كالإمامِ ياقُوتٍ العَرْشِي (ت ٧٣٢ هـ)، والإِمامِ أَحْمَدَ بنِ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي (ت ٧٠٧ هـ)، والإمامِ شَرَفِ الدِّينِ البُوصِيري (٦٩٦ هـ)، وغَيْرِهِمْ ﷺ .

• شَيْخُ الإِسْلامِ أَبُو العَيْنَيْنِ الدُّسُوقِي (ت ٦٧٦ هـ) رابِعُ الأَقْطابِ الأَرْبَعَةِ ؛ الَّذِينَ هُمْ أَرْكانُ البُنْيانِ الصُّوفِي الَّذِي قَدَّرَ اللهُ لِرُوَّادِهِ أَنْ يَكُونُوا وَرَثَةً لِعُلُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأَصْحابِهِ ﷺ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بإِحْسانٍ مِنَ القُرُونِ الخَيِّرَةِ ، ويَضْطَلِعُوا بِتَزْكِيَةِ نُفُوسِ أَبْناءِ الأُمَّةِ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ .

• سُلْطانُ العاشِقِينَ سَيِّدِي عُمَرُ بنُ الفارِضِ الحَمَوِيُّ الأَصْلُ المِصْرِيُّ النَّشْأَةُ (ت ٦٣٢ هـ) : تَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ إمامِنا الشَّافِعِيِّ ﷺ وأَخَذَ الحَدِيثَ عَنِ ابنِ عَساكِر ، وأَخَذَ عَنْهُ الحافِظُ المُنْذِرِي ، ثُمَّ سَلَكَ التَّصَوُّفَ وفُتِحَ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ وعادَ إِلَى مِصْرَ المَحْرُوسَةِ وأَقامَ بِقاعَةِ الخِطابَةِ بالجامِعِ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ وعَكَفَ عَلَيْهِ الأَئِمَّةُ وكانَ المَلِكُ الكامِلُ يَقْصِدُهُ بالزِّيارَةِ ، وبَلَغَ بِشِعْرِهِ الذُّرْوَةَ العُلْيا فَكانَ تُرْجُمانَ الصُّوفِيَّةِ وسَيِّدَ شُعَراءِ عَصْرِهِ .

• الشَّيْخُ العارِفُ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي أَبُو الحَجَّاج يُوسُفُ بنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الأَقْصُرِي (ت ٦٤٢ هـ) ؛ صاحِبُ المَعارِفِ والكَراماتِ والمُكاشَفاتِ والاسْتِغْراقاتِ ، تَتَلْمَذَ فِي الطَّرِيقِ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بنِ مَحْمُودٍ الجَزُولِي (الكائِنُ ضَرِيحُهُ بِالإسْكَنْدَرِيَّةِ أَمامَ ضَرِيحِ نَبِيِّ اللهِ دانْيال) ، وهُوَ تِلْمِيذُ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ المَغْرِبِي شَيْخِ الإمامِ مُحْيِي الدِّينِ بنِ عَرَبِي .

• الشَّيْخُ العارِفُ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي أَبو السُّعُودِ بنُ أَبِي العَشائِرِ ابنِ الطَّيِّبِ الباذْيِينِي نِسْبَةً إلَى باذْيِينَ الَّتِي وُلِدَ بِها بِقُرْبِ واسِطَ بِالعِراق ، وقَدِ اسْتَوْطَنَ مِصْرَ ودُفِنَ بِسَفْحِ المُقَطَّم سَنَةَ (٦٤٤ هـ)، وكانَ رضي الله عنه مِنْ أَئِمَّةِ رِجالِ الطَّرِيقِ وتَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ أَئِمَّةٌ عارِفُونَ مِثْلَ شَرَفِ الدِّينِ الكُرْدِي وسَيِّدِي خِضْرٍ الكُرْدِي وسَيِّدِي داوُدَ العَزَبِ ومَشايِخَ لا يُحْصَوْنَ .

• العارِفُ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي داوُدُ بنُ مُرْهَفٍ الأَعْزَب (ت ٦٦٨ هـ) والكائِنُ ضَرِيحُهُ بـ (تَفَهْنا العَزَب - مُحافَظَة الغَرْبِيَّة بِمِصْرَ المَحْمِيَّة)، وكانَ رضي الله عنه مِنْ أَفْذاذِ الرِّجالِ أَهْلِ التَّصْرِيفِ وقَدْ بَشَّرَ بِهِ قَبْلَ ظُهُورِ أَمْرِهِ سَيِّدِي أَبو الحَجَّاجِ الأَقْصُرِي فَقالَ : لَيَظْهَرَنَّ داوُدُ

الأَعْزَبُ يَكُونُ القائِمَ بِالوَقْتِ ، وقَدْ وَصَفَهُ الإمامُ المُناوِي قائِلاً : داوُدُ الأَعْزَبُ صُوفِي بَحْرُهُ طامِي ، ونُورُ حالِهِ لا يُدْرِكُهُ مُقَدَّمٌ ولا تالِي .

• الشَّيْخُ العارِفُ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي إبْراهِيمُ بنُ مِعْضادٍ الجَعْبَرِي الشَّافِعِي (ت ٦٨٧ هـ) ؛ وَصَفَهُ الإمامُ الشَّعَرانِي بِأَنَّهُ الزَّاهِدُ العابِدُ ذُو الأَحْوالِ الغَرِيبَةِ والمُكاشَفاتِ العَجِيبَةِ ، وكانَ مَجْلِسُ وَعْظِهِ يُطْرِبُ السَّامِعِينَ ويَسْتَجْلِبُ العاصِينَ ، أَخْبَرَ بِمَوْتِهِ قَبْلَ وَفاتِهِ ونَظَرَ إِلَى مَوْضِعِ قَبْرِهِ قائِلاً : (يا قُبَيْرُ جاءَكَ دُبَيْر)، وهُوَ الَّذِي حَضَرَ وَفاةَ العارِفِ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي عُمَرَ بنِ الفارِضِ لَمَّا سَأَلَ أَنْ يُرْسِلَ اللهُ وَلِيًّا يَحْضُرُ مَوْتَهُ .

• الشَّيْخُ العارِفُ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي أَبُو القاسِمِ مُحَمَّدُ بنُ مَنْصُورٍ القَبَّارِي الإِسْكَنْدَرِي (ت ٦٦٢ هـ)؛ وَصَفَهُ الإِمامُ المُناوِي قائِلاً : زاهِدٌ أَخْلَصَ فِي العَمَلِ ، واجْتَهَدَ فِي قَطْعِ الأَمَلِ ، ومالَ إِلَى العُزْلَةِ ، واسْتَعَدَّ لِلرِّحْلَةِ ، غَزِيرَ الإِخْباتِ والخُشُوعِ ، فَهُوَ مُبارَكُ الطَّلْعَةِ ، مَشْهُورُ الذِّكْرِ بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ بِحُسْنِ السُّمْعَةِ ، يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ واقْتِفاءِ آثارِهِ ، ولَهُ بُسْتانٌ يَقْتاتُ مِنْهُ ويُطْعِمُ النَّاسَ مِنْ ثِمارِهِ .

• العارِفُ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدِي سَلِيم أَبو مُسَلَّم العِراقِي الهَمَدانِي

الهاشِمِي الكَبير (ت ٦٥٨ هـ) ؛ كانَ والِدُهُ سَيِّدي يُوسُفُ الهَمَدانِي غَوْثَ عَصْرِهِ وهُوَ الَّذي بَشَّرَ الإمامَ عَبْدَ القادِرِ الجَيْلاني بالقُطْبيَّةِ وهُوَ شابٌّ ببَغْدادَ ، وقَدْ قَدِمَ سَيِّدي سَليمٌ إلَى مِصْرَ وهَبَط بَلْدَةَ (بَحْطيط) مِنْ بُلْدانِ مَرْكَز (أبو حَمَّاد) بالشَّرْقيَّةِ واتَّخَذَها مَرْكَزاً لِدَعْوَتِهِ ورَبَّى بِها خِيرَةَ الرِّجالِ ، ومِنْ عَقِبِهِ الأَوْلِياءُ : الشَّيْخُ حَسَنُ ابنُ مُسَلَّم المُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٦٤ هـ)، والشَّيْخُ أَحْمَدُ السَّطِيحَةُ المُسَلَّمي (ت ٩٤٢ هـ) الَّذِي صَحِبَهُ الإمامُ الشَّعَراني وذَكَرَ العَديدَ مِنْ كَراماتِهِ ومَقامُهُ بـ (شُبْرا قُبالَة) بِمُحافَظَةِ المُنُوفِيَّةِ الآنَ ، وكَذا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الشَّيْخُ عِلِيوَة أَبو مُسَلَّم ومَقامُهُ بـ (الأَحْراز) مَرْكَز شِبين القَناطِر .

- العارِفُ بِاللهِ تَعالَى سَيِّدي عَلِي المِليجي المَعْرُوفُ بـ (الوَصَّال)، وشَيْخُهُ سَيِّدي أَبو الفَتْحِ الواسِطِي مُقَدِّمُ الحَضْرَةِ الرِّفاعِيَّةِ فِي الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ، وكانَ سَيِّدي أَحْمَدُ البَدَوِيُّ إذا أَرْسَلَ سَيِّدي عَبْدَ المُتَعالِ إلَيْهِ فِي حاجَةٍ يَقُولُ لَهُ : إذا وَصَلْتَ إلَى (جَمْزور) فاخْلَعْ نَعْلَكَ فَإِنَّ هُناكَ خِيامَ المِلِيجي ؛ و(جَمْزُور) بَلْدَةٌ قَبْلَ (مِليج) الَّتي يَقْطُنها سَيِّدي عَلِي المِلِيجي ؛ وهَذا كِنايَةٌ عَنْ غايَةِ الأَدَبِ وعَدَم مُزاحَمَةِ سَيِّدي عَلِي المِلِيجي فِي دائِرَتِهِ الَّتي أَقامَهُ اللهُ فِيها داعِياً

عَلَى هُدًى وبَصِيرة .

• العارِفُ بِاللَّهِ تَعالَى سَيِّدِي يُوسُفُ أَبو طاقِيَّة الغُنَيْمِي (ت ٦٧٩هـ) الَّذِي حَضَرَ وَفاةَ القُطْبِ البَدَوِي وأَسْنَدَ إِلَيْهِ سَيِّدِي عَبْدُ المُتَعالِ (خَلِيفَةُ سَيِّدِنا السَّيِّد) حِراسَةَ المَوْلِدِ الأَحْمَدِي وإِطْعامَ الحاضِرِينَ .

تِلْكَ نُخْبَةٌ مِنْ أَعْلامِ الصُّوفِيَّةِ والأَوْلِياءِ الَّذِينَ عاصَرُوا القُطْبَ البَدَوِيَّ بـ (مِصْرَ) المَحْرُوسَةِ ، وغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ وكَثِيرٌ .

أَمَّا إِذا صَوَّبْنا النَّظَرَ إِلَى المُعاصِرِينَ للقُطْبِ أَبِي الفِتْيانِ البَدَوِيِّ مِنْ أَصْحابِ الوِلايَةِ فِي العالَمِ الإِسْلامِيِّ شَرْقاً وغَرْباً فَإِنَّنا نَقِفُ عَلَى كَثْرَةٍ هائِلَةٍ مِنْ أَوْلِياءِ القَرْنِ السَّابِعِ نُشِيرُ عَلَى رُمُوزٍ مِنْهُمْ :

فَفِي المَشْرِقِ وبِلادِ الشَّام : نَجِدُ شِهابَ الدِّين سَيِّدِي عُمَرَ السَّهْرَوَرْدِي المُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٣٢ هـ ومَقامُهُ بِبَغْدادَ ، كَما نَجِدُ الشَّيْخَ العارِفَ سَيِّدِي عِزَّ الدِّينِ أَحْمَدَ الصَّيَّاد (ت ٦٧٠ هـ) وهُوَ ابنُ بِنْتِ القُطْبِ الجامِعِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرِّفاعِي ؛ وقَدْ دَخَلَ مِصْرَ سَنَةَ ٦٣٨ هـ وتَزَوَّجَ بالأَمِيرَةِ (دُرِّيَّة خاتُون) حَفِيدَةِ المَلِكِ الأَفْضَلِ وأَنْجَبَ مِنْها سَيِّدِي عَلِيًّا الشَّهِيرَ بـ (أَبِي شُبَّاك) الرِّفاعِي والكائِنُ مَقامُهُ بِمَسْجِدِ الرِّفاعِي بِالقَلْعَةِ بِمِصْرَ المَحْرُوسَة .

كَما نَجِدُ أَبا البَرَكاتِ بنَ صَخْرِ بنِ مُسافِر ؛ وهُوَ ابنُ أَخِي العارِفِ بِاللهِ سَيِّدِي عَدِيِّ بنِ مُسافِر المُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٣٠ هـ .

كَما نَجِدُ بِالشَّام الشَّيْخَ أَبا الحَسَنِ عَلِيَّ بنَ أَحْمَدَ الحَرالِي (ت ٦٣٧ هـ)، والشَّيْخَ سَعْدَ الدِّينِ الجِباوِي (ت ٦٨٢ هـ) .

ونَجِدُ بـ (خَوارِزْم) سَيِّدِي نَجْمَ الدِّينِ أَحْمَدَ بنَ عُمَرَ الخَوارِزْمِي الشَّهِيرَ بِالكُبْرَى (ت ٦٨١ هـ) وهُوَ شَيْخُ الطَّرِيقَةِ الكُبْرَوِيَّةِ الشَّهِيرَة .

ونَجِدُ بِالمَغْرِبِ شَيْخَ الأَقْطابِ سَيِّدِي عَبْدَ السَّلام بنَ مَشِيش الحَسَنِي (ت ٦٢٦ هـ) وابْنَهُ سَيِّدِي مُحَمّداً عِزَّ الرِّجالِ والكائِنُ مَقامُهُ بِمَدِينَةِ طَنْطا بِمِصْرَ المَحْرُوسَة .

ثُمَّ نَجِدُ بِالأَنْدَلُسِ سُلْطانَ العارِفِينَ الشَّيْخَ الأَكْبَرَ سَيِّدِي مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ الحاتِمِي الطَّائِي المَعْرُوفَ بـ (ابن عَرَبي) والمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٣٨ هـ ، ومِنْ أَبْرَزِ تَلامِيذِهِ ووَرَثَةِ سِرِّهِ الشَّيْخُ صَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ابنُ إِسْحاقَ الرُّومِي القُونَوِي (ت ٦٧٢ هـ) وهُوَ صاحِبُ المُؤَلَّفاتِ العَظِيمَةِ كالنَّفَحاتِ الإِلَهِيَّةِ وغَيْرِها .

وغَيْرُ هَؤُلاءِ وأُولَئِكَ كَثِيرٌ وكَثِيرٌ مِنْ أَقْطابٍ وأَئِمَّةٍ وأَوْلِياءَ وأَعْيانِ الصُّوفِيَّةِ الأَصْفِياءِ ازْدَهَرَ بِهِمْ عَصْرُ القُطْبِ البَدَوِيِّ وتَأَلَّقَ بِهِمْ

نُوراً وفَضْلاً .

ومِنْ ثَمَّ نَجِدُ أَنَّ هَذا القَرْنَ السَّابِعَ كانَ عَصْراً ذَهَبِيًّا فِي السِّياسَةِ والحُكْمِ حَيْثُ كانَتْ فِيهِ الانْتِصاراتُ الرَّائِعَةُ عَلَى الصَّلِيبِيِّينَ والتَّتارِ ، وكانَتْ فِيهِ حَفاوَةُ الخُلَفاءِ والمُلُوكِ والسَّلاطِينِ بالعِلْمِ والعُلَماءِ ، وبَرَزَ فِيهِ الأَئِمَّةُ والمُصْلِحُونَ ؛ فَكانَ عَصْراً ذَهَبِيًّا أَيْضاً فِي العِلْمِ والثَّقافَةِ، ثُمَّ كانَ عَصْراً ذَهَبِيًّا زاهِياً عَلَى أَرْفَعِ مُسْتَوًى فِي التَّصَوُّفِ والوِلايَةِ، وفِي سَماءِ هَذا العَصْرِ تَأَلَّقَ الكَوْكَبُ الدُّرِّي القُطْبُ النَّبَوي سَيِّدِي أَحْمَدُ البَدَوي ، وقُطْبُ لُبِّ الفُتُوحِ وفَرْقَدُ المَدَدِ السُّبُّوحِي سَيِّدِي إبْراهِيمُ الدُّسُوقِي .

الأَوْلِيـاءُ الْعـارِفُـونَ بِـرَبِّـهِمْ
أَخْفاهُمُ لِلسِّـرِّ تَـحْـتَ قِـبابِـهِ

ما خابَ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ بِإِثْرِهِمْ
واللهُ لا يُخْـزِيهِ حِـينَ حِسابِـهِ

أَخَـذُوا الطَّرِيقَ إِلَيْهِ هَدْيَ مُحَمَّدٍ
وهَـلِ الْوُصُـولُ لِرَبِّنـا إِلَّا بِـهِ ؟!

(٤) القُطْبُ الدُّسُوقِي

(٦٣٣ - ٦٧٦هـ)

لِكُلِّ قُطْبٍ قَضَى وَقْتٌ يَنُوبُ بِهِ

وَتَحْتَ نَوْبَةِ عَلْياهُ الْمَواقِيتُ

وهُوَ الغَيْثُ النَّافِعُ والقُطْبُ الغَوْثُ الفَرْدُ الجامِعُ ، الرُّكْنُ الهُمامُ شَيْخُ الإِسْلامِ وارِثُ جَدِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، بُرْهانُ الدِّينِ ، جَوْهَرَةُ سِلْكِ الصَّالِحِينَ ، واسِطَةُ عِقْدِ المُخْلِصِينَ ، لِسانُ حالِ المُتَكَلِّمِينَ ، الخائِضُ فِي بَحْرِ العُلُومِ بِأَقْوَى قَواعِدِ التَّمْكِينِ ، هِدايَةُ العارِفِينَ ، مَنْهَجُ المُحِبِّينَ ، حُجَّةُ البالِغِينَ مَحَجَّةُ المُتَوَرِّعِينَ مِفْتاحُ أَقْفالِ غَوامِضِ عَجائِبِ مَعْنَوِيَّاتِ مَعانِي إِشاراتِ المُحَقِّقِينَ ، مُعَبِّرُ رُمُوزِ مُجْمَلاتِ المُسْتَفْتِينَ ، مُرَبِّي السَّالِكِينَ ومُوصِلُ المُنْقَطِعِينَ ، تَتِمَّةُ الأَرْبَعَةِ الأَقْطابِ المُدَّرِّكِينَ ، ساقِي شَرابِ الحَضْرَتَيْنِ نِيابَةً عَنْ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ ﷺ ، سَلِيلُ الإِمامِ الحُسَيْنِ رضي الله عنه ، مَجْمَعُ البَحْرَيْنِ أَبو العَيْنَيْنِ إِبْراهِيمُ بنُ أَبِي المَجْدِ عَبْدِ العَزِيزِ الدُّسُوقِيُّ القُرَشِيُّ الشَّافِعِيُّ الَّذِي أَظْهَرَ اللهُ عَلَيْهِ حالَ حَياتِهِ وبَعْدَ وَفاتِهِ بُرْهانَهُ المَصُونَ ، واسْتَخْرَجَتْهُ العِنايَةُ مِنْ بَيْنِ الكافِ والنُّونِ ، وسَقاهُ مِنْ شَرابِ الَّذِينَ يَخِرُّونَ

للأذْقانِ يَبْكُونَ ، وكَتَبَهُ فِي تَوْقِيعِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ وأَجْلَسَهُ بَيْنَ جُلَساءِ ﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وآواهُ إِلَى حَرَمِ قَوْمٍ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، أَسْكَنَهُ اللّٰهُ فِي حَظِيرَةِ قُدْسِهِ ومَتَّعَهُ عَلَى مَمَرِّ الأَيَّامِ بِمَوارِدِ أُنْسِهِ ، فَهُوَ قَدَّسَ اللّٰهُ سِرَّهُ مِمَّنْ عُرِّفَ بِوِلايَةِ نَفْسِهِ ونَفَعَ اللّٰهُ بِهِ كَثِيراً مِنْ خَلْقِهِ ، وما زالَتْ كَراماتُهُ مُسْتَمِرَّةً غَزِيرَة ، ويَهْتَدِي بِنَهْجِهِ وطَرِيقَتِهِ أَذْواقٌ ومَشارِبُ خَيِّرَةٌ كَثِيرَة .

الدُّسُوقِي إِبْراهِيم

ونَسَبُهُ إِلَى أَبِي إِبْراهِيم ﷺ

هُوَ : ١- السَّيِّدُ (إِبْراهِيمُ الدُّسُوقِيُّ) ابنُ ٢ - السَّيِّدِ (عَبْدِ العَزِيزِ أَبِي المَجْدِ) ابنِ ٣- السَّيِّدِ (عَلِي قُرَيْش) ابنِ ٤ - السَّيِّدِ (مُحَمَّدٍ أَبِي الرِّضا) ابنِ ٥ - السَّيِّدِ (مُحَمَّدٍ أَبِي النَّجا) ابنِ ٦ - السَّيِّدِ (عَلِيٍّ زَيْنِ العابِدِينَ) ابنِ ٧ - السَّيِّدِ (عَبْدِ الخالِقِ) ابنِ ٨- السَّيِّدِ (مُحَمَّدٍ الطَّيِّب) ابنِ ٩- السَّيِّدِ (عَبْدِ اللّٰهِ الكاتِمِ) ابنِ ١٠- السَّيِّدِ (عَبْدِ الخالِقِ) ابنِ ١١- السَّيِّدِ (أَبِي القاسِمِ مُوسَىٰ) ابنِ ١٢- السَّيِّدِ (جَعْفَرٍ الزَّكِي) ابنِ ١٣- الإِمامِ (عَلِيٍّ الهادِي) ابنِ ١٤- الإِمامِ

(مُحَمَّدٍ الجَوادِ) ابنِ ١٥- الإمامِ (عَلِيٍّ الرِّضا) ابنِ ١٦- الإمامِ (مُوسَىٰ الكاظِمِ) ابنِ ١٧- الإمامِ (جَعْفَرٍ الصَّادِقِ) ابنِ ١٨- الإمامِ (مُحَمَّدٍ الباقِرِ) ابنِ ١٩- الإمامِ (عَلِيٍّ زَيْنِ العابِدِينَ) ابنِ ٢٠- الإمامِ (الحُسَيْنِ السِّبْطِ) ابنِ ٢١- أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ الإمامِ (عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ) مِنْ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ بِنْتِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وحَبِيبِهِ المُصْطَفَىٰ ﷺ وأَوَّلِ أَهْلِهِ لُحُوقاً بِهِ بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى ، جَزاها اللهُ عَنَّا مِنْ أُمٍّ حَنُونٍ بِالجَزاءِ الأَوْفَى .

وأَمَّا والِدَةُ أُسْتاذِنا فَهِيَ : السَّيِّدَةُ فاطِمَةُ ابْنَةُ وَلِيِّ اللهِ تَعالَى أَبِي الفَتْحِ الواسِطِي (وهُوَ العارِفُ الكَبِيرُ أَبو الفَتْحِ نَجْمُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي الغَنائِمِ الواسِطِيُّ ؛ مِنْ أَجَلِّ أَصْحابِ الإمامِ الرِّفاعِي وقَدْ تَوَجَّهَ بِإِشارَةٍ مِنْهُ وأَسَّسَ مَدْرَسَةً صُوفِيَّةً كَبِيرَةً مِنْ أَشْهَرِ رِجالِها سَيِّدِي عَلِي المِلِيجِي والإمامُ عَبْدُ العَزِيزِ الدِّيرِينِي والعارِفُ جامِعُ الفَضْلَيْنِ الدَّنُوشْرِي وجَمالُ الدِّينِ البُخارِي وأَضْرابُهُمْ ، وقَدْ رَوَى الصَّبَّاغُ فِي : دُرَّةِ الأَسْرارِ ، وكَذا فِي : المَفاخِرِ العَلِيَّةِ لابنِ عَبَّادٍ أَنَّ الإمامَ الشَّاذُلِيَّ حِينَما وَصَلَ الإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَقَفَ مُسْتَأْذِناً فِي الدُّخُولِ وكانَ بِها الشَّيْخُ أَبُو الفَتْحِ الواسِطِي فَقالَ : طاقِيَّةٌ لا تَسَعُ رَأْسَيْنِ ، وتُوفِّيَ

يَوْمَها فَوافَقَ عامُ وَفاتِهِ دُخُولَ الإمامِ (الشَّاذُلِيِّ الإِسْكَنْدَرِيَّة ٦٤٢هـ) والمَشْهُورُ أَنَّ والِدَ القُطْبِ الدُّسُوقِي كانَ مِنْ تَلامِذَةِ الواسِطِي وقَدْ تَلَقَّى عَنْهُ الطَّرِيقَ كَما تَلَقَّاها فِيما بَعْدُ عَنِ القُطْبِ الشَّاذُلِي .

بَشِيرُ مِيلادِهِ رضي الله عنه : كانَ فِي سَنْهُورِ المَدِينَةِ (وهِيَ قَرْيَةٌ مِنَ القُرَى العامِرَةِ المَشْهُورَةِ القَرِيبَةِ مِنْ بَلْدَةِ دُسُوق) شَيْخٌ مِنْ كِبارِ الصُّوفِيَّةِ العارِفِينَ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بنُ هارُونَ وكانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ والِدِ القُطْبِ الدُّسُوقِيِّ صُحْبَةٌ ، ولاحَظَ أَصْحابُهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ كُلَّما رَأَى أَبا المَجْدِ عَبْدَ العَزِيزِ قامَ لَهُ ، وعَجِبُوا مِنْهُ لِشِدَّةِ تَكْرِيمِهِ إِيَّاهُ ، حَتَّى سَأَلُوهُ عَنِ السَّبَبِ فَقالَ لَهُمْ : إِنَّ فِي ظَهْرِهِ وَلِيًّا يَبْلُغُ صِيتُهُ المَشْرِقَ والمَغْرِبَ . ورَأَوْهُ بَعْدَ مُدَّةٍ وقَدْ تَرَكَ القِيامَ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقالَ : ما كانَ القِيامُ لَهُ بَلْ كانَ لِبَحْرٍ فِي ظَهْرِهِ وقَدِ انْتَقَلَ إِلَى زَوْجَتِهِ .

ويَرْوِي لَنا الجَلالُ الكَرْكِي (شَيْخُ المَقامِ الإِبْراهِيمِي والطَّرِيقَةِ البُرْهامِيَّةِ حَتَّى أَوائِلِ القَرْنِ العاشِرِ الهِجْرِي) الكَرامَةَ المُتَواتِرَةَ عَنِ القُطْبِ الدُّسُوقِي وهِيَ كَرامَةُ صِيامِهِ فِي المَهْدِ إِذْ يَقُولُ [1] : فَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةَ الثَّلاثِينَ مِنْ شَعْبانَ اتَّفَقَ وُقُوعُ الشَّكِّ فِي هِلالِ

---

(١) لِسانُ التَّعْرِيفِ بِحالِ الوَلِيِّ الشَّرِيفِ سَيِّدِي إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي .

رَمَضانَ ، فَقالَ ابنُ هارُونَ : انْظُروا هَذا الصَّغِيرَ هَلْ رَضَعَ هَذا اليَوْمَ ؛ فَأَخْبَرَتْ والِدَتُهُ أَنَّهُ مِنَ الأَذانِ فارَقَ ثَدْيَها ولَمْ يَرْضَعْ .

ولَمْ يَقْصِدْ ابنُ هارُونَ (وهُوَ العالِمُ المُسْنَدُ الفَقِيهُ) أَنْ يُثْبِتَ بِذَلِكَ دُخُولَ شَهْرِ رَمَضانَ ؛ فَإِنَّ الصَّوْمَ لا يَصِحُّ شَرْعاً إِلَّا بِثُبُوتِ رُؤْيَةِ هِلالِ رَمَضانَ ، ولَكِنَّهُ قَصَدَ مِنْ ذَلِكَ تَعْرِيفَ النَّاسِ بِوِلادَةِ ذَلِكَ القُطْبِ .

مَوْلِدُهُ ونَشْأَتُهُ : وكانَ مَوْلِدُهُ ﷺ لَيْلَةَ الثَّلاثِينَ مِنْ شَعْبانَ سَنَةَ ٦٣٣هـ ، ومَوْضِعُ وِلادَتِهِ هُوَ مَكانُ دَفْنِهِ بِدُسُوق (وهِيَ الآنَ كُبْرَى المُدُنِ التِّجارِيَّةِ والصِّناعِيَّةِ بِمُحافَظَةِ كَفْرِ الشَّيْخِ بِمِصْرَ المَحْرُوسَةِ ، والقُطْبُ الدُّسُوقِي هُوَ سَبَبُ عُمْرانِها وشُهْرَتِها) .

وقَدْ عَنِيَ والِدُهُ سَيِّدِي عَبْدُ العَزِيزِ أَبو المَجْدِ بِتَعْلِيمِهِ مُنْذُ طُفُولَتِهِ وتَرْبِيَتِهِ تَرْبِيَةً صُوفِيَّةً ، وكانَ نُبُوغُهُ واضِحاً ظاهِراً وأَثَرُ العِنايَةِ جَلِيًّا عَلَيْهِ لافِتاً لِلنَّظَرِ ، وبَعْدَ أَنْ حَفِظَ القُرْآنَ الكَرِيمَ وتَفَقَّهَ عَلَى المَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ بُنِيَتْ لَهُ خَلْوَةٌ بِدُسُوق ؛ فاخْتَلَى بِها سَنَواتٍ عِدَّة .

ولَمَّا أَتَمَّ الأُسْتاذُ بِخَلْوَتِهِ مِنَ السِّنِّ ثَلاثاً وعِشْرِينَ سَنَةً تُوفِّيَ والِدُهُ[1] ، فَخَرَجَ مِنَ الخَلْوَةِ ، ثُمَّ أَرادَ أَنْ يَدْخُلَها فَحَلَفَ عَلَيْهِ بَعْضُ الفُقَراءِ

---

(١) وعَلَى هَذا القَوْلِ يَكُونُ والِدُهُ قَدْ تُوفِّيَ سَنَةَ ٦٥٦ هـ وهُوَ عامُ وَفاةِ القُطْبِ الشَّاذِلِي .

(أَهْلِ الصَّفْوَةِ الصُّوفِيَّةِ) أَلَّا يَدْخُلَها ، فَجَلَسَ تُجاهَها ، فَقَطَعَ النَّاسُ أَسْبابَ مَعايِشِهِمْ واشْتَغَلُوا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ ؛ وكَيْفَ لا وهُوَ مُفْلِحٌ ، ومَنْ لا يَقَعُ عَلَيْهِ نَظَرُ مُفْلِحٍ لا يُفْلِحُ ، فَأَرْخَى لَهُ بُرْقُعاً عَلَى وَجْهِهِ ، ومِنْ وَقْتِها بَذَلَ وَقْتَهُ فِي تَرْبِيَةِ وتَزْكِيَةِ المُرِيدِينَ ، وأَصْبَحَ مَقْصِدَ القاصِي والدَّانِي ؛ يَنْهَلُونَ مِنْ نَبْعِهِ النَّبَوِيِّ الصَّافِي .

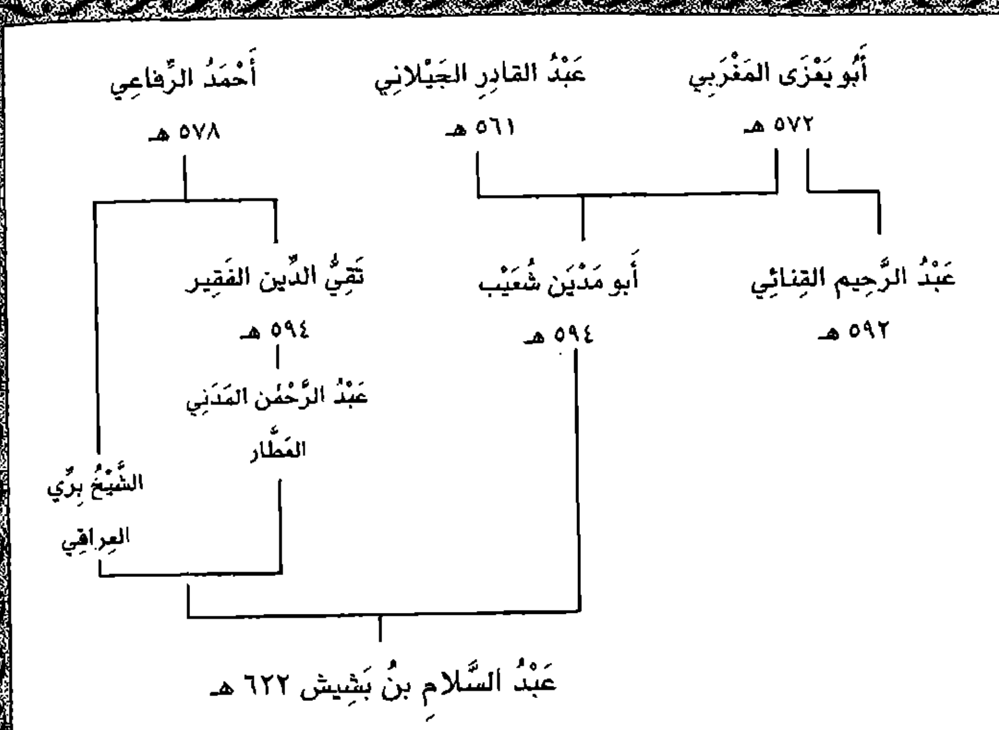
القُطْبُ الدُّسُوقِي وسَنَدُهُ الصُّوفِي

• **سَنَدُهُ إِلَى الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّة** : كانَ أَبُوهُ سَيِّدِي عَبْدُ العَزِيزِ أَبو المَجْدِ مِنْ أَعْيانِ خُلَفاءِ الشَّيْخِ أَبِي الفَتْحِ الواسِطِي الرِّفاعِي (وهُوَ جَدُّ سَيِّدِي إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي لأُمِّهِ) ، وقَدْ أَلْبَسَ خِرْقَتَهُ الرِّفاعِيَّةَ لِوَلَدَيْهِ الجَلِيلَيْنِ : السَّيِّد إِبْراهِيم ، والسَّيِّد مُوسَىٰ .

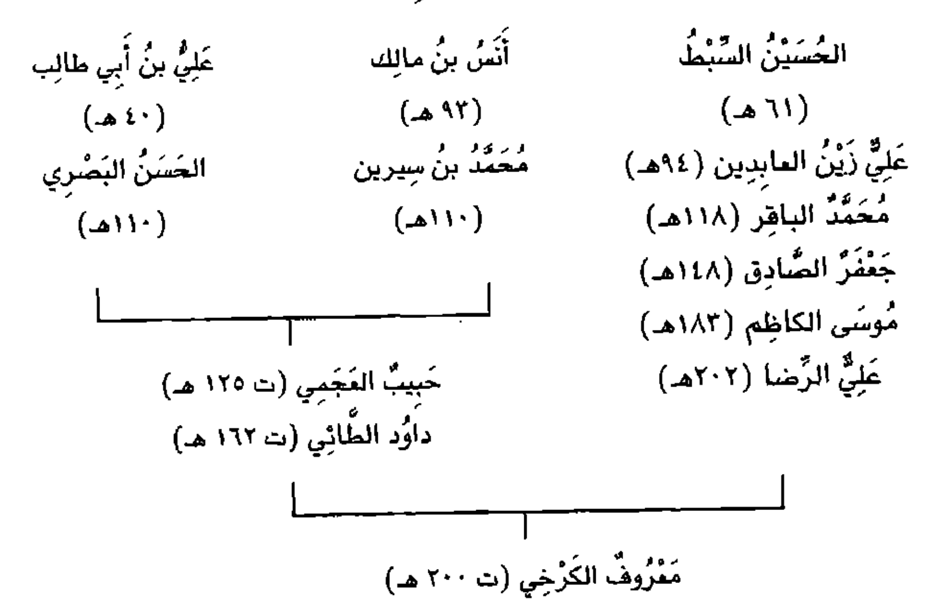
• **سَنَدُهُ إِلَى الطَّرِيقَةِ الشَّاذُلِيَّة** : القُطْبُ الدُّسُوقِي عَنْ والِدِهِ سَيِّدِي عَبْدِ العَزِيزِ أَبِي المَجْدِ القُرَشِيِّ عَنِ الإِمام الشَّاذُلِيِّ إِرادَةً .

والإِمامُ الشَّاذُلِي عَنْ سَيِّدِي عَبْدِ السَّلام بن بَشِيش الحَسَنِي .

ويَتَّصِلُ إِسْنادُ القُطْب ابن بَشِيشٍ الحَسَنِي بِمُعْظَمِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْهُ ، وهاكَ جَدْوَلٌ يُبَيِّنُ ذَلِك :



وهَؤُلاءِ يَنْتَهُونَ إِلَى الإِسْنادِ المُشْتَرَكِ بَيْنَ جَمِيعِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ ويُمَثِّلُهُ الجَدْوَلُ التَّالِي :



وعَنْ مَعْرُوفٍ الكَرْخِي تَلَقَّى السَّرِيُّ السَّقَطِي (ت ٢٥١ هـ) وعَنْهُ الجُنَيْدُ البَغْدادِي

(ت ٢٩٧هـ) ومَنْ فِي طَبَقَتِهِ .

وقَدْ تَواتَرَ عَنِ القُطْبِ الدُّسُوقِي عِنْدَ ذِكْرِهِ الإمامَ الشَّاذُلِيَّ قَوْلُهُ ، الشَّاذُلِي خالِي ، والإمامُ الشَّاذُلِيُّ لَمْ يَكُنْ خالَهُ قَطْعاً مِنْ ناحِيَةِ القُرْبَى ، وإنَّما يَقْصِدُ أَنَّهُ خالُهُ فِي الطَّرِيقِ ، كَما أَنَّ سَيِّدي أَحْمَدَ الرِّفاعِي عَمُّهُ فِي الطَّرِيق .

وتَلَقِّي الطَّرِيقِ نَوْعان : أ) رِوايَة . ب) هِدايَة .

ولا يَهُمُّ ذِكْرُ الإسْنادِ عِنْدَ مَنْ تَلَقَّى الطَّرِيقَ مِنْ جِهَةِ الهِدايَةِ (فَعَلَى الإنْسانِ أَنْ يَلْبَسَها مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْفَعَها بِأَنْ يَقُولَ : لَبِسْتُها مِنْ فُلانٍ عَنْ فُلانٍ إلَى عَلِيِّ بن أَبي طالِب عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ يَقُولَ : أَلْبَسُها كَما أَلْبَسَنِيها فُلانٌ عَنْ فُلانٍ ، وكَذَلِكَ تَلْقِينُ الذِّكْرِ) .

أَمَّا مَنْ تَلَقَّاها رِوايَةً فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ الإسْنادَ صَحِيحاً ، وفِي ذَلِكَ يَقُولُ العارِفُ نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ الحَسَنِ الشَّاذُلِي البُرْهانِي (القَرْنُ العاشِرُ الهِجْرِي) : يَلْزَمُ ذِكْرُ مَشايِخِ السَّنَدِ إذا كانَتِ الطَّرِيقُ لُبْسَ خِرْقَةٍ فَإِنَّها (رِوايَةٌ) ؛ والرِّوايَةُ يَنْبَغِي ذِكْرُ رِجالِ سَنَدِها أَمَّا الهِدايَةُ فَلا .

وأَطْلَقَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَخْذِ الطَّرِيقِ الْتِزاماً : إرادَةً .

وعَلَى أَخْذِهِ اسْتِشْرافاً : تَبَرُّكاً .

لَدُنِّيَّاتُهُ الخَلْوَتِيَّةُ وفُتُوحاتُهُ الوَهْبِيَّةُ

مِمَّا يَسْتَلْفِتُ النَّظَرَ فِي تارِيخِ حَياةِ القُطْبِ الدُّسُوقِي رضي الله عنه أَنَّهُ كانَ يَنْطِقُ بِالعُلُومِ الوَهْبِيَّةِ مُنْذُ طُفُولَتِهِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فَتْحَهُ كانَ وَهْبِيًّا .

ونَقَلَ الجَلالُ الكَرْكِي عَنْ كِتاب (مَراسِم الطَّرِيقَة فِي فَضائِلِ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَة) : أَنَّ الشَّيْخَ لَهُ كَراماتٌ وأَنَّهُ كانَ مَجْذُوباً مِنْ صِغَرِهِ ، واسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ الجَلالُ الكَرْكِي بِقَوْلِهِ : ولَيْسَ المُرادُ بِالجَذْبَةِ لأُسْتاذِنا غَيْبَتَهُ عَنِ التَّدْبِيرِ بِالعَقْلِ ، لأَنَّهُ كانَ لَهُ اسْتِنْباطٌ وتَأْلِيفُ لِمُصَنَّفاتٍ ، بَلِ المُرادُ : أَنَّهُ سُبْحانَهُ جَذَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهِ حَتَّى بَلَغَ حالَةَ الكَمالِ فِي رُتْبَةِ المَشْيَخَةِ فَصارَ مَجْذُوباً مُتَدارَكاً بِالسُّلُوك[1] .

يَقُولُ الإمامُ السَّهْرَوَرْدِي[2] فِي هَذا الصَّدَدِ : فالشَّيْخُ قَدْ يَكُونُ مَأْخُوذاً فِي ابْتِدائِهِ فِي طَرِيقِ المُحِبِّينَ ، وقَدْ يَكُونُ مَأْخُوذاً فِي طَرِيقِ المَحْبُوبِينَ ؛ وذَلِكَ أَنَّ أَمْرَ الصَّالِحِينَ والسَّالِكِينَ يَنْقَسِمُ أَرْبَعَةَ أَقْسام : سالِكٌ مُجَرَّدٌ ، ومَجْذُوبٌ مُجَرَّدٌ ، وسالِكٌ مُتَدارَكٌ بِالجَذْبَةِ ، ومَجْذُوبٌ مُتَدارَكٌ بِالسُّلُوكِ :

---

(١) فالمَقْصُودُ بالجَذْبَةِ : هِيَ مُلازَمَةُ عِنايَةٍ لا غَيْبَةَ دِرايَةٍ .

(٢) عَوارِفُ المَعارِفِ : شِهابُ الدِّين عُمَرُ السَّهْرَوَرْدِي .

فالسَّالِكُ المُجَرَّدُ : لا يُؤَهَّلُ لِلمَشْيَخَةِ ولا يَبْلُغُها لِبَقاءِ صِفاتِ نَفْسِهِ عَلَيْهِ ؛ فَيَقِفُ عِنْدَ حَظِّهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعالَى فِي مَقامِ المُعامَلَةِ والرِّياضَةِ ولا يَرْتَقِي إِلَى حالٍ بِها عَنْ وَهَجِ المُكابَدَةِ .

والمَجْذُوبُ المُجَرَّدُ : مِنْ غَيْرِ سُلُوكٍ يُبادِئُهُ الحَقُّ بِآياتِ اليَقِينِ ويَرْفَعُ عَنْ قَلْبِهِ شَيْئاً مِنَ الحِجابِ ، ولا يُؤْخَذُ فِي طَرِيقِ المُعامَلَةِ ، وهَذا أَيْضاً لا يُؤَهَّلُ لِلمَشْيَخَةِ ويَقِفُ عِنْدَ حَظِّهِ مِنَ اللَّهِ مُرَوَّحاً بِحالِهِ غَيْرَ مُؤاخَذٍ فِي طَرِيقِ أَعْمالِهِ ما عَدا الفَرِيضَة .

والسَّالِكُ الَّذِي تُدُورِكَ بِالجَذْبَةِ : هُوَ الَّذِي كانَتْ بِدايَتُهُ بِالمُجاهَدَةِ والمُكابَدَةِ والمُعامَلَةِ بِالإِخْلاصِ والوَفاءِ بِالشُّرُوطِ ، ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْ وَهَجِ المُكابَدَةِ إِلَى رَوْحِ الحالِ فَوَجَدَ العَسَلَ بَعْدَ العَلْقَمِ ، وتَرَوَّحَ بِنَسَماتِ الفَضْلِ وبَرَزَ مِنْ مَضِيقِ المُكابَدَةِ إِلَى مُتَّسَعِ المُساهَلَةِ ، وأُونِسَ بِنَفَحاتِ القُرْبِ ، وفُتِحَ لَهُ بابٌ مِنَ المُشاهَدَةِ فَوَجَدَ دَواءَهُ وفاضَ وِعاءُهُ وصَدَرَتْ مِنْهُ كَلِماتُ الحِكْمَةِ ومالَتْ إِلَيْهِ القُلُوبُ وتَوالَى عَلَيْهِ فُتُوحُ الغَيْبِ وصارَ ظاهِرُهُ مُسَدَّداً وباطِنُهُ مُشاهِداً ، وصَلَحَ لِلجَلْوَةِ وصارَ لَهُ فِي جَلْوَتِهِ خَلْوَةٌ ، فَيَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ ويَفْتَرِسُ ولا يُفْتَرَسُ ؛ يُؤَهَّلُ مِثْلُ هَذا لِلمَشْيَخَةِ لأَنَّهُ أُخِذَ فِي طَرِيقِ المُحِبِّينَ ومُنِحَ حالاً مِنْ أَحْوالِ

المُقَرَّبينَ بَعْدَما دَخَلَ مِنْ طَريقِ أَعْمالِ الأَبْرارِ الصَّالِحِينَ ، ويَكُونُ لَهُ أَتْباعٌ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَيْهِمْ عُلُومٌ ويَظْهَرُ بِطَرِيقِهِ بَرَكَةٌ ، ولَكِنْ قَدْ يَكُونُ مَحْبُوساً فِي حالِهِ مُحَكَّماً حالُهُ فِيهِ ، لا يُطْلَقُ مِنْ وَثاقِ الحالِ ولا يَبْلُغُ كَمالَ السُّؤالِ ، يَقِفُ عِنْدَ حالِهِ ، وهُوَ حَظٌّ وافِرٌ سَنِيٌّ ، والَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجات .

والمَجْذُوبُ المُتَدارَكُ بِالسُّلُوكِ (وهُوَ المَقامُ الأَكْمَلُ فِي المَشْيَخَةِ) : يُبادِيهِ الحَقُّ عَزَّ وجَلَّ بِالكُشُوفِ وأَنْوارِ اليَقِينِ ، يَرْفَعُ عَنْ قَلْبِهِ الحُجُبَ ، ويَسْتَنِيرُ بِأَنْوارِ المُشاهَدَةِ ، ويَنْشَرِحُ قَلْبُهُ ، ويَتَجافَى عَنْ دارِ الغُرُورِ ، ويُنِيبُ إِلَى دارِ الخُلُودِ ، ويَرْتَوِي مِنْ بَحْرِ الحالِ ، ويَتَخَلَّصُ مِنَ الأَغْلالِ والأَعْلالِ ، ويَقُولُ مُعْلِناً : لا أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ (يَعْنِي بِالقَلْبِ فَيَسْتَغْرِقُ قَلْبُهُ فِي مُشاهَدَةِ آياتِ اللهِ ويَتَحَقَّقُ يَقِيناً بِنَظَرِ اللهِ إِلَيْهِ) ، ثُمَّ يَفِيضُ مِنْ باطِنِهِ عَلَى ظاهِرِهِ وتَجْرِي عَلَيْهِ صُورَةُ المُجاهَدَةِ والمُعامَلَةِ مِنْ غَيْرِ مُكابَدَةٍ وعَناءٍ بَلْ بِلَذاذَةٍ وهَناءٍ حَتَّى يَصِيرَ قالَبُهُ بِصِفَةِ قَلْبِهِ لامْتِلاءِ قَلْبِهِ بِحُبِّ رَبِّهِ ، ويَلِينُ جِلْدُهُ كَما لانَ قَلْبُهُ : وعَلامَةُ لِينِ جِلْدِهِ إِجابَةُ قالَبِهِ لِلعَمَلِ كَإِجابَةِ قَلْبِهِ ، فَيَزِيدُهُ اللهُ تَعالَى إِرادَةً خاصَّةً ويَرْزُقُهُ مَحَبَّةَ خاصَّةِ المَحْبُوبِينَ المُرادِينَ .

وصاحِبُ هَذا المَقامِ يَحْظَى بِالجَمْعِيَّةِ يَقَظَةً عَلَى حَضْرَتِه ﷺ وتِلْكَ المِنْحَةُ الكُبْرَى ؛ إذْ هِيَ بِمَثابَةِ الغايَةِ القُصْوَى الَّتِي يَرْنُو إلَيْها صاحِبُ القَدَمِ الرَّاسِخَةِ مِنْ سالِكِي الطَّرِيقِ ، وهِيَ عَلامَةُ الوُصُولِ إلَى عَيْنِ التَّحْقِيقِ .

ويُؤْخَذُ مِنْ حالِ سَيِّدِي إبْراهِيمَ رضي الله عنه تَحَقُّقُهُ بِهَذا المَقامِ ؛ فَإنَّهُ كانَ إذا مَدَّ القَلَمَ وكَتَبَ افْتَتَحَ الكَلامَ بِقَوْلِهِ : هَذا ما فَتَحَ اللهُ بِهِ مِنْ فُتُوحِ الغَيْبِ مِنْ رَوْضَةِ النَّفْسِ فِي حَظِيرَةِ القُدْسِ ، ولا يَزالُ يَكْتُبُ بِتِلْكَ المُدَّةِ الواحِدَةِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الكَلامُ سَواءٌ قَلَّ أَمْ كَثُرَ .

وتَواتَرَ عَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ كانَ إذا أَلْبَسَ أَصْحابَهُ خِرْقَةَ التَّصَوُّفِ يَقُولُ : تَلَقَّيْتُها عَنْ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ، اعْلَمُوا أَلْبَسَنا اللهُ وإيَّاكُمْ لِباسَ حُبِّهِ وأَلْحَقَنا وأَنْتُمْ بِمُوجِباتِ قُرْبِهِ : أَنَّ العارِفَ قَدْ يَجْذِبُهُ اللهُ إلَيْهِ فَلا يَجْعَلُ عَلَيْهِ مِنَّةً لأُسْتاذٍ ؛ وقَدْ يَجْمَعُ شَمْلَهُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَيَكُونُ آخِذاً عَنْهُ وكَفَى بِهَذا مِنَّةً .

وصَرَّحَ بِذَلِكَ قائِلاً :

لَيْسَ لِي شَيْخٌ ولا لِي قُدْوَةٌ
غَيْرَ خَيْرِ الْخَلْقِ طَهَ الأَوَّلا

وهُوَ بِهَذا لا يُقَلِّلُ مِنْ شَأْنِ أَشْياخِهِ الَّذِينَ أَوْصَلُوهُ إِلَى هَذِهِ المَزِيَّةِ ؛ فالعارِفُ قَدْ يَكُونُ مُسْتَغْرِقاً فِي مُشاهَدَةِ أَحْوالِ الحَبِيبِ الأَعْظَمِ - صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِ - فَلا يَقْصِدُ فِي كَلامِهِ سِواهُ ﷺ ، وقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْرِقاً فِي مُشاهَدَةِ الأَنْوارِ الإِلَهِيَّةِ فَلا يَقْصِدُ فِي كَلامِهِ سِواهُ عَزَّ وجَلَّ .

وهَذا مَقامٌ لَمْ يَنْفَرِدِ القُطْبُ الدُّسُوقِي بِهِ ، بَلْ صَرَّحَ بِبُلُوغِهِ كَثِيرٌ مِنْ أَقْطابِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ : وقَدْ تَواتَرَتِ الرِّواياتُ عَنْ كُلِّ العارِفِينَ أَنَّهُمْ لا يَعْرِفُونَ لَهُمْ مُرْشِداً سِوَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

ومِنَ الَّذِينَ صَرَّحُوا بِذَلِكَ قَبْلَ القُطْبِ الدُّسُوقِي :

القُطْبُ الإِمامُ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي (ت ٥٦١هـ) ، والقُطْبُ الإِمامُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي (ت ٥٧٨هـ)، والسَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحِيم القِنائِي (ت ٥٩٢هـ) وكانَ يَقُولُ (أَنا لا مِنَّةَ لأَحَدٍ عَلَيَّ إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ) ، والعارِفُ الشَّهِيرُ عَبْدُ السَّلامُ بنُ بَشِيش (ت ٦٢٦هـ) ، والشَّيْخُ الأَكْبَرُ مُحْيِي الدِّينِ بنُ عَرَبِي الحاتِمِي الطَّائِي (ت ٦٣٨هـ) ، والإِمامُ الشَّاذِلِي (ت ٦٥٦هـ) .

ومِنَ المُعاصِرِينَ لَهُ :

القُطْبُ الشَّهِيرُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ البَدَوِي (ت ٦٧٥هـ) ، وأَبو العَبَّاسِ

المُرْسِي (ت ٦٨٦هـ) وكانَ يَقُولُ : (واللهِ لَوْ غابَ عَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرْفَةَ عَيْنٍ ما عَدَدْتُ نَفْسِي مِنَ المُسْلِمِينَ) ، والعارِفُ الشَّهِيرُ مَكِينُ الدِّين الأَسْمَر (ت ٦٩٢هـ) .

وكانَ يَقُولُ : (أَنا ما رَبَّانِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ) ، والحافِظُ الإِمامُ عَبْدُ اللهِ بنُ أَبِي جَمْرَة (ت ٦٩٩هـ) .

ومِمَّنْ جاءُوا بَعْدَ القُطْبِ الدُّسُوقِي :

العارِفُ الكَبِيرُ سَيِّدِي مُحَمَّد وَفا الشَّاذُلِي (ت ٧٦٥هـ) وابْنُهُ سَيِّدِي عَلِي وَفا (ت ٨٠١ هـ)، وسَيِّدِي إِبْراهِيمُ المَتْبُولِي (ت ٨٨٨ هـ)، والإِمامُ جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي (ت ٩١١ هـ)، وتاجُ العارِفِينَ شَيْخُ الإِسْلامِ أَبو الحَسَنِ البَكْرِي (ت ٩٥٢ هـ) وابْنُهُ شَيْخُ الإِسْلام الشَّمْسُ مُحَمَّد البَكْرِي (ت ٩٤٤ هـ) والإِمامُ اللَّقَّانِي ، وقَدْ سُئِلَ العارِفُ عَبْدُ المَجِيد بنُ أَبِي القاسِمِ البادْسِي (ت ١٠٠٤هـ) مِنْ أَيْنَ اعْتَرَتْكَ هَذِهِ الأَحْوالُ ؟ فَأَجابَ : واللهِ ما لأَحَدٍ عَلَيَّ مِنَّةٌ إِلَّا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ .

ومِنْهُمُ القُطْبُ الصُّوفِي عَبْدُ اللهِ بنُ إِبْراهِيمَ الشَّرِيفُ العَلَمِي (ت ١٠٨٩هـ) وابْنُهُ العارِفُ السَّيِّدُ مُحَمَّد (ت ١١٢٠هـ) .

والعارِفُ الكَبِيرُ السَّيِّدُ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ مَسْعُودٍ الدَّبَّاغُ الحَسَنِي الإِدْرِيسِي

(ت ١١٣١هـ)، وتِلْمِيذُهُ الحافِظُ أَحْمَدُ بنُ المُبارَكِ (ت ١١٥٥هـ) وقَدْ نَقَلَ عَنْ أُسْتاذِهِ ما يُبْهِرُ العُقُولَ فِي كِتابِهِ (الإبْرِيز).

ومِنْهُمُ الإمامُ العارِفُ مُصْطَفَى بنُ كَمالِ الدِّينِ البَكْرِي (ت ١١٦٣هـ)، والقُطْبُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ السَّمَّان (ت ١١٨٩هـ)، وشَيْخُ الإسْلامِ الشَّمْسُ مُحَمَّدُ بنُ سالِمٍ الحِفْنِي (ت ١١٨١هـ)، والعارِفُ عَلِي الجَمَل ابنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الحَسَنِي العُمْرانِي (ت ١١٩٤هـ)، ومُؤَسِّسُ الطَّرِيقَةِ التِّجانِيَّةِ أَبو العَبَّاس أَحْمَدُ التِّجانِي الحَسَنِي (ت ١٢٣٠هـ)، ومَوْلايَ العَرَبي بنُ أَحْمَدَ الدَّرْقاوي (ت ١٢٣٩هـ)، وتَلامِذَتُهُ البُوزِيدِي والحَرَّاقُ وابْنُ عَجِيبَةَ ومُحَمَّدُ حَسَنُ بنُ حَمْزَةَ ظافِرٌ المَدَنِي.

والقُطْبُ أَحْمَدُ بنُ إِدْرِيسَ الحَسَنِي (ت ١٢٥٣هـ) ومِنْ خُلَفائِهِ المَشْهُورِينَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ عُثْمانُ المِيرْغَنِي والشَّيْخُ إبْراهِيمُ الرَّشِيد.

والقُطْبُ الصَّقَلِي: الطَّيِّبُ بنُ مُحَمَّد (ت بين ١٢٦٠، ١٢٧٠هـ)، وابْنُهُ الشَّرِيفُ مُحَمَّدٌ الصَّقَلِي (ت ١٢٧١هـ).

والسَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الشَّاذُلِي المُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٩٠هـ، وتِلْمِيذُهُ المُجاهِدُ الكَبِيرُ السَّيِّدُ عَبْدُ القادِرِ الجَزائِرِي الحَسَنِي (ت ١٣٠٠هـ)، ولَهُ كِتابُ (المَواقِف) فِي ثَلاثَةِ مُجَلَّداتٍ أَتَى فِيهِ بِغَرائِبِ الفَتْح.

والشَّرِيفُ العارِفُ الشَّهِيرُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الكَبِيرِ الكِتَّانِي (ت ١٣٢٧هـ)، وغَيْرُهُمْ وغَيْرُهُمْ ، وهَؤُلاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنا : مِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ لَنا مِنَ المُؤَلَّفاتِ ما تَجاوَزَ المِائَةَ والمِائَتَيْنِ ، ومِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَ القُرْآنَ العَظِيمَ فِي سِتِّينَ مُجَلَّداً .

وقَدْ تَكَلَّمَ العارِفُونَ والأَئِمَّةُ عَلَى هَذا المَقام : ومِنْهُمُ الإمامُ عَبْدُ القادِرِ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ الشَّهِيرُ بابْنِ مُغَيْزِل فِي كِتابِهِ (الكَواكِبُ الزَّاهِرَةُ فِي اجْتِماعِ الأَوْلِياءِ يَقَظَةً بِسَيِّدِ الدُّنْيا والآخِرَةِ)، وهُوَ قِسْمٌ مِنْ كِتابِهِ (الفَتْحُ المُبِينُ بِمَعْرِفَةِ مَقاماتِ الصِّدِّيقِينَ)، وكِلاهُما مَخْطُوطٌ ، ومِمَّنْ حاوَلَ تَعْرِيفَهُ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ العَلَّامَةُ يُوسُفُ بنُ إِسْماعِيلَ النَّبَهانِي فِي كِتابِهِ (سَعادَةُ الدَّارَيْنِ) .

يَقُولُ العارِفُ مُحَمَّدٌ المَغْرَبِيُّ الشَّاذُلِيُّ (ت نَحْوَ ٩١٠هـ) فِي هَذا المَعْنَى : المُرادُ بِرُؤْيَتِهِ ﷺ كَذَلِكَ (أَيْ يَقَظَةً) يَعْنِي يَقَظَةَ القَلْبِ لا يَقَظَةَ الحَواسِّ الجِسْمانِيَّةِ ؛ لأَنَّ مَنْ بالَغَ فِي كَمالِ الاسْتِعْدادِ والتَّقَرُّبِ صارَ مَحْبُوباً لِلحَقِّ وإِذا أَحَبَّهُ كانَ نَوْمُهُ مِنْ كَثْرَةِ اليَقَظَةِ القَلْبِيَّةِ كَحالِ اليَقَظَةِ الَّتِي لِغَيْرِهِ .

فَهُوَ مَقامٌ مِنْ مَقاماتِ العارِفِينَ كالمَقامِ الخَضِرِي الَّذِي يَتَحَدَّثُ

فِيهِ العارِفُ عَنِ اجْتِماعِهِ بِالخَضِرِ عليه السلام ، وقَدْ أَكَّدَ الإمامُ داوُدُ ابنُ مَحْمُودٍ القَيْصَرِي أَنَّ هَذا الاجْتِماعَ الخَضِرِيَّ إِنَّما هُوَ مَقامٌ مِنْ مَقاماتِ المَعْرِفَةِ وأَفْرَدَ ذَلِكَ فِي رِسالَةٍ سَمَّاها (تَحْقِيقُ ماءِ الحَياةِ فِي تَحْقِيقِ أَنَّ الخَضِرَ مَقامٌ مِنْ مَقاماتِ الصُّوفِيَّة) وهِيَ مَخْطُوطَةٌ بِدارِ الكُتُبِ العامَّة .

ومَرْتَبَةُ الأَخْذِ عَنْهُ ﷺ مَرْتَبَةٌ عَزِيزَةٌ مِنْ مَراتِبِ كُمَّلِ العارِفِينَ يَصِلُونَ فِيها إِلَى دَرَجَةِ مُشاهَدَتِهِ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ شُؤُونِهِمْ وأُمُورِهِمْ ومِنْ هَذِهِ المُشاهَدَةِ تَسْرِي إِلَيْهِمُ العُلُومُ والمَعارِفُ الَّتِي تُنَمِّي اسْتِعْداداتِهِمْ وتَسْقِيهِمْ بِالعُلُومِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ .

ولِلعارِفِينَ بِاللهِ عَزَّ وجَلَّ عَلاماتٌ فِيمَنْ بَلَغَ هَذِهِ المَرْتَبَةَ أَهَمُّها : العِلْمُ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، والاهْتِداءُ بِهَدْيِهِ ﷺ فِي جَمِيعِ الأَقْوالِ والأَعْمالِ والأَحْوالِ ، والتَّحَقُّقُ بِشُعَبِ الإِيمانِ ، ومَعْرِفَةُ أَدَبِ كُلِّ وَقْتٍ وكُلِّ حالٍ ، وابْتِغاءُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الوُجُودِ إِلَى آخِرِ ما ذَكَرُوهُ مِنَ الشُّرُوطِ الَّتِي لا تَخْفَى عَلَى أَهْلِها .

مُخاطَباتُهُ فِي مُشاهَداتِهِ

قالَ رضي الله عنه فِي الحَقائِقِ : (إِنَّنِي ذاتَ يَوْمٍ جالِساً فِي مَكانِي فَأَخَذَتْنِي

سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ ، فَنُودِيتُ فِي سِرِّي يا إِبْراهِيمُ نِمْتَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْنا والمُشاهَدَةِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الغافِلِينَ ؟ فَقُمْتُ مَرْعُوباً) .

وفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

كُلِّي بِكُلِّكَ مَشْغُولٌ عَنِ الْبَشَرِ

فَكَيْفَ أَنْساكَ يا سَمْعِي ويا بَصَرِي ؟

ولَوْ أَنَّ عَيْنِي إِلَيْكَ الدَّهْرَ ناظِرَةٌ

دَنَتْ وَفاتِي ولَمْ أَشْبَعْ مِنَ النَّظَرِ

وللعارِفِينَ فِي مَقامِ المُشاهَدَةِ أَحْوالٌ تَدِقُّ عَنِ الوَصْفِ فَلا يُدْرِكُ مَعانِيها إِلَّا مَنْ ذاقَها ؛ شَأْنُ كُلِّ عُلُومِ الأَذْواقِ : يَقُولُ سُلْطانُ العاشِقِينَ سَيِّدِي عُمَرُ بنُ الفارِضِ فِي التَّائِيَّةِ الكُبْرَى :

يُشاهِدُ مِنِّي حُسْنَها كُلُّ ذَرَّةٍ

بِها كُلُّ طَرْفٍ جالَ فِي كُلِّ طَرْفَةِ

وَيُثْنِي عَلَيْها فِي كُلِّ لَطِيفَةٍ

بِكُلِّ لِسانٍ جالَ فِي كُلِّ لَفْظَةِ

وَأَنْشُقُ رُباها بِكُلِّ رَقِيقَةٍ
بِها كُلُّ أَنْفٍ ناشِقٌ كُلَّ هَبَّةِ
وَيَسْمَعُ مِنِّي لَفْظَها كُلُّ بَضْعَةٍ
بِها كُلُّ سَمْعٍ سامِعٌ مُتَصَنِّتِ
وَيَلْثَمُ مِنِّي كُلُّ جُزْءٍ لِثامَها
بِكُلِّ فَمٍ فِي لَثْمِهِ كُلُّ قُبْلَةِ

فالإنْسانُ يَصِلُ إِلَى حالَةٍ يَكُونُ إدْراكُهُ فِيها بِسائِرِ ذَرَّاتِ وُجُودِهِ ، ولا يَعْلَمُ هَذِهِ الحالَةَ إِلَّا مَنْ ذاقَها ؛ فَيَكُونُ كُلُّهُ ذَرَّاتٌ تَشْهَدُ وتُصْغِي وتَعْقِلُ عَظَمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، ولا يَصِلُ إِلَى هَذِهِ المَرْتَبَةِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِالقُرْآنِ العَظِيمِ واهْتَدَى بِهَدْيِهِ ﷺ ، وحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ المُؤْمِنِين .

وهَذا هُوَ السِّرُّ فِي أَنَّ بَعْضَ العارِفِينَ فِي هَذا المَقامِ تَمْضِي عَلَيْهِ الأَيَّامُ ولا يَنامُ دُونَ تَكَلُّفٍ مِنْهُ فِي ذَلِكَ ، وبَعْضُهُمْ قَدْ يَمْكُثُ أَيَّاماً لا يُكَلِّمُ أَحَداً لأَنَّهُ لا يُطِيقُ الحَدِيثَ مَعَ الغَيْرِ .

وقَدْ وَرَدَ فِي الرِّواياتِ المُتَواتِرَةِ عَنْ أَبِي الفِتْيانِ القُطْبِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ البَدَوِيِّ أَنَّهُ كانَ يَطْوِي الأَرْبَعِينَ يَوْماً لا يَنامُ بَلْ يَمْكُثُ شاخِصاً بِبَصَرِهِ لا يَجُولُ لَهُ فِكْرٌ إِلَّا فِي مُشاهَدَةِ عَظَمَةِ الخالِقِ الأَعْظَمِ جَلَّ جَلالُهُ .

والسَّماعُ والمُخاطَبَةُ والمُشاهَدَةُ مِنَ المَقاماتِ الَّتي لا يَصِلُ إلَيْها إلَّا مَنْ صَفَتْ نَفْسُهُ ، وخَلا قَلْبُهُ مِنْ ظُلْمَةِ الخَواطِرِ ، وتَجَرَّدَ مِنْ كُلِّ وَصْفٍ دَنيءٍ ، وتَخَلَّقَ بِكُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ولَمْ يَطْلُبْ فِي الوُجُودِ سِوَى رِضا مَوْلاهُ ؛ فَكانَ فِي كُلِّ حَرَكاتِهِ وسَكَناتِهِ مَجْمُوعاً عَلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ لا يَبْغِي سِواهُ .

وللعارِفِينَ فِي ضَبْطِ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الالْتِفاتِ إلَى المَخْلُوقاتِ عَجائِبُ ؛ رُوِيَ عَن سَيِّدِي أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِيِّ أَنَّهُ قالَ : لِيَ الآنَ أَرْبَعُونَ سَنَةً ما حُجِبْتُ عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وكانَ يُنْشِدُ مِنْ قَصِيدَةٍ لابنِ العَطَّار :

رَفَعَتْ مَقاماتُ الْوِصالِ حِجابِي
حَتَّىٰ احْتَجَبْتُ بِكُمْ عَنِ الْحُجَّابِ

ولَزِمْتُ مِحْرابِي لُزُومَ مُجَمِّعٍ
فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْحَقِّ فِي مِحْرابِي

وقَتَلْتُ مِنْ نَفْسِي غُلاماً قَتْلُهُ
سَبَبُ النَّجاةِ وأَعْظَمُ الأَسْبابِ

وخَرَقْتُ لَوْحَ سَفِينَتِي لأَعِيبَها
فَنَجَوْتُ مِنْ مَلِكٍ لَها غَصَّابِ

وكَشَفْتُ عَنْ قَلْبِي جِدارَ حِجابِهِ

عَـنْ كَنْزِهِ الْباقِي بِغَيْرِ ذِهابِ

ورَقَيْتُ فِي السَّبْعِ السَّمَواتِ الْعُلا

حَتَّى دَنَـوْتُ فَكُنْتُ مِثْلَ الْقابِ

ويَنْصَحُ القُطْبُ الدُّسُوقِيُّ مُرِيدِيهِ بِالعَمَلِ لِلحُصُولِ إلَى مَقامِ المُشاهَدَةِ بِقَوْلِهِ : (فاعْمَلْ لعَلَّكَ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ عادَتْ أَرْواحُهُمْ رُوحانِيَّةً لَطِيفَةً نُورانِيَّةً جَوَّالَةً تَجُولُ فِي المَلَكُوتِ وتُشاهِدُ الحَيَّ الَّذِي لا يَمُوتُ وهِيَ تَنْظُرُ عَجائِبَ غَرائِبَ ما يَكُونُ مِنَ الأَمْرِ المَكْنُون) .

وهُوَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِذَلِكَ يُعَبِّرُ عَنْ تَحَقُّقِهِ بِالمُشاهَدَةِ بِسائِرِ قُوَى وُجُودِهِ .

ومِمَّا نَطَقَ بِهِ سَيِّدِي إبْراهِيمُ الدُّسُوقِي فِي حالَةِ الاسْتِغْراقِ فِي حَضْرَةِ الإشْراقِ : (لَقَدْ أَخَذَنِي حَبِيبِي مِنْ إِيَّاي ، وسَلَبَنِي عَنْ مَعْنايَ ، وأَفْنانِي عَنْ فَناي ، فَتَلَقَّيْتُهُ لا مِنْ تِلْقاي ، واسْتَجْلَيْتُهُ لا بِمِرْآي ، وخاطَبْتُهُ لا بِإيماي ، وناجَيْتُهُ لا بِإصْغاي ، وأَجْلَسَنِي عَلَى سَرِيرِ الصَّفا ، وسَقانِي بِكَأْسِ الوَفا ، وعَقَدَ لِي لِواءَ الوِلا ، فاسْتَعْذَبْتُ فِيهِ أَلِيمَ العَذابِ والبَلا ، ورَضِيتُ مِنْهُ بِقَدِيمِ القَضا ، فَلَوْ جَرَّعَنِي كُؤُوسَ المَنِيَّةِ لَشَرِبْتُها ، ولَوْ عَذَّبَنِي بِفُنُونِ الرَّزِيَّةِ لاسْتَعْذَبْتُها ، ولَوْ أَوْرَدَنِي مَوارِدَ الهَلَكَةِ لَوَرَدْتُها ،

فَأَنا مَعَهُ كما يُرِيدُ لا كَما أُرِيدُ ، فَهُوَ المُرادُ وأَنا المُرِيدُ) .

وفِي شَرْحِ هَذِهِ العِبارَةِ يَقُولُ الجَلالُ الكَرْكِي :

يُسْتَفادُ مِنْ قَوْلِ الأُسْتاذِ (وأَفْنانِي عَنْ فَناي) : أَنَّهُ صارَ مِنْ عِبادِ اللهِ الَّذِينَ مَحَقَ اللهُ سُبْحانَهُ أَفْعالَهُمْ بِأَفْعالِهِ وأَوْصافَهُمْ بِأَوْصافِهِ، وذَواتَهُمْ بِذاتِهِ ، وحَمَّلَهُمْ مِنْ أَسْرارِهِ ما تَعْجَزُ عامَّةُ الأَوْلِياءِ عَنْ سَماعِهِ فارْتَفَعُوا بِفَنائِهِمْ عَنْ رُؤْيَةِ فَنائِهِمْ ، وهُمُ الَّذِينَ غَرِقُوا فِي بِحارِ الذَّاتِ وتَيَّارِ الصِّفاتِ .

فَهِيَ إِذَنْ فَناءاتٌ ثَلاثٌ : أَيْ يُفْنِيكَ عَنْ أَفْعالِكَ بِأَفْعالِهِ ، وعَنْ أَوْصافِكَ بِأَوْصافِهِ ، وعَنْ ذاتِكَ بِذاتِهِ ؛ **فالأَوَّلُ** فَناؤُهُ عَنْ نَفْسِهِ وصِفاتِهِ بِبَقائِهِ بِصِفاتِ الحَقِّ ، ثُمَّ **الثَّانِي** فَناؤُهُ عَنْ صِفاتِ الحَقِّ بِشُهُودِ الحَقِّ ، ثُمَّ **الثَّالِثُ** فَناؤُهُ عَنْ شُهُودِ فَنائِهِ بِاسْتِهْلاكِهِ فِي وُجُودِ الحَقِّ (وهَذا مَقامُ الخاصَّةِ) ؛ إِذِ العامَّةُ نَظَرُهُمْ إِلَى الخَلْقِ ، والخاصَّةُ نَظَرُهُمْ إِلَى الحَقِّ ، فَلا تَدْبِيرَ لَهُمْ ولا اخْتِيارَ فَهُمْ مَحْجُوبُونَ بِالحَقِّ عَنِ الخَلْقِ .

ويَعْنِي مِنْ قَوْلِهِ (فَلا تَدْبِيرَ لَهُمْ ولا اخْتِيارَ) : أَي لا يَتَعَدَّى أَحَدُهُمْ حُدُودَ الشَّرِيعَةِ بِالانْغِماسِ فِي اللَّذَّاتِ والشَّهَواتِ ، فَلا وَجْهَ لَهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ أَوْ فِي كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ سِوَىٰ رِضا مَوْلاهُ عَنْهُ .

ثُمَّ قالَ : وأَمَّا خاصَّةُ الخاصَّةِ فَيَشْهَدُونَها لا يَحْتَجِبُونَ بِأَحَدِهِما عَنِ الآخَرِ لِوُصُولِهِمْ إِلَى مَقامِ البَقاءِ ، ومَنْ وَصَلَ إِلَى هَذا المَقامِ يَكُونُ اخْتِيارُهُ مِنَ اخْتِيارِ اللَّهِ لِزَوالِ هَواهُ ووُفُورِ عِلْمِهِ وانْقِطاعِ مادَّةِ الجَهْلِ عَنْ باطِنِهِ .

وقَوْلُ الأُسْتاذِ (وخاطَبْتُهُ لا بِإِيَّايَ وناجَيْتُهُ لا بِإِصْغاي) : يَعْنِي لَمْ أَسْمَعْ مُناجاتِهِ لِي وَقْتَ مُناجاتِي لَهُ بِإِصْغاءِ السَّمْعِ بَلْ بِالقَلْبِ والسِّرِّ لأَنَّ سَماعَ كَلامِ اللَّهِ تَعالَى يَحْصُلُ بِجَمِيعِ وُجُودِ السَّامِعِ لا بِحاسَّةٍ مِنْ حَواسِّهِ ؛ فَهُوَ يَسْمَعُ مِنَ اللَّهِ بِاللَّهِ كَما جاءَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ : (كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ) ، فَهُوَ السَّامِعُ المَسْمُوعُ ، الشَّاهِدُ المَشْهُودُ ، ومَنْ تَوَهَّمَ الحُلُولَ أَوِ الجِهَةَ كَفَرَ ؛ فالحِجابُ الَّذِي بَيْنَ الإِنْسانِ وخالِقِهِ إِنَّما حِجابٌ مَعْنَوِيٌّ ولَيْسَ بِحِجابٍ حِسِّيٍّ ، وهُوَ حِجابٌ مَنْسُوجٌ مِنْ أَوْهامِ النُّفُوسِ الَّتِي أُصِيبَتْ بِمُصِيبَةِ الإِعْراضِ عَنِ اللَّهِ تَعالَى لانْصِرافِها عَنْ الاقْتِداءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

والمُشاهَدَةُ الَّتِي يَعْنِيها الصُّوفِيَّةُ : لَيْسَتْ مِنَ الرُّؤْيَةِ البَصَرِيَّةِ ولَكِنَّها مُشاهَدَةُ القُلُوبِ لِعَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ واسْتِغْراقُها فِي هَذِهِ المُشاهَدَةِ بِقَدْرِ مَعْرِفَةِ صاحِبِها ؛ وفِي هَذا يَقُولُ ابنُ عَرُوس :

مَنْ لَمْ يُشاهِدْ بِالْبَصِيرَةِ ذاتَهُ

فَلَقَدْ أَحاطَ بِهِ حِجابُ عَماهُ

فالأَعْمَى هُوَ الَّذِي انْطَمَسَتْ بَصِيرَتُهُ فَلَمْ تَشْهَدْ عَظَمَةَ الخالِقِ وجَلالَهُ وجَمالَهُ وكَمالَهُ ، فانْطَلَقَتِ النَّفْسُ تَرْتَعُ بِلا حَسِيبٍ ولا رَقِيبٍ فِي مَيادِينِ حُجُبِ الغُرُورِ والظُّلْمِ والفَسادِ ، ولا رادِعَ يَرْدَعُها ولا لِجامَ يَكْبَحُ جِماحَها .

يَقُولُ الجَلالُ الكَرْكِي : وأَمَّا قَوْلُهُ (وسَقانِي بِكَأْسِ الوَفا) فَمِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

شَرِبْتُ دِنانَ الصِّرْفِ فِي حَضْرَةِ الرِّضا

وكانَ دَلِيلِي لِلْهُدَى سَيِّدَ الْعُرْبِ

لا شَكَّ أَنَّ صَفاءَ مُعامَلاتِهِمْ تُوجِبُ لَهُمْ ذَوْقَ المَعانِي ، والذَّوْقُ عِنْدَ سادَتِنا الصُّوفِيَّةِ أُولَى دَرَجاتِ شُهُودِ الحَقِّ بِالحَقِّ فِي إِثْباتِ البَوارِقِ المُتَوالِيَةِ عِنْدَ أَدْنَى لَبْثٍ مِنَ التَّجَلِّي البَرْقِي ، فَإِذا زادَ وبَلَغَ أَوْسَطَ مَقامِ الشُّهُودِ سُمِّيَ شُرْباً ، فَإِذا بَلَغَ النِّهايَةَ سُمِّيَ رِيًّا ، وذَلِكَ بِحَسَبِ صَفاءِ السِّرِّ عَنْ مُلاحَظَةِ غَيْرِهِ ، فالمُرادُ بِالشُّرْبِ فِي كَلامِهِمْ النُّورُ السَّاطِعُ المُسْفِرُ عَنْ جَمالِهِ ، والمُرادُ بِالكَأْسِ اللُّطْفُ المُوَصِّلُ لِذَلِكَ إِلَى أَفْواهِ القُلُوبِ .

مُؤَلَّفاتُهُ

لِلْقُطْبِ الدُّسُوقِيِّ مُؤَلَّفاتٌ فِي الفِقْهِ والتَّصَوُّفِ ، ونَعْتَقِدُ أَنَّها مِنْ

نَوْعِ الإمْلاءاتِ الَّتي كانَتْ تَتِمُّ فِي مَجالِسِ العِلْم ، وهِيَ ما نُسَمِّيهِ مُحاضَراتٍ ، لأَنَّ أُسْلُوبَها أُسْلُوبُ الإمْلاءاتِ لا أُسْلُوبَ التَّأْلِيفِ ؛ ومِنْ كُتُبِهِ :

١) مُؤَلَّفٌ فِي الفِقْهِ الشَّافِعِي . ٢) الحَقائِق . ٣) الرِّسالَة .

٤) الجَوْهَرَة : ويُوجَدُ مِنْها نُسْخَةٌ خَطِّيَّةٌ بِدارِ الكُتُبِ العامَّةِ بِالقاهِرَةِ ويَرْجِعُ تارِيخُ نَسْخِها إِلَى سَنَةِ ١٢٩٠هـ ، كَما تُوجَدُ نُسْخَةٌ خَطِّيَّةٌ بِالمَكْتَبَةِ الأَزْهَرِيَّةِ تَرْجِعُ إِلَى سَنَةِ ١١٠٩هـ ، كَما تُوجَدُ نُسْخَةٌ مَطْبُوعَةٌ طَبْعَ حَجَرٍ فِي (١٩٩ صَفْحَة) وعُنْوانُها : (كِتابٌ مُنِيرٌ مِنْ كَلامِ القُطْبِ الكَبِيرِ مَنْ أُعْطِيَ العِلْمَ الشَّرْعِي والحَقِيقِي ، سَيِّدِي إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي) ؛ وهُوَ أَقْدَمُ طَبْعَةٍ لِكِتابِ الجَوْهَرَةِ المَخْطُوطِ ، أَمَّا النُّسْخَةُ المَنْشُورَةُ المُتَداوَلَةُ بِاسْمِ (جَوْهَرَة الدُّسوقِي) فَإِنَّهُ لا تَصِحُّ نِسْبَةُ جَمِيعِ ما فِيهِ إِلَى القُطْبِ الدُّسُوقِي العِرْفانِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ والأَدَبِيَّةِ بِحَيْثُ لا يَخْفَى وَضْعُها عَلَى مَنْ دَرَسَ أُسْلُوبَ القُطْبِ الدُّسُوقِي .

كَلِماتُهُ باقِياتٌ وبِالحِكْمَةِ ناطِقاتٌ

وخُلاصَةٌ لِلشَّرِيعَةِ والطَّرِيقَةِ والحَقِيقَةِ جامِعاتٌ

فَمِنْ كَلامِهِ لِمُرِيدِيهِ وقاصِدِيهِ فِي المُحاضَراتِ والاجْتِماعاتِ :

• احْذَرْ أَنْ تَدَّعِيَ مُعامَلَةً خالِصَةً مَعَ اللّه : فَإِنْ صُمْتَ فَهُوَ صَوَّمَكَ ، وإِنْ قُمْتَ فَهُوَ أَقامَكَ ، ولَيْسَ لَكَ فِي الوَسَطِ شَيْءٌ بَلِ الشَّأْنُ أَنْ تَرَى أَنَّكَ عَبْدٌ عاصٍ لَيْسَ لَكَ حَسَنَةٌ واحِدَةٌ ؛ وأَنَّى لَكَ حَسَنَةٌ فَهُوَ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْكَ ، وإِنْ شاءَ رَدَّ عَلَيْكَ .

• وَلَدُ القَلْبِ خَيْرٌ مِنْ وَلَدِ الصُّلْبِ ؛ فَإِنَّ وَلَدَ الصُّلْبِ يَرِثُ الظَّاهِرَ ووَلَدَ القَلْبِ إِرْثُهُ السَّرائِر .

• ما ثَمَّ عارِفٌ يَنْطِقُ عَنْ غَيْرِهِ وإِنَّما يُضِيفُ الكَلامَ لِغَيْرِهِ تَسَتُّراً .

• الإِنْكارُ يُورِثُ الوَحْشَةَ ، وهِيَ تُورِثُ الانْقِطاعَ عَنْ طَرِيقِ اللّه .

• كُلُّ مَنْ وَقَفَ مَعَ مَقام حُجِبَ بِهِ .

• ما أَعَزَّ الطَّرِيقَ وما أَعَزَّ طَلَبَها وما أَعَزَّ مَنْ يَصْدُقُ فِي طَلَبِها وما أَعَزَّ الدَّالَّ عَلَيْها .

• ما كُلُّ مَنْ خَدَمَ يَعْرِفُ آدابَ الخِدْمَةِ وحِفْظَ الحُرْمَةِ ، ولِذَلِكَ كَثُرَ المُرْتَدُّونَ عَنِ الطَّرِيق .

• إِذا ضَحِكَ الفَقِيرُ[1] فاحْذَرُوهُ ولا تُخالِطُوهُ إِلَّا بِأَدَبٍ ، فَإِنَّهُ رُبَّما مَزِحَ كالنَّاسِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ تَنْفِيراً لَهُمْ لِكَيْ لا يُعْتَقَدَ فَيَنْشَغِلَ عَنْ رَبِّهِ .

---

(١) الفَقِيرُ : الصُّوفِيُّ الوَلِيُّ والعالِمُ الرَّبَّانِيُّ .

• لا يَصِلُ رَجُلٌ إِلَى الكَمالِ حَتَّى يُمْكِنَهُ تَخْرِيجَ جَمِيعِ أَحْكامِ الشَّرِيعَةِ مِنْ أَيِّ حَرْفٍ شاءَ مِنْ حُرُوفِ الهِجاء .

• أَوَّلُ الطَّرِيقِ الخُرُوجُ عَنِ النَّفْسِ والحَظِّ ، والرِّضا بِالضِّيقِ والتَّلَفِ .

• أَكْلُ الحَرام وقَوْلُ الحَرام يُفْسِدانِ العَمَلَ ، ويُوهِنانِ الدِّينَ ، ومُعاشَرَةُ أَهْلِ الدَّنَسِ تُورِثُ ظُلْمَةَ البَصَرِ والبَصِيرَة .

• عَلَيْكَ بِالعَمَلِ بِالشَّرْعِ ، وإِيَّاكَ وشَقْشَقَةَ اللِّسانِ بِالكَلامِ فِي الطَّرِيقِ دُونَ التَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِ أَهْلِها .

• مَنْ أَرادَ أَنْ يَكُونَ إِماماً يُقْتَدَى بِهِ فَلْيَحْكُمْ بِالحَقِيقَةِ ، إِذْ ما سُمِّيَتْ حَقِيقَةً إِلَّا لِكَوْنِها تُحَقِّقُ العُلُومَ بِالأَعْمالِ ، وتُنْتِجُ الحَقائِقَ مِنْ بَحْرِ الشَّرِيعَة .

• إِنْ أَحَبَّكَ رَبُّكَ أَحَبَّكَ أَهْلُ الأَرْضِ والسَّماءِ وأَطاعَكَ الجِنُّ والإِنْسُ والماءُ والهَواءُ .

• مُطالَعَةُ حِكاياتِ الأَوْلِياءِ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ ما لَمْ يَقْنَعْ بِحِفْظِها دُونَ التَّخَلُّقِ بِها .

• الطَّرِيقُ كُلُّها تَرْجِعُ لِكَلِمَتَيْنِ : تَعْرِفُ رَبَّكَ وتَعْبُدُهُ .

• الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ تُذِيبُ الأَكْبادَ وتُضْنِي الأَجْسادَ وتَدْفَعُ السُّهادَ ،

فَإذا رُفِعَ الحِجابُ تَنَعَّمَ بِسَماعِ الخِطابِ ، وقَرَأَ المَرْمُوزَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ ، واطَّلَعَ عَلَى مَعانٍ دَقَّتْ ، وشَرِبَ بِأَوانٍ صَفَتْ ورَقَّتْ ، وكانَ مَعَ قَلْبِهِ ثُمَّ تَقَلُّبِهِ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [1] .

• إذا كَمُلَ العارِفُ أَوْرَثَهُ اللهُ عِلْماً بِلا واسِطَةٍ لَكِنْ مِنْ باطِنِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذْ لا يَتَعَدَّى تابِعٌ دائِرَةَ عِلْمِ مَتْبُوعِهِ .

• مَنْ كَمُلَ سُلُوكُهُ أَخَذَ العُلُومَ المَكْنُونَةَ فِي أَلْواحِ المَعانِي ، فَفَهِمَ رُمُوزَها ، وعَرَفَ كُنُوزَها ، وفَكَّ طَلْسَمَها ، واطَّلَعَ عَلَى العُلُومِ المُودَعَةِ فِي النَّقْطِ والشَّكْلِ ، وما كُتِبَ عَلَى وَرَقِ الشَّجَرِ والماءِ والهَواءِ والبَحْرِ والبَرِّ ، وما كُتِبَ فِي صَفْحَةِ قُبَّةِ السَّماءِ ، وما فِي جِباهِ الثَّقَلَيْنِ مِمَّا يَقَعُ لَهُمْ دُنْيا وأُخْرَى ، وعَلَى ما هُوَ مَكْتُوبٌ بِلا كِتابَةٍ مِنْ كُلِّ ما فَوْقَ الفَوْقِ وتَحْتَ التَّحْتِ .

• المُبْتَدِئُ مُجاهِدٌ ، والمُنْتَهِي مُشاهِدٌ ، المُبْتَدِئُ خائِفٌ والمُنْتَهِي طائِفٌ ، المُبْتَدِئُ تائِبٌ ، والمُنْتَهِي غائِبٌ ، المُبْتَدِئُ مَحْزُونٌ ، والمُنْتَهِي مَسْرُورٌ ، المُبْتَدِئُ باكٍ حَيْران ، المُنْتَهِي ضَحُوكٌ مَقْرُورٌ لَهُ العَيْنان ، المُبْتَدِئُ صائِمٌ قائِمٌ ، والمُنْتَهِي فِي بِحارِ القُرْبِ عائِمٌ ،

---

(١) سُورَةُ الأَنْفال : مِنَ الآيَة ٢٤ .

المُبْتَدِئُ مَحْجُوبٌ بِأَعْمالِهِ ، والمُنْتَهي ناظِرٌ إِلَى مُشاهَدَةِ جَمالِهِ ، هَذا بِالظّاهِرِ يَجْرِي ، وهَذا بِالباطِنِ يَسْرِي ، هَذا مَحْجُوبٌ ، وهَذا مَحْبُوبٌ ، هَذا سَكْرانُ ، وهَذا صَحْوانُ ، المُبْتَدِئُ يَلْبَسُ الدُّلُوقَ ، والمُنْتَهي يَلْبَسُ الخُلُوقَ ، إِذا عارَضَهُ فِي الطَّرِيقِ عاطِلٌ ، ناداهُ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللّهَ باطِلٌ ، فَلا يَنْظُرْ مُرِيدٌ إِلَى أَحْوالِ شَيْخِهِ فَيَقْتَدِي بِهِ فِيها إِلّا بِأَمْرِهِ .

• مِنَ الأَوْلِياءِ مَنْ لا يَدْرِي الخِطابَ ولا الجَوابَ ، فَهُوَ كالحِجارَةِ فِيها أَسْرارٌ ناطِقَةٌ بِلِسانِ حالٍ صامِتَةٍ عَنِ الكَلامِ ، فَمِنْهُمْ عارِفٌ ومُحِبٌّ وناطِقٌ وصامِتٌ ومُسْتَغْرِقٌ ، وصائِمٌ مُفْطِرٌ وصائِمٌ صائِمٌ ، وقائِمٌ دائِمٌ ونائِمٌ واصِلٌ وواصِلٌ ساهِرٌ ، وواقِفٌ ذاهِلٌ وداهِشٌ حَيْرانُ ، وباكٍ وضاحِكٍ ، ومَقْبُوضٌ وخائِفٌ ، ومُخْتَلِطٌ ومُخْتَبِطٌ .

• رَأْسُ مالِ المُرِيدِ المَحَبَّةُ والتَّسْلِيم .

• إِذا لَمْ تُحْسِنْ أَنْ تَتَّبِعَ القَوْمَ عَلَى مُجاهَدَتِهِمْ فَلا تَقَعْ فِيهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلِسانِ التَّمْزِيقِ ، وبِلِسانِ التَّحْقِيقِ بِحَسَبِ الحَضَراتِ الَّتِي يَدْخُلُونَها ، والفَقِيهُ لَمْ يَذُقْ حالَهُمْ ولا دَخَلَ حَضَراتِهِمْ ، فَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنَّهُمْ عَلَى ضَلالٍ ؟ أَفَتَعُومُ البَحْرَ وأَنْتَ غَيْرُ عَوّامٍ ؟ فَإِنْ

غَرِقْتَ مُتَّ مَوْتَةً جاهِلِيَّةً ، فَإنَّكَ أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ لِلمَهالِكِ ، والحَقُّ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكَ ذَلِكَ ، فاتْرُكِ الكَلامَ تَرْشُدْ ، فَإنَّ أَلْسُنَ القَوْمِ إذا دَخَلُوا الحَضْرَةَ مِنْها ما يُفْهَمُ ومِنْها ما لا يُفْهَمُ ، ومِنْ أَسْرارِهِمْ ما لا يَصِلُ إلَى فَهْمِهِ مُعَبِّرٌ ولا مُفَسِّرٌ ، لأَنَّ أَسْرارَهُمْ مَكْنُونُ سِرِّ اللّهِ ، وقَدْ عَجَزَ القَوْمُ عَنْ مَعْرِفَةِ أَسْرارِ اللّهِ فِي نُفُوسِهِمْ فَكَيْفَ بِأَسْرارِهِ فِي غَيْرِهِمْ ؟ فَأَحْسِنِ الظَّنَّ فَإنِّي لَكَ ناصِحٌ ، ومَنْ رَمَى أَحْبابَ اللّهِ بِالبُهْتانِ ، مَقَتَهُ اللّهُ فِي الدَّارَيْنِ .

• مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُكْشَفَ لَهُ عَنِ الأَنْوارِ ، ويُسْقَى مِنْ دِنِّ الدُّنُوِّ ، وخَمْرِ الخَمَّارِ ، وتَطْلُعَ فِي قَلْبِهِ شُمُوسُ المَعانِي والأَقْمارِ ، فَلْيَلْزَمْ عِبادَةَ رَبِّهِ فِي الأَسْحارِ ، ويُداوِمْ الاسْتِغْفارَ ، فاعْمَلْ بِذَلِكَ تَكُنْ مِنَ المُفْلِحِين .

• لا تَقْنَعْ بِوَرَقَةِ إجازَة ؛ إنَّما إجازَتُكَ حُسْنُ سِيرَتِكَ وإِخْلاصُ سَرِيرَتِكَ .

• إذا تَجَلَّى عَرُوسُ الكَلامِ فِي رُتْبَةِ الإلْهامِ ، طَلَعَتْ شُمُوسُ المَعارِفِ ، وتَجَلَّى البَدْرُ المُنِيرُ فِي اللَّيْلِ البَهِيم .

• كَمْ مِنْ عِلْمٍ يَسْمَعُهُ مَنْ لا يَفْهَمُهُ فَيَتْلِفَهُ ؛ ولِذَلِكَ أُخِذَتِ العُهُودُ عَلَى العُلَماءِ أَلَّا يُودِعُوهُ إلَّا لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ عاقِلٌ وفَهْمٌ ثاقِبٌ .

• الصَّحِيحُ أَنَّ العَقْلَ فِي القَلْبِ لِخَبَرِ : (إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً)[1]، لَكِنْ إذا فَكَّرْتَ فِي كُنْهِ العَقْلِ وَجَدْتَ الرَّأْسَ يُدَبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيا ، والقَلْبَ يُدَبِّرُ أَمْرَ الآخِرَةِ ، فَمَنْ جاهَدَ شاهَدَ ، ومَنْ نامَ تباعَدَ .

• كَمْ مِنْ رَجُلٍ يَتْلُو الاسْمَ الأَعْظَمَ ولا يَدْرِيهِ ولا يَفْهَمُ مَعْناهُ .

• لا يَكْمُلُ رَجُلٌ حَتَّى يَفِرَّ مِنْ قَلْبِهِ وسِرِّهِ وعَمَلِهِ ووَهْمِهِ وفِكْرِهِ ، وعَنْ كُلِّ ما خَطَرَ ببالِهِ غَيْرَ رَبِّهِ .

• مَنْ نَظَرَ إِلَى أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ بعَيْنِ العُجْبِ فَهُوَ مَحْجُوبٌ عَنْ مَقامِ التَّوْحِيدِ ، ولا يُزَفُّ وَلِيٌّ إِلَى رَبِّهِ حَتَّى يَدَعَ الوُقُوفَ مَعَ كُلِّ ما سِواهُ مِنْ مَقامٍ وحالٍ .

• إِنْ أَرَدْتَ جَمْعَ قَلْبِكَ عَلَى رَبِّكَ ، فَطَهِّرْ باطِنَكَ مِنَ النُّعُوتِ الرَّدِيئَةِ ، وأَخْلِصْ للهِ النِّيَّةَ .

• مَنْ خافَ لا كانَ ، ومَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِكَلامِنا فَلا يَمْشِ فِي رِكابِنا، ولا يَلُمَّ بِنا .

• إِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ : أَنا فَعَلْتُ ، أَنا وَلِّيتُ ، أَنا عَزَلْتُ ، فَإِنَّهُ تَعالَى يُعْجِزُ كُلَّ مُدَّعٍ ولَوْ كانَ عَلَى عِبادَةِ الثَّقَلَيْنِ هَبَطَ ، أَوْ صاحِبَ مَنْزِلَةٍ سَقَطَ .

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

• مَنِ ابْتَلاهُ اللهُ فَلْيَصْبِرْ ؛ فَإِنَّهُ ما ابْتَلاهُ إِلَّا لِيُرَقِّيَهُ أَوْ يَطْرُدَهُ .

• ما عَصَى عَبْدٌ رَبَّهُ ، ومَرَّ عَلَى الهَوامِ الضَّعِيفَةِ إلَّا وَدَّتْ أَنْ يُعْطِيَها اللهُ قُوَّةَ البَطْشِ بِهِ غَيْرَةً عَلَى جَنابِ الحَقِّ ، ولا يَمُرُّ بِطَيْرٍ ولا وَحْشٍ إِلَّا ويَسْتَعِيذُ مِنْهُ ، ويَكْرَهُهُ كُلُّ مَنْ فِي الوُجُودِ تَبَعاً لله .

• ما قَطَعَ مُرِيدٌ وِرْدَهُ إِلَّا قَطَعَ اللهُ عَنْهُ إِمْدادَهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ ، فَإِنَّ مَدَدَهُ يَأْتِي مِنْهُ .

• مَنِ ادَّعَى الطَّرِيقَةَ ، وخالَفَ قَواعِدَها ، وآدابَها ، رَفَضَتْهُ كُرْهاً عَلَيْهِ .

• لَوِ انْفَتَحَتْ أَقْفالُ القُلُوبِ لاطَّلَعْتُمْ عَلَى ما فِي القُرْآنِ مِنَ العَجائِبِ والعُلُومِ ، وأَغْناكُمْ عَنِ النَّظَرِ فِيما سِواهُ ، فَإِنَّ فِيهِ كُلَّ ما سُطِّرَ فِي كُتُبِ العُلَماءِ : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [1] .

• لا تَقْنَعُوا مِنَ الطَّرِيقِ بِالوَصْفِ دُونَ الذَّوْقِ ، وما تَكَلَّمَ القَوْمُ إِلَّا عَلَى شَيْءٍ ذِي قُوَّةٍ ، فَبِاللهِ إِذا سَأَلْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَقاماتِ الطَّرِيقِ فَلا تُجِيبُوا إِلَّا بَعْدَ التَّحَقُّقِ بِهِ ؛ فَإِنَّهُ يُنادَى يَوْمَ القِيامَةِ : هَذا جَزاءُ الَّذِي قَنَعَ بِالقُشُورِ فِي دارِ الغُرُورِ .

---

(١) سُورَةُ الأَنْعام : مِنَ الآيَة ٣٨ .

• إنْ أَرَدْتَ الطَّرِيقَ فالْزَم الصَّمْتَ واتْرُكِ الجِدالَ وارْكَبْ جَوادَّ الطَّرِيقِ ، واخْتَم حِمْيَةً قَبْلَ الشَّرْبَةِ مِنْ مَنْعِ الواصِلِ ، ونَزْعِ الحاصِلِ ، آهٍ آهٍ ما أَحْلَى هَذا الطَّرِيقَ .. ما أَسْناها .. ما أَمَرَّها .. ما أَقْتَلَها .. ما أَحْلاها .. ما أَصْعَبَها .. ما أَكْثَرَ مَصائِدَها .. ما أَعْجَبَ وارِدَها ومَوارِدَها .. ما أَعْمَقَ بَحْرَها .. ما أَكْثَرَ آفاتِها وحَيَّاتِها .. فَاجْمَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى أُسْتاذِكُمْ يَحْمِيكُمْ مِنْ آفاتِها .

• قَدْ فازَ مُعْتَقِدُ أَهْلِ الطَّرِيقِ ، وتَحَسَّرَ المُسْتَهْزِئُونَ ، فَقَدْ يَقْذِفُ اللهُ فِي قَلْبِ وَلِيِّهِ ما لا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ العُلَماءِ .

• عَلامَةُ الصَّادِقِ فِي مَحَبَّةِ الطَّرِيقِ أَنْ يَكُونَ سائِراً فِيها لَيْلاً نَهاراً، غُدُوًّا وإِبْكاراً ، لا مَقِيلَ لَهُ ولا هُدُوءَ ، ولا يَهُولُهُ مَهْلِكٌ ، ولا تَرُدُّهُ ضَرَباتُ الصَّوارِمِ .

• شَأْنُ الصَّادِقِ أَنْ لا يَكُونَ عِنْدَهُ حَسَدٌ ولا بَغْيٌ ولا عُجْبٌ ولا شَطْحٌ عَنْ ظاهِرِ الشَّرِيعَةِ ، ولا تَصَدُّرٌ بِمَجْلِسٍ ، ولا خِصامٌ ولا جِدالٌ ولا سُوءُ ظَنٍّ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقِ .

• الصَّادِقُ مَنْ لا يَلْتَفِتُ إِلَى رِعايَةِ الخَلْقِ فِي الحُرْمَةِ والجاهِ ، والقِيامِ والقُعُودِ ، والقَبُولِ والإِعْراضِ .

• عَلَيْكَ بِالوِحْدَةِ فَإِنَّكَ فِي القَرْنِ السَّابِعِ الَّذِينَ أَكْثَرُهُمْ يَجْعَلُ الحَقِيقَةَ مُخالِفَةً للشَّرِيعَةِ ، ويَقُولُونَ : بابُ العَطاءِ أُغْلِقَ حِينَ رَأَوْا بابَ العَطاءِ أُغْلِقَ دُونَهُمْ ، وما عَلِمُوا أَنَّ لِلّهِ عِباداً أَفاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ جُودِهِ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ مِنْ عُلُومٍ ومَعارِفَ وأَسْرارٍ .

• قِيلَ للجُنَيْدِ إِنَّ قَوْماً يَتواجَدُونَ ويَتَمايَلُونَ ، فَقالَ : دَعُوهُمْ مَعَ اللّهِ يَفْرَحُونَ ؛ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ قَطَّعَتِ الطَّرِيقُ أَكْبادَهُمْ ومَزَّقَ النَّصَبُ فُؤادَهُمْ وضاقُوا ذَرْعاً ، فَلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ إِذا تَنَفَّسُوا مُداواةً لِحالِهِمْ ، ولَوْ ذُقْتَ مَذاقَهُمْ عَذَرْتَهُمْ فِي صِياحِهِمْ وشَقِّ ثِيابِهِمْ .

• مَنْ جَهِلَ أَخْلاقَ القَوْمِ فَهُوَ فِي حِرْمانٍ .

• أَسْلَمُ التَّفْسِيرِ ما رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ ، وأَنْكَرُهُ عِنْدَ النَّاسِ ما فَتَحَ اللّهُ بِهِ عَلَى قَلْبِ العَبْدِ فِي كُلِّ عَصْرٍ ، ولَوْلا مُحَرِّكٌ يُحَرِّكُ قُلُوبَنا ما نَطَقْنا إِلاّ بِما وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ .

• فَيْضُ الرُّبُوبِيَّةِ إِذا فاضَ أَغْنَى عَنِ الاجْتِهادِ ، وقَدْ يُعْطِي الوَلِيَّ القاصِرَ ما لَمْ يُعْطِهِ لأَرْبابِ المَحابِرِ ، ولَيْسَ مَطْلُوبُ القَوْمِ إِلاَّ مُجالَسَةَ الحَقِّ فِي كُلِّ أَمْرٍ سَلَكُوهُ ، فَإِذا حَضَرُوا عِنْدَهُ عَرَفُوا بِتَعْرِيفِهِ كُلَّ شَيْءٍ بِلا تَعَبٍ .

• مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ شَفَقَةٌ ولا رَحْمَةٌ للخَلْقِ لا يَرْقَى مَراتِبَ أَهْلِ اللَّه .

• لَوْ هاجَرَ النَّاسُ مُهاجَرَةً صَحِيحَةً طالِبِينَ اللَّهَ خالِصاً، ودَخَلُوا تَحْتَ أَوامِرِهِ ، اسْتَغْنَوا عَنِ الشُّيُوخِ ، لَكِنْ جاءُوا إِلَى الطَّرِيقِ بِعِلَلٍ وأَمْراضٍ ، فاحْتاجُوا إِلَى حَكِيمٍ .

• التَّوْبَةُ ما هِيَ بِكَلامٍ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، بَلْ بِالعَزْمِ عَلَى ارْتِكابِ ما المَوْتُ دُونَهُ ؛ فَصُفَّ أَقْدامَكَ فِي حَنْدَسِ اللَّيْلِ ، ولا تَكُنْ مِمَّنْ يَشْتَغِلُ بِالبَطَالَةِ ، ويَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الطُّرُقِ ، فَإِنَّ مَنِ اسْتَهْزَأَ بِالطَّرِيقِ اسْتَهْزَأَتْ بِهِ .

• لا يَصْلُحُ لِلُبْسِ الخِرْقَةِ إِلَّا مَنْ دَرَسَتْهُ الأَيَّامُ ، وقَطَّعَتْهُ الطَّرِيقُ بِجُهْدِها ، وأَخْلَصَ فِي مُعامَلَتِهِ ، وقَرَأَ مَعانِي رُمُوزِ الطَّرِيقِ ، ونَظَرَ فِي أَخْبارِ أَهْلِها ، وعَرَفَ مَقاصِدَهُمْ وأَخْلاقَهُمْ .

• قُوتُ المُرِيدِ الجُوعُ ، ونَظَرُهُ الدُّمُوعُ ، وفِطْرُهُ الرُّجُوعُ ، وأَمَّا مَنْ أَكَلَ ونامَ ولَغَى فِي الكَلامِ ، وتَرَخَّصَ وقالَ ما عَلَى فاعِلِ ذَلِكَ مَلامٌ ، فلا يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ .. والسَّلام .

• ما بُنِيَتْ طَرِيقُنا هَذِهِ إِلَّا عَلَى النَّارِ والبَحْرِ الهَدَّارِ ، والجُوعِ والاصْفِرارِ ، ما هِيَ بِالمُشَدِّقَةِ والفَشَّارِ .

• شَرْطُ الفَقِيرِ كَوْنُهُ كالسُّلْطانِ هَيْبَةً ، وكالعَبْدِ الذَّلِيل تَواضُعاً ومِهْنَةً .

• الشَّيْخُ حَكِيمُ المُرِيدِ ، فَإذا لَمْ يَعْمَلْ بِقَوْلِ الحَكِيم لَمْ يَحْصُلْ لَهُ شِفاءٌ .

• قَدْ صَرَفْنا هِمَّتَنا إلَى رَبِّنا لَمْ نَعْرِفْ سِواهُ .

• لا تُودِعُوا كَلامَنا إلاَّ عِنْدَ مَنْ كانَ مِنَّا ويَسْلُكُ طَرِيقَنا ؛ فَقَدْ قالُوا ذِكْرُ الكَلامِ لِغَيْرِ أَهْلِهِ عَوْرَةٌ .

• طَرِيقُنا ما هِيَ طَرِيقُ تَمْلِيقٍ ، بَلْ طَرِيقُ صِدْقٍ وتَحْقِيقٍ ، ومَوْتٍ وكَمَدٍ ، وجُهْدٍ وسُهْدٍ ، وكَرَمٍ وكَسْرِ نَفْسٍ بِغَيْرِ دَعْوَى ، ومَنْ لا ذُلَّ ولا خُضُوعَ عِنْدَهُ ، لا يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ .

• كَمْ مِنْ واقِفٍ فِي الماءِ وهُوَ عَطْشانُ لِعَدَمِ صِدْقِهِ فِي طَلَبِ مَوْلاهُ .

• مَنْ لَمْ يَكُنْ مُجْتَهِداً فِي بِدايَتِهِ لا يُفْلِحُ لَهُ مُرِيدٌ ، فَإنَّهُ إنْ نامَ نامَ مُرِيدُهُ ، وإنْ قامَ قامَ مُرِيدُهُ ، وإنْ أَمَرَ النَّاسَ بِالعِبادَةِ وهُوَ بَطَّالٌ أَوْ تَوَّبَهُمْ عَنِ الباطِلِ وهُوَ يَفْعَلُهُ ضَحِكُوا عَلَيْهِ ولَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ .

• مَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَشَرِّعاً مُتَحَقِّقاً نَظِيفاً عَفِيفاً فَلَيْسَ مِنْ أَوْلادِي ، ولَوْ كانَ ابْنِي الصُّلْبِي ، وكُلُّ مَنْ كانَ مِنَ المُرِيدِينَ مُلازِماً الشَّرِيعَةَ والحَقِيقَةَ والطَّرِيقَةَ والدِّيانَةَ والضِّيافَةَ والزُّهْدَ والوَرَعَ وقِلَّةَ الطَّمَعِ فَهُوَ وَلَدِي ، وإنْ كانَ مِنْ أَقْصَى البِلاد .

• لا يَكْمُلُ الفَقِيرُ حَتَّى يَكُونَ مُحِبًّا لِجَمِيعِ النَّاسِ مُشْفِقاً عَلَيْهِمْ ساتِراً لِعَوْراتِهِمْ ، فَإِنِ ادَّعَى الكَمالَ وهُوَ عَلَى خِلافِ ما ذَكَرْناهُ فَهُوَ كاذِبٌ .

• لا تُنْكِروا عَلَى فَقِيرٍ حالَهُ ، ولا لِباسَهُ ، ولا طَعامَهُ ، ولا عَلَى أَيِّ حالَةٍ كانَ ، ولا عَلَى أَيِّ ثَوْبٍ يَلْبَسُ ، ولا يَنْبَغِي الإِنْكارُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا إِنِ ارْتَكَبَ مَحْظُوراً صَرَّحَتِ الشَّرِيعَةُ بِهِ ؛ وذَلِكَ أَنَّ الإِنْكارَ يُورِثُ الوَحْشَةَ ، والوَحْشَةَ تَكُونُ سَبَباً لانْقِطاعِ العَبْدِ عَنْ رَبِّهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ خاصٌّ وعامٌّ ، وخاصُّ الخاصِّ ، ومُبْتَدِئٌ ومُنْتَهٍ ، ومُتَشَبِّهٌ ومُتَحَقِّقٌ ، ويَرْحَمُ اللهُ البَعْضَ بِالبَعْضِ .

• الشَّرِيعَةُ أَصْلٌ ، والحَقِيقَةُ فَرْعٌ ، فالشَّرِيعَةُ جامِعَةٌ لِكُلِّ عِلْمٍ مَشْرُوعٍ ، والحَقِيقَةُ لِكُلِّ عِلْمٍ خَفِيٍّ ، وجَمِيعُ المَقاماتِ مُنْدَرِجَةٌ فِيهِما .

• يَجِبُ عَلَى المُرِيدِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ العِلْمِ ما يَجِبُ عَلَيْهِ فِي تَأْدِيَةِ فَرْضِهِ ونَفْلِهِ ، ولا يَشْتَغِلُ بِالفَصاحَةِ والبَلاغَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ شُغْلٌ لَهُ عَنْ مُرادِهِ بَلْ يَفْحَصُ عَنْ آثارِ الصَّالِحِينَ فِي العِلْمِ ، ويُواظِبُ عَلَى الذِّكْرِ .

• يا أَخِي عَلَيْكَ بِالعَمَلِ ، وإِيَّاكَ وشَقْشَقَةَ اللِّسانِ بِالكَلامِ فِي الطَّرِيقِ دُونَ التَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِ أَهْلِها ، وقَدْ كانَ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجُوعُ حَتَّى يَشِدَّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ وقامَ حَتَّى تَفَطَّرَتْ قَدَماهُ ، ثُمَّ تَبِعَهُ أَكابِرُ

الصَّحابَةِ رضي الله عنهم عَلَى ذَلِكَ .

وكانَ سَيِّدُنا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه إذا تَنَهَّدَ يُشَمُّ لِكَبدِهِ رائِحَةُ الكَبِدِ المَشْوِيِّ ، وأَنْفَقَ مالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ كُلَّهُ .

وكانَ سَيِّدُنا عُمَرُ رضي الله عنه شَدِيدَ العَمَلِ والكَدِّ حَتَّى رَقَعَ دَلْقَهُ بِالجُلُودِ ، وَلَفَّ رَأْسَهُ بِقِطْعَةِ حَشِيشٍ .

وكانَ سَيِّدُنا عُثْمانُ رضي الله عنه يَخْتِمُ القُرْآنَ قائِماً كُلَّ لَيْلَةٍ عَلَى أَقْدامِهِ .

وكانَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رضي الله عنه مِنْ زُهَّادِ الصَّحابَةِ ومُجاهِدِيهِمْ حَتَّى فَتَحَ أَكْثَرَ بِلادِ الإِسْلامِ .

هَؤُلاءِ خَواصُّ الصَّحابَةِ مَعَ قُرْبِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، هَذا كانَ اجْتِهادُهُمْ وزُهْدُهُمْ ، هَذا كانَ جُوعُهُمْ ، فاعْلَمُوا يا أَوْلادِي الحَقِيقَةَ والشَّرِيعَةَ ، ولا تُفَرِّطُوا إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا يُقْتَدَى بِكُمْ ، وما سُمِّيَتِ الحَقِيقَةُ حَقِيقَةً إِلَّا لِكَوْنِها تُحَقِّقُ الأُمُورَ بِالأَعْمالِ ، وتُنْتِجُ الحَقائِقَ مِنْ بَحْرِ الشَّرِيعَةِ .

• ما دامَ لِسانُكَ يَذُوقُ الحَرامَ ، فَلا تَطْمَعْ أَنْ تَذُوقَ شَيْئاً مِنَ الحِكَمِ والمَعارِفِ .

• إِنْ أَحَبَّكَ رَبُّكَ أَحَبَّكَ أَهْلُ السَّماءِ والأَرْضِ ، وإِنْ أَطَعْتَهُ أَطاعَ لَكَ

الجِنَّ والإِنْسَ ، ويَجفُّ لَكَ البَحْرُ والماءُ ، ويَطِيعُ لَكَ الهَواءُ .

• يا وَلَدِي عَلَيْكَ بِالتَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِ الأَوْلِياءِ لِتَنالَ السَّعادَةَ ، وأَمَّا إِذا أَخَذْتَ وَرَقَةَ الإجازَةِ ، وصِرْتَ كُلُّ مَنْ نازَعَكَ قُلْتَ هَذِهِ إِجازَتِي بِالمَشْيَخَةِ دُونَ التَّخَلُّقِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لا شَيْءِ ، إِنَّما هُوَ حَظُّ نَفْسٍ ، لَكِنْ اقْرَأْ الإجازَةَ واعْمَلْ بِما فِيها مِنَ الوَصايا ، وهُناكَ تَحْصُلُ عَلَى الفائِدَةِ ، ويَحْصُلُ لَكَ الاصْطِفاءُ ، وهَذِهِ طَرِيقَةُ مَدارِجِ الأَوْلِياءِ قَرْناً بَعْدَ قَرْنٍ ، وجِيلاً بَعْدَ جِيلٍ إِلَى آخِرِ الدُّنْيا .

• العِلْمُ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِي حَرْفَيْنِ : أَنْ يَعْرِفَ العَبْدُ رَبَّهُ ، ويَعْبُدَهُ ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدْرَكَ الشَّرِيعَةَ والحَقِيقَةَ ، ولَيْسَ فِي هَذا تَعْطِيلٌ لِلعِلْمِ ؛ بَلِ العَمَلُ أُسُّ العِلْمِ ، وإِنَّما قُلْنا ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [1] ولِكُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهاجٌ ، وإِلَّا فَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ العِلْمَ والعَمَلَ فِي رَجُلٍ واحِدٍ يُفِيدُ النَّاسَ كُلَّ الفَوائِدِ ، فالشَّرِيعَةُ هِيَ الشَّجَرَةُ ، والحَقِيقَةُ هِيَ الثَّمَرَةُ .

• اعْلَمْ يا وَلَدِي أَنَّ طَرِيقَتَنا هَذِهِ طَرِيقُ تَحْقِيقٍ وتَصْدِيقٍ وجُهْدٍ وعَمَلٍ ، وَتَنَزُّهٍ ، وغَضِّ بَصَرٍ ، وطَهارَةِ يَدٍ وفَرْجٍ ولِسانٍ ، فَمَنْ خالَفَ

---

(١) سُورَةُ المُزَّمِّل : مِنَ الآيَة ٢٠ .

شَيْئاً مِنْ أَفْعالِها رَفَضَتْهُ ، فَلِذَلِكَ آثَرُوا العُزْلَةَ إِلَّا فِي صَلاةِ الجَماعَةِ ، وحُضُورِ مَجالِسِ العِلْمِ الَّتِي لا رِياءَ فِيها ولا جِدالَ ، ولا عُجْبَ ولا مُداراةَ ، والسَّلامَةُ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ فِي زَمانِنا هَذا قَلَّ أَنْ تُوجَدَ ، فَعَلَيْكَ بِالوَحْدَةِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ ما أَوْجَبَ اللهُ تَعالَى عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ يا وَلَدِي فِي القَرْنِ السَّابِعِ الَّذِينَ أَكْثَرُهُمْ يَجْعَلُونَ شَرِيعَةَ السَّالِكِ قَدْحاً فِي الشَّرِيعَةِ ، وحَقِيقَةَ المَحَبَّةِ بِدْعَةً فِي الطَّرِيقَةِ ، كَأَنَّهُمْ ما عَلِمُوا قَطُّ عَطاءَ اللهِ تَعالَى ، ومَواهِبَ مَدَدِ اللهِ تَعالَى ، وخَوارِقَ عَجائِبِهِ ، بَلْ رَأَوْا مِنْ سُوءِ حالِهِمْ أَنَّ بابَ العَطاءِ قَدْ أُغْلِقَ ، فَمَنِ اعْتَقَدَ ذَلِكَ فَإِنَّما هُوَ مُعْتَرِضٌ عَلَى اللهِ تَعالَى فِي فِعْلِهِ ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الاعْتِراضِ ، فَإِنَّهُ لا بُدَّ لِأَهْلِ حَضْرَتِهِ تَعالَى مِنَ التَّمْيِيزِ عَنِ المُعْرِضِينَ عَنْها ، لِيَشْتاقَ المُعْرِضُونَ عَنْها حِينَ يَرَوْنَ الخَوارِقَ تَقَعُ عَلَى يَدِ أَوْلِيائِهِ ، فَما أَجْهَلَ مَنْ جَهِلَ قَدْرَ الفُقَراءِ ، وما أَعْماهُ ؛ ماذا يُقالُ فِي قَوْمٍ كُلِّهِمْ طالِبِينَ اللهَ تَعالَى ، أَيُنْكِرُ عَلَيْهِمْ مُسْلِمٌ ؟ كَلَّا واللهِ ، قَدْ قِيلَ لِلْجُنَيْدِ : قَوْماً يَتَواجَدُونَ ويَتَمايَلُونَ ، قالَ : دَعْهُمْ مَعَ اللهِ يَفْرَحُونَ ولا تُنْكِرْ إِلَّا العِصْيانَ فِي الشَّرِيعَةِ ، أَمَّا هَؤُلاءِ القَوْمُ فَقَدْ قَطَّعَتِ الطَّرِيقُ أَكْبادَهُمْ ، ومَزَّقَ التَّعَبُ والنَّصَبُ أَجْسادَهُمْ ، وضاقُوا ذَرْعاً

فَلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ ، إذا تَنَفَّسُوا مُداواةً لِحالِهِمْ ، ولَوْ ذُقْتَ يا أَخي مَذاقَهُمْ لَعَذَرْتَهُمْ فِي صِياغَتِهِمْ ، فاللّهُ يُلْهِمُكُمْ يا أَوْلادِي سُلُوكَ طَرِيقِ الرَّشادِ إنَّهُ سَمِيعٌ مُجيبٌ .

ويَعْظُمُ تَقَلُّبُ الشَّيْخِ فِي الحَضَراتِ فَيَنْطِقُ مُتَرْجِماً عَنْ عَظِيمِ آثارِ القُدْرَةِ فِي الكائِناتِ قائِلاً :

سَقانِي مَحْبُوبِي بِكَأْسِ الْمَحَبَّةِ
فَتِهْتُ عَلَى الْعُشَّاقِ سُكْراً بِخَلْوَتِي
ونادَمَنِي سِرًّا بِسِرٍّ وحِكْمَةٍ
فَما كانَ أَهْنَى خَلْوَتِي ثُمَّ جَلْوَتِي
ولاحَ لَنا نُورُ الْجَلالَةِ لَوْ أَضا
لِصُمِّ الْجِبالِ الرَّاسِياتِ لَدُكَّتِ
وكُنْتُ أَنا السَّاقِي لِمَنْ كانَ حاضِراً
أَطُوفُ عَلَيْهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةِ
وكانَ دَلِيلِي يَوْمَ حَضْرَةِ قُدْسِهِ
عَلِيُّ الْمُرْتَضَى الْكَرَّارُ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ
بِإِذْنٍ مِنَ الْمُخْتارِ خَيْرِ مُهَذَّبٍ
وإِنَّ رَسُولَ اللّهِ شَيْخِي وقُدْوَتِي

وعاهَدَنِي عَهْداً حَفِظْتُ لِعَهْدِهِ

وعِشْتُ وَثِيقاً صادِقاً بِمَحَبَّتِي

أَنا الْحَرْفُ لا أُقْرا لِكُلِّ مُناظِرٍ

وشاعَ طَرِيقِي فِي الْوَرَىٰ بَعْدَ غَيْبَتِي

وذِكْرِي مَلا الأَقْطارَ شَرْقاً ومَغْرِباً

وكُلُّ الْوَرَىٰ مِنْ أَمْرِ رَبِّي رَعِيَّتِي

وكَمْ عالِمٍ قَدْ جاءَنا وَهْوَ مُنْكِرٌ

فَرُدَّ بِفَضْلِ اللهِ مِنْ أَهْلِ خِرْقَتِي

وما قُلْتُ هَذا الْقَوْلَ فَخْراً وإِنَّما

أَتَى الإِذْنُ حَتَّى تَعْرِفُوا مِنْ حَقِيقَتِي

مَدارُ طَرِيقَتِهِ وظاهِرُ شارَتِهِ

فَمَدارُها العَمَلُ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ومُجاهَدَةُ النَّفْسِ وتَقْوِيمُها حَتَّى يَكُونَ هَواها تابِعاً لِهَدْيِ حَبِيبِها الأَعْظَم ﷺ .

ويُجْمِلُ الحَدِيثَ عَنْها الإِمامُ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ السَّنُوسِي فِي كِتابِهِ المَخْطُوطِ (السَّلْسَبِيل المُعِين فِي الطَّرائِقِ الأَرْبَعِين)، فَيَقُولُ :

(وأَمَّا طَرِيقُ السَّادَةِ البُرْهانِيَّةِ فَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الشَّيْخِ بُرْهانِ الدِّينِ

إِبْراهِيمَ بنِ أَبي المَجْدِ القُرَشِيِّ الدُّسُوقِيِّ ﷺ ، وهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الذِّكْرِ الجَهْرِيِّ ، ولُزُومِ الجِدِّ فِي الطَّاعاتِ وارْتِكابِ خَطَرِ أَهْوالِ المُجاهَداتِ وذَبْحِ النَّفْسِ بِسِكِّينِ المُخالَفاتِ ، وحَبْسِها فِي سِجْنِ الرِّياضَةِ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْها بالسَّراحِ فِي رِياضِ المَعْرِفَةِ ، ومِنْ شَأْنِ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ السَّنِيَّةِ الإِكْثارُ بِذِكْرِ : (دائِم) بِياءِ النِّداءِ سِيَّما فِي خَتْمِ مَجالِسِ التِّلاوَةِ ، والذِّكْرُ الجَهْرِيُّ بِالجَلالَةِ مَعَ الهُوِيَّة [1] ، ومِنْ شَأْنِهِمْ لُبْسُ الزِّيِّ وهُوَ الأَخْضَر) .

وقَدْ نَشَرَ القُطْبُ الدُّسُوقِيُّ شِراعَ طَرِيقَتِهِ أَقْوالاً وأَفْعالاً وسُلُوكاً ومَسْلَكاً ؛ فَكانَ يَقُولُ لِمَنْ طَلَبَ مِنْهُ سُلُوكَ الطَّرِيقِ :

(اسْلُكْ طَرِيقَ النُّسُكِ عَلَى كِتابِ اللهِ تَعالَى وسُنَّةِ نَبِيِّهِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وإِقامِ الصَّلاةِ وإِيتاءِ الزَّكاةِ وصَوْمِ رَمَضانَ وحَجِّ البَيْتِ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وعَلَى أَنْ تَتَّبِعَ جَمِيعَ الأَوامِرِ المَشْرُوعَةِ والأَخْبارِ المَرْضِيَّةِ ، والاحْتِفالِ بِطاعَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ (قَوْلاً وفِعْلاً واعْتِقاداً)، وأَلَّا تَنْظُرَ يا وَلَدِي إِلَى زَخارِفِ الدُّنْيا ومَطاياها وقُماشِها ورِياشِها وحُظُوظِها ، واتَّبِعْ نَبِيَّكَ فِي أَخْلاقِهِ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فاتَّبِعْ خُلُقَ

(١) أي : (الله) ، و(هُو) .

شَيْخِكَ ، فَإِنْ نَزَلْتَ عَنْ ذَلِكَ هَلَكْتَ) .

(واعْلَمْ يا وَلَدِي أَنَّ طَرِيقَتَنا هَذِهِ طَرِيقَةُ تَحْقِيقٍ وتَصْدِيقٍ وجُهْدٍ وعَمَلٍ وتَنَزُّهٍ وغَضِّ بَصَرٍ وطَهارَةِ يَدٍ وفَرْجٍ ولِسانٍ ، فَمَنْ خالَفَ شَيْئاً مِنْ أَفْعالِها رَفَضَتْهُ الطَّرِيقُ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) .

وانْتَشَرَتْ طَرِيقَتُهُ (والحَمْدُ للّهِ عَلَى فَضْلِهِ ومِنَّتِهِ) وعُرِفَتْ بـ (البُرْهانِيَّة) نِسْبَةً إِلَى لَقَبِهِ (بُرْهان الدِّين) أَوِ (البُرْهامِيَّة أَوِ الإِبْراهِيمِيَّة) نِسْبَةً إِلَى اسْمِهِ (إِبْراهِيم) أَوِ (الدُّسُوقِيَّة) نِسْبَةً إِلَى بَلْدَةِ (دُسُوق) حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى كُلِّ أَرْجاءِ البِلادِ واغْتَبَطَ وانْتَفَعَ بِها ذَوُو الحَظِّ السَّعِيدِ مِنَ العِباد .

أَحْزابُهُ وأَوْرادُهُ وصَلاتُهُ عَلَى الذَّاتِ المُحَمَّدِيَّة

الحِزْبُ (كَما عَرَّفَهُ العارِفُ الصُّوفِيُّ أَحْمَدُ زَرُّوق) : هُوَ الوِرْدُ المَعْمُولُ بِهِ تَعَبُّداً ؛ وهُوَ فِي الاصْطِلاحِ : مَجْمُوعُ أَذْكارٍ وأَدْعِيَةٍ وتَوَجُّهاتٍ وُضِعَتْ لِلذِّكْرِ والتَّذْكِيرِ والتَّعَوُّذِ مِنَ الشَّرِّ وطَلَبِ الخَيْرِ وحُصُولِ العِلْمِ مَعَ جَمْعِ القَلْبِ عَلَى اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى بِذَلِكَ .

والأَوْرادُ والأَحْزابُ تَتَضَمَّنُ : الثَّناءَ عَلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ وتَقْدِيسَهُ وتَمْجِيدَهُ وتَفْرِيدَهُ بِالكَمالاتِ اللاَّئِقَةِ بِحَضْرَةِ الأُلُوهِيَّةِ ، وتَتَضَمَّنُ

الاسْتِغْفارَ والتَّوْبَةَ والاسْتِعاذَةَ بِاللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى مِنْ كُلِّ حِجابٍ يَقْطَعُ الإِنْسانَ عَنِ الهَدْيِ المُحَمَّدِي .

وفِيها طَلَبُ التَّوْفِيقِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ يَرْضاهُ الحَقُّ تَبارَكَ وتَعالَى فِي الدُّنْيا والآخِرَة .

ولِكُلِّ عارِفٍ صِيغَةٌ خاصَّةٌ فِي الصَّلاةِ عَلَى إِمامِ الهُداةِ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِ ؛ وهِيَ مِفْتاحُ أَنْوارِ رُوحِ ذَلِكَ العارِفِ ، وسَبِيلُ كَمالِهِ ، وبابُ فُتُوحِهِ المُوَصِّلُ إِلَى خَزائِنِ العُلُومِ الاصْطِفائِيَّةِ الَّتِي لا يَطَّلِعُ عَلَيْها سِوَى صَفْوَةِ اللهِ تَعالَى مِنْ خَلْقِهِ .

الحِزْبُ الكَبِير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ يا مالِكَ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ نَوَوْا فَلَوَوْا عَمَّا نَوَوْا فَعَمُوا وصَمُّوا عَمَّا نَوَوْا ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم

بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا﴾ ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا﴾ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا﴾ لا آلاءَ إِلَّا آلاؤُكَ يا الله (٣) ، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم .. الْتَجَمَ كُلُّ مارِدٍ وذَلَّ كُلُّ ذِي بَطْشٍ مُعانِدٍ وتَلاشَتْ مَكائِدُ الجِنِّ والإِنْسِ أَجْمَعِينَ بِأَسْمائِكَ يا رَبَّ العالَمِينَ بِالسَّمَواتِ القائِماتِ فَهُنَّ بِالقُدْرَةِ واقِفاتٌ بِالسَّبْعِ المُتَطابِقاتِ بِالحُجُبِ المُتَرادِفاتِ بِمَواقِفِ الأَمْلاكِ فِي مَجارِي الأَفْلاكِ بِالكُرْسِيِّ البَسِيطِ بِالعَرْشِ المُحِيطِ بِغايَةِ الغاياتِ بِمَواضِعِ الإِشاراتِ بِمَنْ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى خَضَعَتِ المَرَدَةُ فَكُبِتُوا ودُحِضُوا ، كُبِتَ الأَعْداءُ بِأَسْماءِ اللهِ فَكُبِتُوا ، خَسَأَ المارِدُ وذَلَّ الحاسِدُ ، (اسْتَعَنْتُ بِاللهِ عَلَى كُلِّ مَنْ نَوَى لِي سُوءاً) ٣ ، كَيْفَ أَخافُ وإِلَهِي أَمَلِي ؟ أَمْ كَيْفَ أُضامُ وعَلَى اللهِ مُتَّكَلِي ؟! اللهُمَّ احْرُسْنِي مِنْ كَيْدِ الفاسِقِ ومِنْ سَطْوَةِ المارِقِ ومِنْ لَدْغَةِ الغاسِقِ فِي اللَّيْلِ إِذا أَدْبَرَ والصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ بـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كُفِيتُ بـ ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾

حُميتُ ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٣ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيم .. بِسْمِ اللهِ ما أَعْظَمَ اللهَ ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ اللهُمَّ يا مَنْ أَلْجَمَ البَحْرَ بِقُدْرَتِهِ وقَهَرَ العِبادَ بِحِكْمَتِهِ (اكْفِنِي أَنْتَ الكافِي) ٣ ، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ ﴿ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ﴿ لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ﴿لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ ٣ ، اللهُمَّ أَمِّنَّا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وهَمٍّ وكَرْبٍ ، كَدٍ كَدٍ كَرْدَدٍ كَرْدَدٍ كَرْدَهٍ كَرْدَهٍ دَهٍ دَهٍ ، اللهُ رَبُّ العِزَّةِ كَتَبَ اسْمَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَعَزَّهُ وخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَةِ سُلْطانِهِ ، اللهُمَّ أَخْضِعْ لِي جَمِيعَ مَنْ يَرانِي مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ والوُحُوشِ والطَّيْرِ والدَّوابِّ والهَوامِّ ، اللهُمَّ اجْعَلْ لِي نُوراً مِنْ نُورِكَ عَلَى وَجْهِي ومِنْ ضِياءِ سُلْطانِكَ أَمامِي حَتَّى إذا رَأَوْنِي وَلَّوْا هارِبِينَ خاضِعِينَ لِهَيْبَةِ اللهِ ولِهَيْبَةِ أَسْمائِهِ ولِهَيْبَتِي

تَدَكْدَكَتِ الجِبالُ بـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كُفِيتُ بـ ﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ﴾ حُمِيتُ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ٣ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللّهِ العَلِيِّ العَظِيم .. ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ بَهَا بَهَا بَهَا ، بَهْيا بَهْيا بَهْيا ، بَهْيَاتٍ بَهْيَاتٍ بَهْيَاتٍ ، القَدِيمُ الأَزَلِيُّ يُخْضِعُ لِي جَمِيعَ مَنْ يَرانِي ، لِمَقْفَنْجَلٍ يا أَرْضُ خُذِيهِمْ ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللّهِ العَلِيِّ العَظِيم ، طَهُورٌ بَدْعَقٌ مَحْبَبَةٌ صُورَةٌ مَحْبَبَهْ سَقْفاطِيسٍ سَقاطِيم أَحُونٌ قافٌ أَدُمَّ حَمَّ هاءٌ (ثُمَّ يَدْعُو التَّالِي بِما يَشاءُ ويَقُولُ : آمِين) ، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ

يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ ، وصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الكَرِيم وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ عَدَدَ ما يَتَعَلَّقُ بِهِ عِلْمُ اللهِ القَدِيمُ مِنَ الجائِزِ والواجِبِ والمُسْتَحِيل جُمْلَةً وتَفْصِيلاً مُنْذُ خُلِقَتِ الدُّنْيا إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةُ أَلْفِ مَرَّةٍ وفِي كُلِّ مَرَّةٍ مِثْلُ قَدْرِ ذَلِكَ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم ، يا عَزِيز (١٠٠ مَرَّة)، يا عَزِيزُ فَلَمْ أَزَلْ بِعِزِّكَ عَزِيزاً يا عَزِيزُ (٧ مَرَّات) .

الحِزْبُ الصَّغِير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم ، بِسْمِ الإِلَهِ الخالِقِ الأَكْبَرِ وهُوَ حِرْزٌ مانِعٌ مِمَّا أَخافُ وأَحْذَرُ لا قُدْرَةَ لِمَخْلُوقٍ مَعَ قُدْرَةِ الخالِقِ يُلْجِمُهُ بِلِجامِ قُدْرَتِهِ ، أَحْمَى حَمِيثا أَطْمَى طَمِيثا وكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزا ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ حِمايَتُنا ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كِفايَتُنا ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ٣ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم وصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم .

يا بارِئُ (١٠٠ مَرَّة) يا دائِم (١٠٠ مَرَّة) : يا دائِمُ لَكَ الدَّوامُ الأَزَلِيُّ

والبَقاءُ السَّرْمَدِيُّ حَتَّى تَرِثَ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها وأَنْتَ خَيْرُ الوارِثِين ، سُبْحانَكَ يا دائِمُ أَنْتَ وَلِيُّنا فاغْفِرْ لَنا وارْحَمْنا وأَنْتَ خَيْرُ الغافِرِين ، سُبْحانَكَ يا دائِمُ ارْزُقْنا حَلاوةَ مَحَبَّتِكَ واحْشُرْنا فِي زُمْرَةِ المُحِبِّين ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيم ، يا وَدُود (١٠٠ مَرَّة) يا وَدُودُ يا ذا العَرْشِ المَجِيدِ يا فَعَّالاً لِما يُرِيدُ ، يا مَنْ وَجْهُهُ مَحْبُوبٌ واسْمُهُ مَطْلُوبٌ مُؤَلِّفٌ لِلقُلُوب ، يا لَطِيف (١٢٩ مَرَّة) ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ ١٠ مَرَّات ، اللهُمَّ يا لَطِيفاً بِخَلْقِهِ يا عَلِيماً بِخَلْقِهِ يا خَبِيراً بِخَلْقِهِ الْطُفْ بِنا يا لَطِيفُ يا عَلِيمُ يا خَبِير (٧ مَرَّات) : اللهُمَّ يا مَنْ لَطَفْتَ بِخَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ وَلَطَفْتَ بِالأَجِنَّةِ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِها الْطُفْ بِنا فِي قَضائِكَ وقَدَرِكَ لُطْفاً يَلِيقُ بِكَرَمِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين (٣ مَرَّات) ، يا الله (٦٦ مَرَّة) ، يا رَبَّنا يا واسِعَ المَغْفِرَةِ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللهُمَّ اعْفُ عَنَّا أَجْمَعِين .

الصَّلاةُ الدُّسُوقِيَّة

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى الذَّاتِ المُحَمَّدِيَّةِ اللَّطِيفَةِ الأَحَدِيَّةِ شَمْسِ سَماءِ الأَسْرارِ ومَظْهَرِ الأَنْوارِ ومَرْكَزِ مَدارِ الجَلالِ وقُطْبِ فَلَكِ الجَمالِ ، اللهُمَّ بِسِرِّهِ لَدَيْكَ وبِسَيْرِهِ إِلَيْكَ آمِنْ خَوْفِي وأَقِلْ عَثْرَتِي وأَذْهِبْ حُزْنِي

وحِرْصِي وكُنْ لِي وخُذْنِي إلَيْكَ مِنِّي وارْزُقْنِي الفَناءَ عَنِّي ولا تَجْعَلْنِي مَفْتُوناً بِنَفْسِي مَحْجُوباً بِحِسِّي واكْشِفْ لِي عَنْ كُلِّ سِرٍّ مَكْتُومٍ يا حَيُّ يا قَيُّوم .

تَفْسِيرُ مُبْهَمِ البَيانِ
فِي تَعْبِيرِهِ بِالحُرُوفِ عَنِ المَعانِي

وقَدْ تَكَلَّمَ عَلَى مَعانِي الحُرُوفِ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ العارِفِينَ مِثْلُ الشَّيْخِ الأَكْبَرِ مُحْيِي الدِّينِ بنِ عَرَبِي وعَبْدِ الحَقِّ بنِ سَبْعِينَ وغَيْرِهِما ، ولِلأَوَّلِ كِتابٌ فِي أَوْرادِ الحُرُوفِ تَضَمَّنَ كُلُّ وِرْدٍ مَعْنَى حَرْفٍ مُفْرَدٍ مِنَ الهِجائِيَّة .

وقالَ الحَكِيمُ التِّرْمِذِي فِي نَوادِرِ الأُصُول : إنَّ فَواتِحَ السُّوَرِ فِيها إشارَةٌ إلَى ما تَضَمَّنَتْهُ السُّورَةُ مِنَ المَعانِي ، ولا يَعْلَمُ ذَلِكَ إلَّا حُكَماءُ اللّهِ فِي أَرْضِهِ ؛ وهُمْ نُجَباءُ الحُكَماءِ ، وهُمْ قَوْمٌ وَصَلَتْ قُلُوبُهُمْ إلَى الفَرْدانِيَّةِ وتَناوَلُوا هَذا العِلْمَ مِنْ مِشكاتِها ، وهُوَ عِلْمُ حَرْفِ المُعْجَم ، وبِهَذِهِ الحُرُوفِ يُعَبَّرُ عَنِ العُلُومِ كُلِّها ، وبِالحُرُوفِ ظَهَرَتْ أَسْماؤُهُ حَتَّى عَبَّرُوا عَنْها بِالأَلْسِنَةِ .

وقالَ الوَرْتُجِيبِي فِي تَفْسِيرِهِ : إنَّ رُمُوزَ الحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ لا يَعْرِفُها إلَّا الرَّبَّانِيُّون .

وعُلُومُ مَعانِي الحُرُوفِ يُفْتَحُ بها عَلَى الوَلِيِّ مِنْ أَنْوارِ القُرْآنِ العَظِيمِ ؛ إِذْ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، ولِكُلِّ حَرْفٍ مِنْها سَبْعَةُ أَجْزاءٍ ، وكُلُّ جُزْءٍ لَهُ مَعْنًى بِحَسَبِ حَرَكاتِ الإِعْرابِ .

فَأَمَّا ما أَوْرَدَهُ القُطْبُ الدُّسُوقِيُّ الشَّهِيرُ مِنْ ذَلِكَ فِي حِزْبِهِ الصَّغِيرِ :

أَحْمَى : فَمَعْناهُ يا مالِكَ المُلْكِ العَظِيمِ الأَعْظَمِ الحَيِّ القَيُّومِ .

حَمِيثا : إِشارَةٌ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ : يا مالِكَ الأَسْرارِ، يا مالِكَ الأَنْوارِ ، يا مالِكَ اللَّيْلِ والنَّهارِ ، يا مالِكَ السَّحابِ المِدْرارِ ، يا مالِكَ الشُّمُوسِ والأَقْمارِ ، يا مالِكَ العَطاءِ والمَنْعِ ، يا مالِكَ الخَفْضِ والرَّفْعِ ، يا مالِكَ كُلِّ حَيٍّ يا مالِكَ كُلِّ شَيْءٍ .

وأَمَّا قَوْلُهُ : **أَطْمَى** : فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَصِفُهُ تَعالَى بِالعَظَمَةِ والكِبْرِياءِ والقَهْرِ والغَلَبَةِ والعِزِّ والانْفِرادِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ؛ وكَأَنَّهُ يَقُولُ : يا عالِمَ كُلِّ شَيْءٍ ، يا قادِراً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، يا مُرِيدَ كُلِّ شَيْءٍ ويا مُدَبِّرَ كُلِّ شَيْءٍ ، ويا قاهِرَ كُلِّ شَيْءٍ ، ويا مَنْ لا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ عَجْزٌ ولا يُتَوَهَّمُ فِي تَصَرُّفِهِ نَقْصٌ .

وطَمِيثا : إِشارَةٌ إِلَى الأَشْياءِ الَّتِي يَتَصَرَّفُ فِيها وإِلَى المُمْكِناتِ الَّتِي يَفْعَلُ فِيها ما يَشاءُ ويُحْكِمُ ما يُرِيدُ سُبْحانَهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

وقَدِ اشْتَمَلَ الحِزْبُ الكَبِيرُ للقُطْبِ الدُّسُوقِي عَلَى حُرُوفٍ مِنْها حُرُوفُ الدَّائِرَةِ الشَّاذُلِيَّة ، وهِيَ كَما ضَبَطَها وفَسَّرَها العارِفُ السَّيِّدُ أَبو المَحاسِنِ القاوُقْجِي[1] : (طَهُورٌ ، بَدْعَقٌ ، مَحْبَبَةٌ ، صُورَةٌ ، مَحْبَبَهْ ، سَقْفاطِيسٍ ، سَقاطِيم ، أَحُونٌ ، قافٌ ، أَدُمَّ ، حَمَّ ، هاءٌ) .

ونَذْكُرُ فِي تَفْسِيرِها باخْتِصار :

طَهُورٌ : مَعْناهُ الكامِلُ فِي ذاتِهِ المُنَوِّرُ لِصِفاتِهِ .

بَدْعَقٌ : ومَعْناهُ الَّذي كُلُّ شَيْءٍ بِهِ .

مَحْبَبَةٌ : مَعْناهُ مُبَيِّنُ الحُكْمِ وصاحِبُ المَنِّ .

سَقْفاطِيسٍ : وهُوَ اسْمٌ للفَتْحِ عَلَى القَلْبِ مِنَ الغَيْبِ .

سَقاطِيم : اسْمٌ مِنَ الأَسْماءِ المُوَصِّلَةِ إِلَى رُتَبِ الكَمالِ .

ونَقَلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ رُضْوانٍ الإِبْيارِي فائِدَةً لِضَبْطِ هَذِهِ الحُرُوفِ ذَكَرَها الشَّيْخُ السَّمَرْقَنْدِي فِي كَنْزِ المَطالِب ؛ ومِمَّا جاءَ فِيها : إِنَّ الاسْمَ الثُّنائِي يُفْتَحُ أَوَّلُهُ ويُكْسَرُ ثانِيهِ مَعَ التَّنْوِينِ مِثْلَ : دَهٍ ، وإِنْ كانَ

---

(١) هُوَ الإِمامُ المُرْشِدُ الكامِلُ أَبُو المَحاسِنِ مُحَمَّدُ بنُ خَلِيلِ بن إِبْراهِيمَ البَشِيشِي نِسْبَةُ إِلَى القُطْبِ عَبْدِ السَّلامِ بن بَشِيش الحَسَنِي العُمَرِي القاوُقْجِي الطَّرابُلُسِي الشَّامِي ، وهُوَ صاحِبُ الطَّرِيقَةِ القاوُقْجِيَّة الشَّاذلِيَّة ولَهُ مِنَ المُؤَلَّفاتِ نَحْوَ مائَتَي كِتاب ، وتُوفِّيَ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَة سَنَةَ ١٣٠٥ هـ ، والكِتابُ الَّذي نَقَلْنا عَنْهُ ما أَوْرَدْناهُ هُوَ : (تُحْفَةُ المُلُوكِ فِي السَّيْرِ والسُّلُوكِ) .

ثُلاثِيًّا ووَسَطُهُ حَرْفُ عِلَّةٍ (ا - و - ي) : فُتِحَ أَوَّلُهُ وسُكِّنَ ثانِيهِ وكُسِرَ ثالِثُهُ مَعَ التَّنْوِينِ .

وقِراءَةُ هَذِهِ الأَلْفاظِ فِي الأَوْرادِ الثَّابِتَةِ عَنْ كُلِّ العارِفِينَ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ ، وثَبَتَتْ عَدالَتُهُمْ واسْتَفاضَ صَلاحُهُمْ جائِزَةٌ ، وقَدْ أَقَرَّها كِبارُ الأَئِمَّةِ مِثْلُ : الإِمامِ الحِفْنِي[1] ، والزُّرْقانِي[2] ، وغَيْرِهِما .

إِشْراقاتٌ قُدُّوسِيَّة

مِنْ فَيْضِ أَنْوارِ الصَّلاةِ الدُّسُوقِيَّة

كَوْنُهُ ﷺ : (شَمْس سَماءِ الأَسْرارِ) أَي : شَمْسُ الأَسْرارِ الشَّبِيهَةِ بِالسَّماءِ ؛ لأَنَّهُ كَنْزُ يَنْبُوعِها ، وحَلُّ رَمْزِ جُمُوعِها ، ومَحْتِدُ أُصُولِها وفُرُوعِها ، وأُسُّ وُجُودِها ، وقُدْسُ شُهُودِها ، والأَسْرارُ تَنْقَسِمُ إِلَى : ذاتِيَّةٍ ، وصِفاتِيَّةٍ ، واسْمِيَّةٍ ، وفِعْلِيَّةٍ ، وعَنْهُ انْشَقَّ قَمَرُها ، وأَيْنَعَ ثَمَرُها ، ويُطْلَقُ السِّرُّ فِي الاصْطِلاحِ عَلَى سِرِّ العِلْمِ بِإِزاءِ حَقِيقَةِ العالِمِ بِهِ ، وسِرِّ الحالِ بِإِزاءِ مَعْرِفَةِ اللهِ فِيهِ ، وسِرِّ الحَقِيقَةِ بِإِزاءِ ما

---

(١) الإِمامُ مُحَمَّدُ بنُ سالِم الحِفْنِي : حاشِيَتُهُ عَلَى شَرْحِ العَزِيزِي للجامِعِ الصَّغِير .

(٢) العَلَّامَة مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الباقِي بنِ يُوسُفَ الزُّرْقانِي المالِكِي (ت ١١٢٢ هـ) : فِي شَرْحِهِ للمَواهِبِ اللَّدُنِيَّةِ للإِمامِ القَسْطَلَّانِي .

تَقَعُ بِهِ الإِشارَةُ مِنَ الرُّوحِ ، وإِنَّما شَبَّهَ النَّبِيَّ ﷺ بِالشَّمْسِ فِي ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُما : ما فِي قُوَّةِ الشَّمْسِ مِنْ قُوَّةِ النُّورِ ؛ وهُوَ ﷺ سِرُّ الأَسْرارِ ، ونُورُ الأَنْوارِ ، والخَلِيفَةُ الأَكْبَرُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وفِي تِلْكَ الدَّارِ ، وذُو العِلْمِ المَبْعُوثُ مِنْهُ إِلَى الخَلْقِ ، والأَخْلاقُ المَبْثُوثَةُ إِلَيْهِمْ كَذَلِكَ .

والثَّانِي : أَنَّ الكَواكِبَ الَّتِي خُلِقَتْ للاهْتِداءِ وزِينَةً لِلسَّماءِ كُلُّها مُسْتَمَدَّةٌ مِنْها ومُقْتَبَسَةٌ مِنْ نُورِها ، والنَّبِيُّ ﷺ جَمِيعُ الذَّواتِ الكامِلَةِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الأَسْرارِ والأَنْوارِ كُلُّها مُسْتَمَدَّةٌ مِنْهُ ﷺ ومُقْتَبَسَةٌ مِنْ نُورِهِ ومُسْتَفِيدَةٌ مِنْ عِلْمِهِ وحِكْمَتِهِ .

كُلُّ النَّبِيِّينَ والرُّسْلِ الْكِرام أَتَوْا

نِيابَةً عَنْهُ فِي تَبْلِيغِ دَعْواهُ

فَهْوُ الرَّسُولُ إِلَى كُلِّ الْخَلائِقِ فِي

كُلِّ الدُّهُورِ ونابَتْ عَنْهُ أَفْواهُ

قالَ تَعالَى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ﴾ (١) أَي : مِنْ حَضْرَةِ الوُجُوبِ إِلَى حَضْرَةِ الإِمْكانِ العَقْلِي ، ﴿رَسُولَهُۥ﴾ (٢) مُحَمَّداً ﷺ وجَمِيعَ الأَنْبِياءِ

---

(١) ، (٢) سُورَةُ الفَتْح : الآيَة ٢٨

والمُرْسَلِينَ قَبْلَهُ مِنْهُ خُلِقُوا وبِسَبَبِهِ أُرْسِلُوا نِيابَةً عَنْهُ كَما قَدَّمْناهُ ، ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾[1] لِجَمِيعِ بَنِي آدَمَ الماضِينَ والأَوَّلِينَ ، والهُدَى : هُوَ الدَّلالَةُ عَلَى الحَقِّ عُمُوماً ، والإِيصالُ بِالحَقِّ خُصُوصاً ، ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾[2] مِنْ شَرائِعِ الأَحْكامِ المُخْتَلِفَةِ ؛ لاخْتِلافِ طَبائِعِ الأُمَمِ الماضِيَةِ والآتِيَةِ ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾[3] تَعالَى ؛ أَي : يَكْشِفُ لَهُ أَوْ يَنْصُرُهُ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ﴾[4] الحَقِّ ﴿كُلِّهِۦ﴾[5] اعْتِقاداً وعَمَلاً ﴿وَكَفَىٰ﴾[6] أَي حَسْبُ الجَمِيعِ ﴿بِٱللَّهِ﴾[7] تَعالَى الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ بِهِ ومِنْهُ وإِلَيْهِ ﴿شَهِيدًا﴾[8] عَلَيْهِ ﷺ وعَلَى جَمِيعِ الأُمَمِ الماضِيَةِ والآتِيَةِ : هَكَذا فَسَّرَهُ الصُّوفِيَّةُ ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَنَّ نِسْبَةَ الأَسْرارِ لَهُ ﷺ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ كَنِسْبَةِ الشَّمْسِ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ سائِرِ الكَواكِبِ ؛ فَهُوَ شَمْسُ الأَسْرارِ وغَيْرُهُ مِنْهُمْ كَواكِبُها .

(ومَظْهَر الأَنْوار) : أَيْ : مَحَلُّ ظُهُورِها ؛ والأَنْوارُ عَلَى أَقْسام : أَنْوارٌ رَبَّانِيَّةٌ ، وأَنْوارٌ رُوحانِيَّةٌ ، وأَنْوارٌ ذاتِيَّةٌ ، وصِفاتِيَّةٌ ، وأَسْمائِيَّةٌ ، وأَنْوارٌ طَبِيعِيَّةٌ ، وأَنْوارٌ جِهاتِيَّةٌ ، وأَنْوارٌ عُلْوِيَّةٌ ، وسُفْلِيَّةٌ ، وعَيْنِيَّةٌ ، وغَيْبِيَّةٌ ... وغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَنْواعِ السَّنِيَّةِ والأَقْسامِ الجَلِيَّةِ وكُلُّها

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) سُورَةُ الفَتْح : الآيَة ٢٨

مُفاضَةٌ مِنَ النُّورِ الأَوَّلِ وحَقِيقَةِ الأَواخِرِ والأَوائِلِ والمُكَنَّى عَنْهُ بالقَلَمِ الأَعْلَى والعَقْلِ الأَوَّلِ ، وقَدْ يُكَنَّى عَنْ ذاتِهِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تَفِيضُ بالأَنْوارِ والأَسْرارِ فَيْضاً بِـ (الجَوْهَرَةِ ، والقُبَّةِ الخَضْراءِ ، والدُّرَّةِ البَيْضاءِ) .

قالَ صاحِبُ هَذِهِ الصَّلاةِ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وبِفَيْضِهِ الأَقْدَسِ سَرَّهُ :

عَلَى الدُّرَّةِ الْبَيْضاءِ كانَ اجْتِماعُنا

ومِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ والْعَرْشِ قَدْ كُنَّا

فَهُوَ ﷺ أَوَّلُ نُورٍ ظَهَرَ ، وتَفَرَّعَتْ عَنْهُ سائِرُ الأَنْوارِ الحِسِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ . وقَدْ سَمَّاهُ اللهُ تَعالَى فِي القُرْآنِ ﴿نُورًا﴾ ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ ؛ فَأَشارَ صاحِبُ الصَّلاةِ إِلَى أَنَّهُ ﷺ المَظْهَرُ لِما أَوْدَعَ اللهُ فِي مَكْنُوناتِهِ مِنَ الأَسْرارِ بَعْدَما كانَتِ القُلُوبُ غافِلَةً عَنْها جاهِلَةً بِها ، والمُنِيرُ للأَنْوارِ المُظْهِرَةِ لِلمَوْجُوداتِ ، أَعْنِي الشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ ؛ إِذْ مِنْ نُورِهِ ﷺ خُلِقَتْ .

قالَ الشَّيْخُ أَبُو المَحاسِنِ الفاسِي : سائِرُ العُلَماءِ والأَوْلِياءِ صُوَرُ تَفاصِيلِهِ وخُلَفاؤُهُ ومَظاهِرُ تَعَيُّناتِهِ ؛ فَما مِنْهُمْ إِلَّا وهُوَ سابِحٌ فِي نُورِهِ ، ومُمَدٌّ مِنْ بَحْرِهِ عَلَى حَسَبِ مَقامِهِ ، فَلا زائِرَ ولا مَزُورَ إِلَّا لَهُ ومِنْهُ ﷺ ، إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَوْجُودٍ أُخْرِجَ مِنَ العَدَمِ ، ورابِطَةٌ بَيْنَ

الحُدُوثِ والقِدَمِ ، وأُسُّ الخَليقَةِ عَلَى التَّمامِ ، وأَيْضاً هُوَ الواسِطَةُ فِي نَيْلِ النُّبُوَّةِ ، والرِّسالَةِ والوِلايَةِ .

(وقُطْب فَلَكِ الجَمال) : القُطْبُ : هُوَ مِلاكُ الشَّيْءِ والَّذِي عَلَيْهِ مَدارُهُ ، وسَيِّدُ القَوْمِ حِسًّا ومَعْنًى ، والقُطْبُ : القائِمُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ الرَّحَى ، وكَوْكَبٌ بَيْنَ الجَدْيِ والفَرْقَدَيْنِ يَدُورُ عَلَيْهِ الفَلَكُ ، لا يَبْرَحُ مَكانَهُ أَبَداً لا يَزُولُ الدَّهْرَ .

قالَ سَيِّدِي مُصْطَفَى البَكْرِي [1] قُطْبُ الطَّرِيقَةِ الخَلْوَتِيَّة : فَإِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ جَمالٍ ظاهِرٍ فَعَنْ جَمالِهِ الظَّاهِرِ ، وكُلَّ جَمالٍ باطِنٍ فَعَنْ جَمالِ باطِنِهِ الباهِرِ ، فَهُوَ بَحْرُ الجَمالِ الَّذِي فاضَتْ عَنْ تَمَوُّجِهِ مَظاهِرُ الجَمالِ المُقَيَّدِ ؛ لأَنَّهُ مِرْآةُ الجَمالِ الإِلَهِيِّ المُطْلَقِ الَّذِي لا يَتَقَيَّدُ ، وكُلَّما أَفاضَ يُفاضُ عَلَيْهِ الإِمْدادُ ويَتَجَدَّدُ ، فَلا يَقِلُّ ماءُ بَحْرِ جَمالِهِ ولا يَتَفَرَّقُ ولا يَتَبَدَّدُ ، فَإِنَّ ظُهُورَ الشَّمْسِ عَلَى الكَوْنِ لا يَنْقُصُ نُورُها ولا يُخْرِجُهُ عَنْ دائِرَةِ الصَّوْنِ .

وقالَ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ البَهِيُّ فِي خِتامِ شَرْحِهِ لِهَذِهِ الصَّلاةِ العَلِيَّة : وقَدْ رَوِينا أَنَّ مَنْ لازَمَ ذِكْرَ هَذِهِ الصِّيغَةِ الدُّسُوقِيَّةِ بِالبَسْمَلَةِ فِي كُلِّ

---

(١) الرَّوْضاتُ العَرْشِيَّة .

مَرَّةٍ عَدَدَ مِائَةٍ بِاللَّيْلِ ومِائَةٍ بِالنَّهارِ بَلَّغَهُ اللهُ جَميعَ الأَوْطار ، ورَفَعَ عَنْ قَلْبِهِ الرَّانَ والأَسْتار ، وكَتَبَهُ فِي دِيوانِ الأَخْيار ، ومَنْ كانَ فِي مُهِمٍّ وتَلاها إِحْدَى وثَمانِينَ مَرَّةً بِالبَسْمَلَةِ أَزالَ اللهُ هَمَّهُ ، وأَزالَ عِلَلَهُ ، وفَضائِلُها كَثِيرَةٌ وأَسْرارُها شَهِيرَةٌ ، وهَذا آخِرُ ما جَمَعْناه ، وحَسْبُ العَبْدِ مَوْلاه .

تَذْكِيرٌ بِبَعْضِ كَراماتِهِ

• فَمِنْ كَراماتِهِ : أَنَّ تِمْساحاً خَطَفَ صَبِيًّا فِي نِيلِ دُسُوق ؛ فَهَرَعَتْ أُمُّهُ إِلَى الشَّيْخِ مَذْعُورَةً ، فَأَرْسَلَ القُطْبُ الدُّسُوقِيُّ نَقِيبَهُ ، فَنادَى بِشاطِئِ البَحْرِ : مَعْشَرَ التَّماسِيحِ مَنِ ابْتَلَعَ صَبِيًّا فَلْيَطْلَعْ بِهِ ، فَخَرَجَ التِّمْساحُ عَلَى الشَّاطِئِ ، فَأَمَرَهُ الشَّيْخُ أَنْ يَلْفِظَهُ ، فَلَفَظَهُ حَيًّا ، وقالَ لِلتِّمْساحِ : مُتْ بِإِذْنِ اللهِ ، فَماتَ .

• ومِنْ مَناقِبِ القُطْبِ الدُّسُوقِي أَنَّهُ سافَرَ إِلَى دَمَنْهُورَ الوَحْشِ بِوَسَطِ الدِّلْتا فَمَرَّ بِبِئْرٍ فَطَلَبَ مِنْها ماءً لِيَشْرَبَ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ ماءَها مالِحٌ ، فَتَفَلَ فِيها فَحلَتْ بِبَرَكَتِهِ ، فَقالَ :

إِذا وَرَدُوا الأَطْلالَ تاهَتْ بِهِمْ عَجَباً

وإِنْ لَمَسُوا عُوداً زَها غُصْنُهُ رَطْبا

وإنْ وَرَدُوا الْبَحْـرَ الأُجـاجَ شَـوارِباً
لأَصْبَحَ ماءُ الْبَحْرِ مِنْ رِيقِهِمْ عَذْبا
وإنْ وَطِئُوا يَوْماً عَلَى ظَهْرِ صَخْرَةٍ
لأَنْبَتَتِ الصَّمَّاءُ مِنْ وَطْئِهِمْ عُشْبا

• كانَ قاضِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ يُبْغِضُ الصُّوفِيَّةَ ويُناصِبُهُمُ العَداءَ ، وكانَتِ القَصَصُ والرِّواياتُ تَبْلُغُهُ عَنِ القُطْبِ الدُّسُوقِي فَيَتَبَرَّعُ بِالتَّصَدِّي لَهُ فِي شَخْصِ مُرِيدِيهِ ؛ حَتَّى كَثُرَتْ شِكاياتُهُمْ مِنْهُ لأُسْتاذِهِمْ ، فَكانَ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى إيذائِهِ ، وإزاءَ هَذا الاضْطِهادِ عَزَفَ عَنِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنْهُمْ مَنْ تَضْطَرُّهُ مَصالِحُهُ إِلَى المُثُولِ بَيْنَ يَدَي القاضِي .
وحَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ أَنَّ بَعْضَ تَلامِذَةِ القُطْبِ الدُّسُوقِي اشْتَرَى حاجَةً مِنْ رَجُلٍ مِنَ السُّوقَةِ فَتَشاجَرَ هَذا مَعَهُ وسَبَّهُ ، وساقَتْهُمُ الشُّرْطَةُ إِلَى المَحْكَمَةِ ، ومَثَلُوا بَيْنَ يَدَي القاضِي ، ولَمَّا عَلِمَ هَذا بِأَنَّ خَصْمَ البائِعِ مِنْ مُرِيدِي القُطْبِ الدُّسُوقِي أَمَرَ بِحَبْسِهِ وأَهانَهُ .
فَأَرْسَلَ زُمَلاؤُهُ إِلَى أُسْتاذِهِمْ بـ (دُسُوق) يَسْتَغِيثُونَ بِهِ مِنْ ظُلْمِ ذَلِكَ القاضِي فَكَتَبَ رُقْعَةً وأَعْطاها لِرَجُلٍ مِنْ عِنْدِهِ وأَمَرَ بِتَسْلِيمِها للقاضِي ،

وكانَتْ تَتَضَمَّنُ هَذِهِ الأَبْيات :

سِهامُ اللَّيْلِ صائِبَةُ الْمَرامِي ۞ إذا وُتِّـرَتْ بِأَوْتـارِ الْخُشُـوعِ

يُصَوِّبُها إِلَى الْمَرْمَى رِجالٌ ۞ يُطِيلُونَ السُّجُودَ مَعَ الرُّكُوعِ

بِـأَلْسِنَةٍ تُهَمْهِمُ فِـي دُعـاءٍ ۞ وأَجْفانٍ تَفِيضُ مِنَ الدُّمُوعِ

إِذا أَوْتَرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ سَهْماً ۞ فَما يُغْنِي التَّحَصُّنُ بِالدُّرُوعِ

ولَمَّا وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِ القاضِي اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فِي الدُّخُولِ فَأُذِنَ لَهُ ، وكانَ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحابِهِ ، ولَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ طَرَفِ القُطْبِ الدُّسُوقِي آذاهُ بِالكَلامِ والْتَفَتَ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ وهُوَ يَقُولُ : انْظُروا إِلَى هَذِهِ الوَرَقَةِ الَّتِي جاءَتْ مِنْ هَذا الرَّجُلِ الَّذِي يَدَّعِي الوِلايَةَ !

وبَعْدَ أَنْ سَبَّ الأُسْتاذَ شَرَعَ فِي قِراءَتِها جَهْراً ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ (سَهْماً) خَرَّ مَيِّتاً .

وهُنا لَطِيفَةٌ نُذَكِّرُ بِها : فَلَمَّا لَمْ يَفْهَم القاضِي الإِشارَةَ ، ولَمْ يَكُفَّ عَنْ أَذِيَّتِهِمْ نَفْسَهُ الأَمَّارَة ، حَذَّرَهُ الأُسْتاذُ مِنْ تَفْوِيقِ السِّهامِ بِصَرِيحِ الكَلامِ لاجِئاً إِلَى مَوْلاهُ ، فَحَكَمَ عَلَيْهِ بِما أَمْضاهُ ، فَرَشَقَتْهُ سِهامُ الرَّبِّ قائِلَةً : (مَنْ عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)؛ فَكَيْفَ والوَقِيعَةُ فِيهِمْ أَكْلٌ لِلُحُومِهِمْ ولُحُومُهُمْ مَسْمُومَة ؟ والآلامُ والهَلاكُ لِمُتَناوِلِ

السُّمِّ مَعْلُومَة ؟! فَلا يَبْعُدُ أَنْ يَخِرَّ مَنْ هَذا وَصْفُهُ مَيِّتاً .

وهَذِهِ عَقِيدَةٌ نَدِينُ بِها : فَإِذا كُنَّا نُذَكِّرُ بِفَضْلِ اللهِ عَلَى خاصَّةِ عِبادِهِ بِخَرْقِ العاداتِ لَهُمْ وإجْراءِ الكَراماتِ عَلَى أَيْدِيهِمْ تَثْبِيتاً لِمُرِيدِيهِمْ ومُعْتَقِدِيهِمْ ، فَإِنَّنا دائِماً نَذْكُرُ أَنَّ الكَرامَةَ المَعْنَوِيَّةَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الحِسِّيَّةِ ، كَمَعْرِفَتِهِ والخَشْيَةِ مِنْهُ ودَوامِ مُراقَبَتِهِ ، والمُسارَعَةِ لامْتِثالِ أَمْرِهِ ونَهْيِهِ ، والرُّسُوخِ فِي اليَقِينِ ، ودَوامِ المُتابَعَةِ ، والاسْتِماعِ مِنَ اللهِ والفَهْمِ عَنْهُ ، ودَوامِ الثِّقَةِ بِهِ ، وصِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وأَنَّ الاسْتِقامَةَ هِيَ عَيْنُ الكَرامَةِ .

وَفاتُهُ رضي الله عنه

ولَمَّا عَمَرَ أُسْتاذُنا مِنَ العُمُرِ ثَلاثاً وأَرْبَعِينَ (٤٣) سَنَةً زَكِيَّة ، مُعْرِضاً عَنْ دَنايا الدُّنْيا بِالكُلِّيَّة ، وتَزايَدَ عِنْدَهُ الشَّوْقُ لِلِقاءِ الحَبِيب ، وآنَ لَهُ الأَوانُ لِنِداءِ الحَقِّ أَنْ يَسْتَجِيب ، أَلْقَى عَلَيْهِ مَوْلاهُ مِنْ خِلَعِ الكَراماتِ ما يَلِيقُ بِكَرَمِهِ ، ومَنَحَهُ ما لا يُحِيطُ بِهِ عَقْلٌ مِنْ هِباتِهِ وجَلائِلِ نِعَمِهِ ، ورَأَى السَّفْرَةَ الرَّابِعَةَ قَدْ دَنا وَقْتُها وجاءَ أَجَلُها ، وعَرَضَ المَرَضُ لِبَدَنِهِ الطَّاهِرِ ، مِنْ غَيْرِ خَلَلٍ فِي بُرْهانِهِ الظَّاهِرِ مِنَ المَعارِفِ والأَنْوار ، الَّتِي لا يَعْرِفُها إِلَّا واهِبُها الغَفَّار ، أَرْسَلَ نَقِيبَهُ لأَخِيهِ السَّيِّدِ شَرَفِ

الدِّينِ أَبي العُمْرانِ مُوسَىٰ - قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ وأَبْهَجَهُ وسَرَّهُ ؛ (وكانَ في حَياةِ الأُسْتاذِ قاطِناً بِقَرافَةِ مِصْرَ بِجامِعِ الفِيلَةِ يُلْقِي الدُّرُوسَ ويُزَكِّي النُّفُوسَ ناشِراً لِلطَّرِيقَةِ)، فَأَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ السَّلامَ ويَسْأَلَهُ أَنْ يُطَهِّرَ باطِنَهُ قَبْلَ ظاهِرِهِ.

فَوافَى النَّقِيبُ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبي العُمْرانِ مُوسَىٰ وطَلَبَةُ العِلْمِ يَقْرَؤُونَ عَلَيْهِ مِنْ كِتابِ الطَّهارَةِ (فَإِنَّهُ كانَ مِنَ العُلَماءِ العامِلِينَ) ، فَسَلَّمَ وقالَ لَهُ : سَيِّدِي يُقْرِئُكَ السَّلامَ ويَقُولُ لَكَ : طَهِّرْ باطِنَكَ قَبْلَ الظَّاهِرِ ، فَطَوَى الشَّيْخُ الدَّرْسَ وسافَرَ إِلَى (دُسُوق) ، فَوَجَدَ أُسْتاذَنا قَدِ اسْتُشْهِدَ بِسَيْفِ القُدْرَةِ وحِرابِ المَحَبَّةِ وهُوَ ساجِدٌ فِي سَنَةِ سِتٍّ وسَبْعِينَ وسِتِّمائَةٍ (٦٧٦هـ) .

وغَسَّلَهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ لَمْ يُعْرَفْ ، ودُفِنَ بـ (دُسُوق) مَحَلَّ مَوْلِدِهِ ، وعَلَى ضَرِيحِهِ مِنَ المَهابَةِ والاحْتِرامِ ما هُوَ لائِقٌ بِمَنْصِبِ ذَلِكَ الإِمامِ ، وظَهَرَ لَهُ أَتْباعٌ ومُحِبُّونَ ، وفِي كُلِّ وَقْتٍ بِفَضْلِ اللهِ الدَّاخِلُونَ فِي الطَّرِيقَةِ يَزِيدُونَ ، ويَجْتَمِعُونَ عَلَى قِراءَةِ الأَوْرادِ والأَذْكار ، فِي مَوْلِدٍ لَهُ غايَةً فِي الإِعْمار ، والَّذِي تَقْصِدُهُ فِيهِ الزُّوَّارُ مِنْ غالِبِ الأَقْطار .

ولَمْ تَزَلْ كَراماتُهُ مُسْتَمِرَّةً ، وشَجَرَةُ قاصِدِيهِ لِطَلَبِ الحاجاتِ والزِّياداتِ

مُثْمِرَةً سَخِيَّةً ، وبابُهُ مُجَرَّبٌ لِتَفْرِيجِ الأَزْمَةِ وكَشْفِ الغُمَّةِ :

قِفْ عَلَى الْبابِ خاضِعاً عِنْدَ ضِيقِ الْمَناهِجِ
فَهْوَ بابٌ مُجَرَّبٌ لِقَضاءِ الْحَوائِجِ

خُلَفاؤُهُ ونُوَّابُهُ

أَجَلُّ خُلَفائِهِ هُوَ وارِثُ عُلُومِهِ وأَسْرارِهِ : أَبُو العُمْرانِ شَرَفُ الدِّينِ مُوسَىٰ ، ونَصُّ كِتابِ الجَوْهَرَةِ عَلَى أَنَّهُ اسْتَخْلَفَ مِنْ بَعْدِهِ أَخاهُ وشَقِيقَهُ الصَّالِحَ القُطْبَ العارِفَ الوَرِعَ الزَّاهِدَ العابِدَ المُجاهِدَ المُرابِطَ المُرَبِّي السَّالِكَ النَّاسِكَ المُسَلِّكَ أَبا العُمْرانِ شَرَفَ الدِّينِ مُوسَىٰ صاحِبَ السِّرِّ القاطِعِ والسَّهْمِ الأَغَرِّ الصَّادِعِ الَّذِي لا يَمْنَعُهُ الحِصْنُ المانِعُ أَسَدَ الفَلَواتِ وإِلْفَ الخَلَواتِ حَتَّى جاوَزَ عَشَرَةَ السَّبْعِينَ واسْتُشْهِدَ بِثَغْرِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ عامِ تِسْعٍ وثَلاثِينَ وسَبْعِمائَةٍ (٧٣٩هـ) .

وفِي نُورِ الحِدَقِ[1] : وكانَتْ وَفاةُ الشَّيْخِ مُوسَىٰ بِالثَّغْرِ السَّكَنْدَرِي فِي سَنَةِ ٧٣٩هـ ، وحُمِلَ إِلَى دُسُوق ، ودُفِنَ بِقُرْبِ شَقِيقِهِ سَيِّدِي إِبْراهِيمَ مِنَ الجِهَةِ القِبْلِيَّةِ تَغَمَّدَهُما اللهُ بِرَحْمَتِهِ .

ومِنْ كِبارِ خُلَفاءِ القُطْبِ الدُّسُوقِي العارِفُ سُلَيْمانُ البَسْيُونِي ، وهُوَ

---

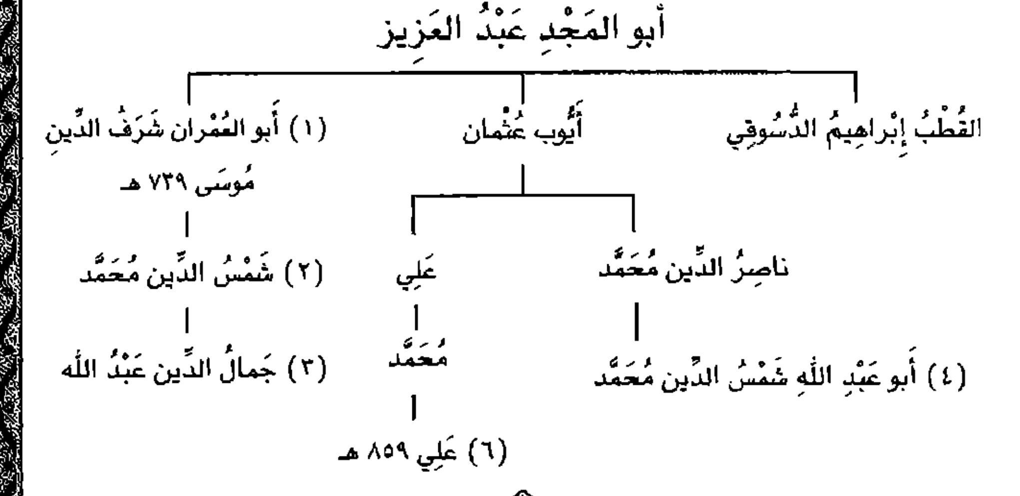
(١) نُورُ الحِدَقِ فِي لُبْسِ الخِرَقِ : جَلالُ الدِّينِ الكَرْكِي الشَّافِعِي .

سُلَيْمانُ بنُ عُلْوانَ بن يَعْقُوبَ الحَسَنِي ، وجَدُّهُ يَعْقُوبُ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ مِنْ بِلادِ المَغْرِبِ الأَقْصَى للدِّيارِ المِصْرِيَّةِ سَنَةَ ٦٠٠هـ ، واتَّخَذَتِ الأُسْرَةُ بَعْدَ ذَلِكَ شُبْرا بَسْيُون مَقَرًّا لَها .

وكانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى القُطْبِ إبْراهِيمَ الدُّسُوقِي بِدُسُوق (وهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ بَسْيُون) واشْتُهِرَ أَمْرُهُ ، وحَمَلَ لِواءَ الطَّرِيقِ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ ، وقَصَدَهُ النَّاسُ لِلتَّبَرُّكِ والأَخْذِ عَنْهُ ، وما زالَ مُجاهِداً فِي سَبِيلِ اللهِ تَعالَى حَتَّى تُوفِّيَ ودُفِنَ فِي خَلْوَتِهِ الَّتِي كانَ يَتَعَبَّدُ فِيها بِمَنْزِلِهِ سَنَةَ ٧٣٥هـ ، وعُمُرُهُ ٧٧ سَنَة .

ومَسْجِدُهُ مَشْهُورٌ فِي بَسْيُون ، ويُقامُ لَهُ مَوْلِدٌ بَعْدَ مَوْلِدِ القُطْبِ الشَّهِيرِ السَّيِّدِ البَدَوِي .

ونَذْكُرُ هُنا جَدْوَلاً بِأَسْماءِ خُلَفاءِ الطَّرِيقَةِ البُرْهامِيَّةِ حَتَّى سَنَةِ ٨٥٩ هـ :



والخامِسُ هُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ الغَفَّارِ بنُ نَفِيسٍ المُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٥٥هـ .

والخَلِيفَةُ السَّادِسُ تَرْجَمَهُ الحافِظُ السَّخاوي فَقالَ : عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ ابنِ عَلِيِّ بنِ ذِي الاسْمَيْنِ أَيُّوبَ عُثْمانَ بنِ ذِي الاسْمَيْنِ عَبْدِ العَزِيزِ عَبْدِ المَجِيدِ الشَّهِيرِ بِأَبِي المَجْدِ ، الأَبُودُرِّي نِسْبَةً لأَبِي دُرَّةَ مِنْ أَعْمالِ البحِيرَة ، ثُمَّ الدُّسُوقِي المالِكِي ، ويُعْرَفُ بـ (سِنان) ؛ لِسِنٍّ كانَتْ بارِزَةً ، وأَيُّوبُ فِي نَسَبِهِ هُوَ أَخُو الشَّيْخِ إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي .

وُلِدَ سَنَةَ ٧٧٥ هـ بِأَبِي دُرَّةَ وانْتَقَلَ مِنْها وهُوَ صَغِيرٌ بَعْدَ وَفاةِ والِدِهِ وحَفِظَ القُرْآنَ .

وبَعْدَ أَنْ عَدَّ شُيُوخَهُ ومِنْهُمُ الحافِظُ الشَّهِيرُ ابنُ حَجَرٍ الهَيْتَمِي والعِراقِي والأَنْباسِي والمَراغِي والنُّورُ الهُورِينِي والجَمالُ الرَّشِيدِي ، قالَ : (وكانَ يُخْبِرُ أَنَّهُ أَخَذَ الخِرْقَةَ الدُّسُوقِيَّةَ عَنِ ابنِ عَمِّهِ الجَمالِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُوسَى المُتَوَفَّى بـ (دُسُوق) فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وثَمانِمائَةٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مُوسَى عَنْ شَقِيقِهِ يَعْنِي القُطْبَ إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي (وقَطَنَ دُسُوقَ مِنْ سَنَةِ ٨١٢ هـ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ شَيْخُ المَقامِ الإِبْراهِيمِيِّ بِها ؛ وهُوَ ابنُ عَمِّهِ الشَّمْسُ مُحَمَّدُ بنُ ناصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ سَنَةَ ٨٣٤ هـ ، فاسْتَقَرَّ عِوَضَهُ فِي المَشْيَخَةِ فَباشَرَها وحَجَّ وزارَ بَيْتَ المَقْدِسِ ودَخَلَ

الإِسْكَنْدَرِيَّةَ مِراراً وحَدَّثَ وسَمِعَ مِنْهُ الفُضَلاءُ بالقاهِرَةِ ثُمَّ بِدُسُوق ، وكانَ خَيِّراً ضابِطاً صَدُوقاً ثِقَةً ثَبْتاً ساكِناً وَقُوراً صَبُوراً عَلَى الاسْتِماعِ مُتَواضِعاً سَلِيمَ الفِطْرَةِ تُوفِّيَ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ حادِي عَشَرَ رَمَضانَ سَنَةَ ٨٥٩ هـ بِدُسُوق عَلَى مَشْيَخَتِها ودُفِنَ عِنْدَ الضَّرِيحِ البُرْهانِي)[1] .

وقَدِ انْتَقَلَتِ المَشْيَخَةُ إِلَى الشَّيْخِ أَحْمَد جَلالِ الدِّينِ الكَرْكِي قَبْلَ سَنَةَ ٩١٢ هـ ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ أَلَّفَ كِتابَهُ (لِسانُ التَّعْرِيفِ بِحالِ الوَلِيِّ الشَّرِيفِ سَيِّدِي إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي) فِي المَقامِ الإِبْراهِيمِي ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِي المَشْيَخَةِ حَتَّى وَفاتِهِ ، وقَدْ تَوَلَّاها أَكْثَرُ مِنْ واحِدٍ مِنْ أُسْرَتِهِ بِدَلِيلِ أَنَّ الشَّيْخَ حَسَن شَمَّه الفُوِّي المُتَوفَّى سَنَةَ ١١٧٧ هـ قَرَّرَ أَنَّهُ لَبِسَ الخِرْقَةَ مِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ مَنْصُورٍ الفُوِّي وهَذا عَنِ العارِفِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ السَّلامِ الكَرْكِي .

فُرُوعُ الطَّرِيقَةِ البُرْهامِيَّة

ولِلطَّرِيقَةِ البُرْهامِيَّةِ أَرْبَعُ شُعَبٍ رَئِيسِيَّة : الشَّهاوِيَّة ، والشَّرْنُوبِيَّة ، والزَّواوِيَّة ، والعاشُورِيَّة ، وما تَفَرَّعَ مِنْها ؛ وما ذَلِكَ إِلَّا وُسْعَةً فِي المَدَدِ ما دامَتْ مَوْصُولَةَ السَّنَدِ .

---

(١) الضَّوْءُ اللَّامِعُ : الحافِظُ السَّخاوِي ؛ ومِنْهُ نَقَلَ عَلَى باشا مُبارَك فِي الخُطَطِ التَّوْفِيقِيَّة .

١) والشَّهاوِيَّةُ : نِسْبَةً إلَى السَّيِّدِ مُحَمَّد الشَّهاوِي البُرْهانِي ؛ وقالَ السَّيِّدُ مُحَمَّد تَوْفِيق البَكْرِي فِي تَرْجَمَتِه : هُوَ القُطْبُ الكَبِيرُ العارِفُ الجَلِيلُ قُدْوَةُ السَّالِكِينَ شَمْسُ المِلَّةِ والدِّينِ الشَّيْخُ الإمامُ صاحِبُ الكَراماتِ الظَّاهِرَةِ والأَيْدِي الطَّائِلَةِ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الشَّهاوِي الحُسَيْنِي الشَّافِعِي ، وُلِدَ سَنَةَ ٨٧٥ هـ بِقَرْيَة (نِمْرَة البَصَل) مِنَ المَحَلَّةِ الكُبْرَى ، ونَشَأَ عَلَى العِلْمِ والتَّقْوَى والدِّينِ والعِبادَةِ والمُجاهَدَةِ ، وتَخَرَّجَ عَلَيْهِ كَثِيرُونَ ، وعَمَّتْ بَرَكاتُهُ ، وشاعَ ذِكْرُهُ ، وكانَتْ وَفاتُهُ ﷺ سَنَةَ (٩٤٩هـ) ودُفِنَ بِمَقامِهِ ومَسْجِدِهِ المَعْرُوفِ بِهِ بِقَرْيَةِ (نِمْرَة البَصَل) وهُوَ حَفِيدُ سَيِّدِي مُوسَىٰ أَبِي العُمْران شَقِيقِ القُطْبِ الشَّهِيرِ سَيِّدِي إبْراهِيمَ الدُّسُوقِي .

وقَدْ أَخَذَ القُطْبُ الشَّهاوِي الطَّرِيقَ عَنِ العارِفِ الشَّهِيرِ مُحَمَّد الشَّرْبِينِي المُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٢٧ هـ بِإسْنادِهِ إلَى السَّيِّدِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّد شَمْسِ الدِّينِ ابنِ أَبِي العُمْرانِ مُوسَىٰ ، والسَّيِّدُ عَبْدُ اللهِ أَخَذَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ .

٢) أَمَّا الشَّرْنُوبِيَّة : فَنِسْبَةً إلَى العارِفِ المُرَبِّي مُرْشِدِ السَّالِكِينَ السَّيِّد أَحْمَد عَرَب بن عُثْمانَ الشَّرْنُوبِي (٩٣١ - ٩٩٤هـ) تُوفِّيَ بِتُرْكِيا ، وذُرِّيَّتُهُ بـ (شَرْنُوب) بَلْدَتِهِ ، وقَدْ أَلَّفَ أَحَدُهُمْ (وهُوَ السَّيِّدُ عَلِيٌّ) كِتاباً

فِي مَناقِبِ والِدِهِ .

وقَصِيدَتُهُ (تائِيَّةُ السُّلُوكِ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ) مِنَ القَصائِدِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي عنَى العُلَماءُ بِشَرْحِها والتَّنْبِيهِ عَلَى الاعْتِناءِ بِها ومَطْلَعُها :

أُصُولُ طَرِيقِ الْقَوْمِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ
هُداةِ الْوَرَى الْمَهْدِينَ مِنْ خَيْرِ مِلَّةِ

طَهارَةُ أَنْفاسٍ وصِدْقُ مَوَدَّةٍ
وحَذْقٌ وآدابٌ وتَجْرِيدُ هِمَّةِ

حَياءٌ وإِخْلاصٌ ذَكاءٌ وفِطْنَةٌ
كَذا الْوَرَعُ الْمَحْمُودُ فِي كُلِّ شِرْعَةِ

وذَوْقٌ وشَوْقٌ والْحُضُورُ بِقَلْبِهِ
وفَطْمُ مُرادِ النَّفْسِ عَنْ كُلِّ شَهْوَةِ

وزُهْدٌ وقَنْعٌ بِالْكَفافِ ورَهْبَةٌ
مِنَ اللهِ فِي حالَيْ رَخاءٍ وشِدَّةِ

أَخَذَ الطَّرِيقَ عَنْ عِدَّةِ شُيُوخٍ كُلُّهُمْ أَجِلَّاءُ مِثْلُ الإِمامِ أَبِي الحَسَنِ البَكْرِيِّ ، والعارِفِ سُلَيْمانَ الخُضَيرِي ، والعارِفِ عَلِيٍّ المُتَّقِي الهِنْدِي ، وابنِ بِنْتِ المَرْصَفِي الشَّيْخِ زَيْن ، والقُطْبِ مُحَمَّدٍ الشَّهاوِي .

قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ المَجيدِ الشَّرْنُوبي (ت ١٣٤٨هـ) فِي شَرْحِ تائِيَّةِ السُّلوكِ عِنْدَ تَرْجَمَتِهِ : واشْتُهِرَ ﷺ بأَنَّهُ وَزيرُ سَيِّدي إبْراهِيمَ الدُّسُوقِي لأَنَّهُ كانَ عَلَى قَدَمِهِ وشَرِبَ مِنْ مَشْرَبِهِ ؛ فَهُوَ وَزيرُهُ حَقِيقَةً مِنْ حَيْثُ ائْتِلافُ الأَرْواحِ وإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَهُ فِي عالَمِ الأَشْباحِ .

وقَدْ رَبَّى مَدْرَسَةً مِنَ العارِفِينَ مِنْهُم : الإمامُ إبْراهِيمُ اللَّقَّانِي صاحِبُ كِتاب (الجَوْهَرَة فِي التَّوْحِيد)، والشَّيْخُ عَبْدُ رَبِّهِ الأَبْشِيطِي بالمَحَلَّةِ الكُبْرَى ، ووارِثُ سِرِّهِ العارِفُ عِزُّ الدِّينِ أَبُو النَّصْرِ الدُّسُوقِي الَّذي اشْتُهِرَ بِشُهْرَةِ شَيْخِهِ ؛ فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ : وَزيرُ الدُّسُوقِي .

٣) **والزَّواوِيَّةُ** : نِسْبَةً إِلَى العارِفِ مَجْدِ الدِّينِ صالِحِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُوسَىٰ الحَسَنِي الزَّواوي المالِكِي (٧٦٠ - ٨٣٩ هـ) .

٤) **والعاشُورِيَّةُ** : نِسْبَةً إِلَى العارِفِ صالِحِ بنِ عاشُورٍ المَغْرَبِي ، قالَ فِي تِبْيانِ الحَقائِقِ : إنَّهُ أَخَذَ الطَّرِيقَ عَنْ شَرَفِ الدِّينِ الكَمْشِيشِي عَنِ العارِفِ مُحَمَّدٍ العَتْرِيسِ عَنِ العارِفِ جَمالِ الدِّينِ عَبْدِ اللهِ أَبِي الطُّيُورِ عَنْ والِدِهِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ عَنْ والِدِهِ وارِثِ القُطْبِ الدُّسُوقِي : أَبِي العُمْرانِ شَرَفِ الدِّينِ مُوسَىٰ .

والطُّرُقُ الصُّوفِيَّةُ كُلُّها تَلْتَقِي عَنْ طَرِيقِ الإلْباسِ والتَّلْقِينِ إِمَّا تَبَرُّكاً وإِمَّا إرادَةً .

صِلَةُ الإِبْراهِيمِيَّةِ الدُّسُوقِيَّةِ بِالسُّطُوحِيَّةِ الأَحْمَدِيَّةِ

تَقُولُ الرِّواياتُ إِنَّ هَذَيْنِ القُطْبَيْنِ الجَلِيلَيْنِ السَّيِّد أَحْمَد البَدَوِي فِي طَنْطا والبُرْهان الدُّسُوقِي بِدُسُوق كانا عَلَى اتِّصالٍ عَنْ طَرِيقِ مُرِيدِي كُلٍّ مِنْهُما ؛ إِذْ كانَ هَؤُلاءِ يَتَوَلَّوْنَ تَبْلِيغَ ما يُطْلَبُ مِنْهُمْ فَيَتَرَدَّدُونَ ما بَيْنَ دُسُوقَ وطَنْطا ، وما زالَتْ هَذِهِ الصِّلَةُ الوَثِيقَةُ قائِمَةً إِلَى يَوْمِنا هَذا وشاهِدُها مِيعادُ إِحْياءِ اللَّيْلَةِ الكَبِيرَةِ لِلمَوْلِدِ الدُّسُوقِي (الكَبِيرِ والرَّجَبِي) يَكُونُ بَعْدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْماً مِنَ اللَّيْلَةِ الكَبِيرَةِ لِمَوْلِدِ البَدَوِي (الكَبِيرِ والرَّجَبِي) ، وحَتَّى القاصِدُونَ لِطَنْطا ودُسُوقَ لِزِيارَةِ القُطْبَيْنِ عَلَى مَدارِ العامِ جَماعاتٍ كانُوا أَمْ فُرادَى يَحْرِصُونَ عَلَى الجَمْعِ بَيْنَ الزِّيارَتَيْنِ فِي الرِّحْلَةِ الواحِدَةِ مُرَدِّدِينَ : مِنْ طَنْطا لِدُسُوق رَمانِي الشُّوق .

والمَشْهُورُ أَنَّ كُلًّا مِنَ القُطْبَيْنِ كانَ يَكِنُّ لأَخِيهِ الحُبَّ الخالِصَ فِي اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، ومِمَّا يُنْسَبُ لِلقُطْبِ الدُّسُوقِيِّ فِي بَيانِ فَضْلِ القُطْبِ البَدَوِيِّ هَذا البَيْتُ المَشْهُورُ :

فَضْلُ اللهِ عَلَيْنا عَمّ

كُلُّنا تَبَعٌ والسَّيِّدُ البَدَوِيُّ عَمّ

عَلَى أَنَّ الدَّلِيلَ القاطِعَ الَّذِي يُثْبِتُ قُوَّةَ الصِّلَةِ بَيْنَهُما هُوَ اشْتِمالُ الحِزْبِ

الدُّسُوقِيِّ الكَبِيرِ عَلَى أَلْفاظٍ مِنْ حِزْبِ أَبِي الفِتْيانِ البَدَوِيِّ ، ولا يَتَعَقَّلُ اشْتِراكُ الحِزْبَيْنِ فِي هَذِهِ العِباراتِ دُونَ وُجُودِ رابِطَةٍ رُوحِيَّةٍ قَوِيَّةٍ بَيْنَ هَذَيْنِ القُطْبَيْنِ الجَلِيلَيْنِ ؛ **وحِزْبُ القُطْبِ النَّبَوِي السَّيِّدِ أَحْمَدَ البَدَوِي هُوَ هَذا :**

لَوَوْا عَمَّا نَوَوْا ، فَعَمُوا وصَمُّوا عَمَّا طَوَوْا ﴿ رَبِّ لَا تَذَرۡنِى فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِى تَضۡلِيلٍ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٍ مَّأۡكُولٍۭ ﴾ ، اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِما شِئْتَ - اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ وأَدْرَأُ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ ، بِكَ أُحاوِلُ وبِكَ أُقاتِلُ ، اللهُمَّ واقِيَةً كَواقِيَةِ الوَلِيدِ ، بِـ ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ كُفِيتُ ، بِـ ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ حُمِيتُ ، ﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الكَرِيمِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيماً والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ .

وجاءَ فِي الحِزْبِ الكَبِيرِ للقُطْبِ الدُّسُوقِي :

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ، نَوَوْا فَلَوَوْا عَمَّا نَوَوْا ثُمَّ لَوَوْا عَمَّا نَوَوْا فَعَمُوا وصَمُّوا عَمَّا نَوَوا ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا﴾ إلَى أَنْ قالَ بَعْدَ حَوالَي أَرْبَعَةَ عَشَرَ سَطْراً : بِـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كُفِيتُ ، بِـ ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ حُمِيتُ ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ثَلاثاً ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، إلَى آخِرِ الحِزْب .

ومِمَّا يُؤَكِّدُ ما قُلْناهُ ما رَواهُ البَقاعِي [1] فِي طَبَقاتِهِ نَقْلاً عَنِ العارِفِ الشِّنَّاوِي : أَنَّ أَبا الفِتْيانِ قالَ للقُطْبِ الدُّسُوقِي :

أَما سَمِعْتَ وعَلِمْتَ أَنَّنا أَخَذْنا العُهُودَ والمَواثِيقَ عَلَى بَعْضِنا ؟

أَما سَمِعْتَ وعَلِمْتَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى مَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَنا خَيْرَي الدُّنْيا والآخِرَة ؟

أَما سَمِعْتَ وعَلِمْتَ أَنَّ اللهَ لَعَنَ مَنْ يَقُولُ هَذا عَلَى طَرِيقَةٍ وهَذا عَلَى طَرِيقَةٍ ؟

أَما تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لَعَنَ مَنْ يَقُولُ هَذا لَهُ مَجْلِسُ ذِكْرٍ وهَذا لَيْسَ لَهُ

---

(١) طَبَقاتُ الإمامِ البَقاعِي : مَخْطُوطٌ بِدارِ الكُتُبِ العامَّةِ بالقاهِرَةِ ظَهْرَ الوَرَقَةِ ١٢٦ .

مَجْلِسُ ذِكْرٍ ؟

أَما تَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ تعالَى فتَحَ عَلَى مَنْ لَمْ يُفَرِّقْ بيْنَنا ؟

ولا شَكَّ أَنَّ هَذا الحَدِيثَ جَرَى فِي أَثْناءِ المُراسَلاتِ الَّتِي تَمَّتْ بَيْنَهُما وهُوَ حَدِيثٌ يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ ما كانَ بَيْنَهُما مِنْ وُدٍّ وحُبٍّ وصَفاءٍ وقُوَّةِ ارْتِباطٍ فِي اللّهِ عَزَّ وجَلَّ .

اتِّخاذُ النُّقَباءِ والخُلَفاءِ مِنْ سُنَّةِ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ ﷺ

إِنَّ اتِّخاذَ مَشايِخِ الصُّوفِيَّةِ للنُّقَباءِ والخُلَفاءِ والنُّوَّابِ لَهُ أَصْلٌ فِي السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، بَلْ وفِي السُّنَّةِ المُوسَوِيَّةِ ؛ فَقَدِ اتَّخَذَ ﷺ نُقَباءَ مِنَ الأَنْصارِ ، فَإِنَّهُ ﷺ قالَ للأَنْصارِ لَمَّا بايَعَهُمْ : (إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَخَذَ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ اثْنَى عَشَرَ نَقِيباً ، فَلا يَجِدَنَّ أَحَدٌ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤْخَذَ غَيْرُهُ ، فَإِنَّما يَخْتارُ لِي جِبْرِيل) .

فاخْتارَ ﷺ مِنَ الخَزْرَجِ تِسْعَةً ، ومِنَ الأَوْسِ ثَلاثَةً وقالَ لَهُمْ : (أَنْتُمْ كُفَلاءُ عَلَى غَيْرِكُمْ كَكَفالَةِ الحَوارِيِّينَ لِعِيسَى ابنِ مَرْيَم ، وكانَ مِنْ جُمْلَتِهِمْ أَسْعَدُ بنُ زُرارَةَ كانَ نَقِيباً عَلَى أَخْوالِهِ ﷺ بَنِي النَّجَّار ، ولَمَّا ماتَ أَسْعَدُ ، قالُوا لَهُ : اتَّخِذْ لَنا نَقِيباً ، فَقالَ : أَنا نَقِيبُكُمْ) .

خاتِمَةٌ مُرَصَّعَة

بِمِدْحَةِ الأَقْطابِ الأَرْبَعَة [1]

نَـزِّهْ جَـنابَكَ عَنْ مَقامِ الْقاصِرِ
واسْـلُكْ طَرِيقَ الْقَوْمِ غَيْرَ مُكابِرِ

وَاحْفَظْ مَقادِيـرَ الشُّيُوخِ فَإِنَّهُمْ
فـازُوا بِمَعْـرِفَةِ الْكَـرِيـمِ الْغافِـرِ

سَلَكُـوا طَـرِيقَ الْهاشِـمِيِّ مُحَـمَّدٍ
وتَشَـبَّثُوا قَلْـباً بِـذَيْـلِ الـطَّاهِـرِ

وتَسَـلَّقُوا بَعْـدَ الصَّـحابَـةِ ذُرْوَةَ
الْعَلْيا وطالُـوهـا بِعَـزْمٍ بـاهِـرِ

وتَسَلْـسَلُـوا حَـتَّى لِعَـهْـدِ الأَرْبَـعِ
الأَقْطابِ قاداتِ الطَّرِيقِ الطَّاهِرِ

(أَعْـنِـي الرِّفاعِـيَّ الَّـذِي آثـارُهُ
ظَهَرَتْ لِبادٍ فِي الأَنامِ وحاضِرِ)

عَلَمُ الشُّيُوخِ هِزَبْرُ غاياتِ الْهُدَىٰ
غَـوْثُ الْوُجُودِ بِكُلِّ خَطْبٍ قاهِـرِ

---

(١) السَّيِّدُ مُحَمَّد أبو الهُدَى الصَّيَّادِي الرِّفاعِي.

سُلْطانُ كَبْكَبَةِ الأَكابِرِ تاجُهُمْ

فَحْلُ الرِّجالِ بِسِيرَةٍ ومَآثِرِ

خَضَعَتْ لِهَيْبَتِه الأُسُودُ ورُدَّ

حَدُّ السَّيْفِ مَقْلُوبَ النِّصالِ الْباتِرِ

والنَّارُ تَخْمِدُ والسَّمُومُ كَأَنَّها

الْماءُ الزُّلالُ لِوارِدٍ أَوْ صادِرِ

وسَما بِلَثْمِ يَمِينِ خَيْرِ الأَنْبِيا

رُتَباً عَلَتْ هامَ الْهِلالِ الزَّاهِرِ

وأَتى بِأَخْلاقٍ تَوَرَّثَها عَنِ

الْمُخْتارِ والسَّلَفِ الشَّرِيفِ الْفاخِرِ

ورَوَى عَنِ الطُّهْرِ الْبَتُولِ نِيابَةً

وعَنِ الْحُسَيْنِ وشِبْلِهِ والْباقِرِ

أَخَذَ التَّواضُعَ والْخُضُوعَ طَرِيقَةً

قامَتْ حَقِيقَتُها بِرُكْنٍ عامِرِ

هُوَ أَوَّلُ الأَقْطابِ مَنْزِلَةً إذا

حُدَّتْ مَنازِلُهُمْ بِغَيْرِ تَفاخُرِ

(واذْكُرْ أَخاهُ الْبازَ سُلْطانَ الْحِمَىٰ

عَيْنَ الرِّجالِ الْغَوْثَ عَبْدَ الْقادِرِ)

شَيْخٌ تَطَيْلَسَ ظاهِراً بِمَفاخِرٍ

دَلَّتْ عَلَى حالِ الْغَنِيِّ الشَّاكِرِ

وافَىٰ لَها بَعْدَ السُّلُوكِ بِحالَةٍ

قَدْ جَمَّلَتْ حالَ الْفَقِيرِ الصَّابِرِ

وبِها انْجَلَى مِثْلَ الْعَرُوسِ بِحُلَّةٍ

حَسَنِيَّةٍ قَدْ رُصِّعَتْ بِجَواهِرِ

سارَتْ مَآثِرُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي

الأَقْطارِ ظاهِرَةً لِعَيْنِ النَّاظِرِ

هُوَ غَوْثُها الْمَنْدُوبُ يَوْمَ مُلِمَّةٍ

ولِكَسْرِ مُضْنَىٰ الْكَرْبِ أَكْرَمُ جابِرِ

كَمْ مِنْ عِناياتٍ لَهُ ومَكارِمٍ

وعَوارِفٍ وأَشائِرٍ وبَشائِرِ

شَهِدَتْ لَهُ كُلُّ الرِّجالِ بِأَنَّهُ

غَوْثُ الضَّعِيفِ عَلَى الزَّمانِ الْجائِرِ

شِيَمٌ عَنِ الْكَرَّارِ والْحَسَنِ ابْنِهِ

وَصَلَتْ لَـهُ مِـنْ كابِرٍ عَنْ كابِـرِ

أَحْـوالُـهُ فِـي الأَوْلِـياءِ شَهِـيرَةٌ

وجَمِـيلُهُ أَمْـواجُ بَحْـرٍ زاخِـرِ

(واذْكُرْ أَخاهُ السَّيِّدَ الْبَدَوِيَّ مَنْ

تُـرْوَىٰ غَـرائِـبُ سِـرِّهِ بِتَـواتُـرِ)

غَـوْثُ الْبَـرِيَّةِ أَحْـمَدُ الْمَوْلَى أَبُو

الْفِتْيانِ ذُو الشَّرَفِ الْعَظِيمِ الظَّاهِرِ

هُـوَ مَلْجَأُ الْعانِي الأَسِيرِ ومَوْئِلُ

اللَّاجِي الْكَسِيرِ ورُكْنُ ظَهْرِ الْحائِرِ

مـا أَمَّ مَشْـهَدَهُ الْكَرِيـمَ عُوَيْجِـزٌ

إِلَّا وقـابَـلَـهُ بِـعَـزْمٍ نـاصِـرِ

أَمْضَىٰ السُّلُوكَ عَلَى السُّطُوحِ بِغَيْبَةٍ

تَرَكَتْهُ لِلأُخْرَىٰ بِحالِ الْحاضِرِ

شَـأْنٌ وأَحْـوالٌ لِصَوْلَتِهِ سَرَتْ

فِي الْخافِقَيْنِ عَلَى جَناحِ الطَّائِرِ

مَوْرُوثَةٌ عَنْ جَدِّهِ الْمَوْلَى الْحُسَيْنِ

وأُفْـرِغَـتْ فِـيـهِ بِفَيْـضٍ وافِـرِ

رُفِعَتْ لَـهُ بَـيْنَ الأَكابِـرِ رايَـةٌ

تَسْمُو عَلَى فَلَكِ الأَثِيرِ الدَّائِرِ

لِلَّهِ مِـنْ سُلْـطانِ بُرْهـانٍ عَلَـتْ

أَحْـكامُ دَوْلَـتِهِ بِغَـيْرِ عَـساكِرِ

تَبِعَـتْهُ قـاداتُ الشُّـيُوخِ تَمَـسُّكاً

بِجَـنابِـهِ والْقَـوْمُ أَهْـلُ بَصائِـرِ

(واذْكُرْ أَخاهُ السَّيِّدَ الْغَوْثَ الدُّسُوقِيَّ

الْحُسَيْنِـيَّ الْحِـمَى لِلْعائِـرِ)

ذُو الْفَتْقِ والرَّتْقِ الَّذِي سادَ الأُلَى

وعَـلا بِصِيتٍ فِي الْبَرِيَّةِ سائِرِ

دانَتْ لَهُ أَهْلُ الْكَمالِ وأَصْبَحَتْ

تُثْنِي عَلَيْهِ صُدُورُها بِمَحاضِرِ

وبِشَـوْكَةِ التَّصْرِيفِ ضَرْبَةُ عَزْمِهِ

كَـمْ مَـرَّةٍ قَطَـعَتْ حِبالَ الْفاجِرِ

هُوَ قُطْبُها الْمَخْطُوبُ لِلْخَطْبِ الَّذي
يَلْوِي الرِّقابَ قِراعَ بَأْسٍ غادِرِ
مَوْلًى مِنَ السَّاداتِ أَهْلِ الْبَيْتِ
أَعْيانِ الْوُجُودِ بِباطِنٍ وبِظاهِرِ
قُطْبٌ تَسَلْسَلَ فِي الْبَرِيَّةِ مَجْدُهُ
مِنْ طاهِرٍ عَنْ طاهِرٍ عَنْ طاهِرِ
تُجْلَىٰ بِهِ الْكُرَبُ الثَّقِيلَةُ والرِّضا
بِرِحابِهِ سَهْمُ الْفَقِيرِ الزَّائِرِ
مَوْلايَ إِبْراهِيمُ غَوْثُ زَمانِهِ
بَحْبُوحَةُ الْإِحْسانِ بَلُّ الْماطِرِ
هُوَ رابِعُ الأَقْطابِ مَنْ أَبْوابُهُمْ
مَلْجا الْعُفاةِ بِكُلِّ هَلٍّ[1] صادِرِ
وهُمُ لَدَىٰ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ واحِدٌ
والْكُلُّ مِنْ بَيْتِ النَّبِيِّ الْعامِرِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللّٰهُ ما لَمَعَ الضُّحَىٰ
وَبَدَتْ كَواكِبُ آلِهِ لِلْباصِرِ

(١) الهَلُّ: شِدَّةُ انْصِبابِ المَطَر.

ثَبَتُ مَصادِرِ ومَشارِبِ كِتاب
تُحْفَةِ الأَحْباب

- القُرْآنُ الكَرِيم .
- البَحْرُ المُحِيطُ فِي التَّفْسِير : أَبُو حَيَّانَ الأَنْدَلُسِي .
- التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ : فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي .
- البَحْرُ المَدِيدُ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ المَجِيد : ابْنُ عَجِيبَة .
- تَفاسِيرُ : ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِي ، والزَّمَخْشَرِي ، والبَغَوِي ، والقُرْطُبِي، والأَلُوسِي ، وأَبِي السُّعُود .
- الإِتْقانُ فِي عُلُومِ القُرْآن : جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي .
- تَفْسِيرُ ابنِ كَثِير .
- أَسْبابُ النُّزُولِ : السُّيُوطِي .
- الصَّحِيحان : صَحِيحُ البُخارِي ، وصَحِيحُ مُسْلِم .
- المُوَطَّأُ : الإِمامُ مالِك .
- الأُمُّ : الإِمامُ الشَّافِعِي .
- مُسْنَدُ الإِمامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَل .
- المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : الحاكِمُ .
- سُنَنُ أَبِي داوُدَ ، والتِّرْمِذِيِّ ، والنَّسائِيِّ ، وابْنِ ماجَه .
- سُنَنُ الدَّارَ قُطْنِي .
- مُسْنَدُ الدَّارِمِي .

• سُنَنُ البَيْهَقِي الكُبْرَى . • المُعْجَمُ الكَبِيرُ : الطَّبَرانِي .
• مُصَنَّفُ ابنِ أَبِي شَيْبَة . • فَتْحُ البارِي : ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِي .
• مُسْنَدُ البَزَّار . • فَيْضُ القَدِير : المُناوِي .
• مَجْمَعُ الزَّوائِد : الهَيْثَمِي . • السُّنَّة : ابنُ أَبِي عاصِم .
• تَهْذِيبُ الكَمال : المَزِّي • الدُّرُّ المَنْثُور : السُّيُوطِي .
• كَنْزُ العُمَّال : المُتَّقِي الهِنْدِي . • صَحِيحُ ابنِ حِبَّان .
• إتْحافُ السَّادَةِ المُتَّقِين : الزَّبِيدِي . • صَحِيحُ ابنِ خُزَيْمَة .
• بُغْيَةُ المُسْتَفِيدِ لِشَرْحِ مُنْيَةِ المُرِيدِ : مُحَمَّد العَرَبِي بنُ السَّائِح .
• جَواهِرُ المَعانِي : عَلِي حَرازِم بنُ العَرَبِي .
• العِقْدُ النَّضِيدُ فِي آدابِ الشَّيْخِ والمُرِيدِ : مُحَمَّد أَبُو الهُدَى الصَّيَّادِي .
• البُرْهانُ المُؤَيَّد : القُطْبُ الإمامُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي .
• الدُّرُّ المُنَضَّد : شَرَفُ الدِّينِ حَسَنُ بنُ عَبْدِ الحَكِيم عَبْدِ الباسِط .
• الكُلِّيَّاتُ الأَحْمَدِيَّة : أَبُو الهُدَى مُحَمَّدُ بنُ حَسَن وادِي الصَّيَّادِي .
• النَّجْمُ السَّاعِي فِي مَناقِبِ القُطْب الرِّفاعِي : أَبو بَكْر العَيْدَرُوس .
• الفُيُوضاتُ المُحَمَّدِيَّةُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّة : فَوَّازُ بنُ بَشَّارِ بنِ سَعِيدٍ الطَّبَّاع . • أَزْهارُ الحَدِيقَة : مُحَمَّد أَبُو الهُدَى الصَّيَّادِي .

• عَوارِفُ المَعارِف : شِهابُ الدِّينِ عُمَرُ السَّهْرَوَرْدِي .

• غُنْيَةُ الطَّالِبِينَ فِي إِيضاحِ طَرِيقِ المَشايِخِ العارِفِينَ : مُحَمَّد أَبو الهُدَى الصَّيَّادِي .

• بَوارِقُ الحَقائِق : مُحَمَّد مَهْدِي الصَّيَّادِي الشَّهِيرُ بِالرَّوَّاس .

• الفَتْحُ الرَّبَّانِي والفَيْضُ الرَّحْمانِي : القُطْبُ الإمامُ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي .

• فُتُوحُ الغَيْب : القُطْبُ الإمامُ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي .

• إِتْحافُ الأَكابِرِ فِي سِيرَةِ ومَناقِبِ الإمامِ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ القادِرِ : عَبْدُ المَجِيدِ بنُ طَهَ الزُّعْبِي .

• قَلائِدُ الجَواهِر : مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَىٰ التَّادِفِي .

• أَعْلامُ المُسْلِمِينَ (٤٥) : الدُّكْتُور عَبْدُ الرَّزَّاق الكِيلانِي .

• الفُيُوضاتُ الرَّبَّانِيَّةُ فِي المَآثِرِ والأَوْرادِ القادِرِيَّة : الحاجُّ إِسْماعِيلُ القادِرِي .

• أَقْطابُ التَّصَوُّف : د. عَبْدُ الحَلِيم مَحْمُود .

• النَّفَحاتُ الأَحْمَدِيَّةُ والجَواهِرُ الصَّمَدانِيَّةُ : عَبْدُه حَسَن راشِد الخَفاجِي .

• النَّصِيحَةُ العَلَوِيَّةُ فِي بَيانِ حُسْنِ طَرِيقَةِ السَّادَةِ الأَحْمَدِيَّةِ : نُورُ الدِّينِ الحَلَبِي .

• الأَرَبُ فِي سِيرَةِ شَيْخِ العَرَب : سُلَيْمان عَبْدُ الوَهَّاب .

- العِظَةُ والاعْتِبارُ آراءٌ فِي حَياةِ السَّيِّدِ البَدَوِي : أَحْمَد مُحَمَّد حِجاب .
- حَقِيقَةُ القُطْبِ النَّبَوِي السَّيِّدِ أَحْمَدَ البَدَوِي : د. جُودَة مُحَمَّد أَبو اليَزِيد المَهْدِي .
- المِنَحُ البَهِيَّةُ فِي الأَحْزابِ والأَوْرادِ الأَحْمَدِيَّة : مُحَمَّد كامِل البَهِيُّ .
- العَذْبُ السَّلْسال فِي أَوْرادِ وأَحْزابِ وصَلَواتِ مَشاهِيرِ الرِّجال : مُحَمَّد إِبْراهِيم مُحَمَّد سالِم .
- شَرْحُ الصَّلاةِ الدُّسُوقِيَّة : مُحَمَّدٌ البَهِيُّ .
- لِسانُ التَّعْرِيفِ بِحالِ الوَلِيِّ الشَّرِيفِ سَيِّدِي إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي : أَحْمَد جَلالُ الدِّينِ الكَرْكِي .
- السَّيِّدُ إِبْراهِيمُ الدُّسُوقِي : أَحْمَدُ عِزُّ الدِّينِ خَلَف الله .
- شَيْخُ الإِسْلام السَّيِّدُ إِبْراهِيمُ الدُّسُوقِي : فَوْزِي مُحَمَّد أَبُو زَيْد .
- حِلْيَةُ الأَوْلِياء : أَبُو نُعَيْم الأَصْفَهانِي .
- أَبُو العَيْنَيْن .. ومَجْمَعُ البَحْرَيْن : إِبْراهِيمُ الدُّسُوقِي أَبُو زَهْرَة .
- وارِثُ الحالِ المُحَمَّدِي السَّيِّدُ أَحْمَدُ البَدَوِي : أَحْمَدُ البَدَوِي أَبُو زَهْرَة .
- طَبَقاتُ الصُّوفِيَّة : أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰن السُّلَمِي .
- إِحْياءُ عُلُومِ الدِّين : حُجَّةُ الإِسْلامِ أَبُو حامِدٍ الغَزالِي .

• الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّة : عَبْدُ الكَرِيم القُشَيْرِي .
• الفُتُوحاتُ المَكِّيَّة : مُحْيِي الدِّينِ ابنُ عَرَبِي .
• لَواقِحُ الأَنْوارِ القُدْسِيَّة فِي بَيانِ العُهُودِ المُحَمَّدِيَّة : عَبْدُ الوَهَّاب الشَّعَرانِي .
• اليَواقِيتُ والجَواهِرُ فِي بَيانِ عَقِيدَةِ الأَكابِر : عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعَرانِي .
• مَدارِجُ السَّالِكِينَ (شَرْحٌ عَلَى مَنازِلِ السَّائِرِينَ لِلْهَرَوِي) : ابنُ قَيِّم الجَوْزِيَّة .
• حالَةُ أَهْلِ الحَقِيقَةِ مَعَ الله : القُطْبُ الإِمامُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي .
• اصْطِلاحاتُ الصُّوفِيَّة : عَبْدُ الرَّازِقِ الكَشانِي .
• رَوْضُ الرَّياحِين فِي حِكاياتِ الصَّالِحِين : اليافِعِي .
• التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ : الكَلاباذِي .
• جامِعُ كَراماتِ الأَوْلِياء : يُوسُفُ إِسْماعِيل النَّبَهانِي .
الإِنْسانُ الكامِلُ فِي مَعْرِفَةِ الأَواخِرِ والأَوائِل : عَبْدُ الكَرِيم الجِيلِي .
• قَوانِينُ حُكْمِ الإِشْراقِ لِكافَّةِ الصُّوفِيَّةِ فِي جَمِيعِ الآفاق : أَبو المَواهِب الشَّاذُلِي .
• تَنْوِيرُ القُلُوب : مُحَمَّد أَمِين الكُرْدِي .
• بُسْتانُ العارِفِينَ : النَّوَوِي .

- البَراهِينُ السَّاطِعَةُ : سَلامَة العَزَّامِي .
- التَّصَوُّفُ الإِسْلامِي والإِمامُ الشَّعَرانِي : طَهَ عَبْدُ الباقِي سُرُور .
- مِفْتاحُ الفَلاحِ ومِصْباحُ الأَرْواحِ : ابنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي .
- قَواعِدُ التَّصَوُّف : أَحْمَد زَرُّوق .
- اللُّمَع : عَبْدُ اللهِ السِّراجُ الطُّوسِي .
- خُلاصَةُ التَّصانِيف فِي التَّصَوُّف : أَبو حامِدٍ الغَزالِي .
- مِعْراجُ التَّشَوُّف إِلَى حَقائِقِ التَّصَوُّف : ابنُ عَجِيبَة .
- الحَدِيقَةُ النَّدِيَّةُ شَرْحُ الطَّرِيقَةِ المُحَمَّدِيَّة : عَبْدُ الغَنِي النَّابُلْسِي .
- المِنَنُ الكُبْرَى : عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعَرانِي .
- الوَصايا : الحارِثُ المُحاسِبِي .
- إِيقاظُ الهِمَم فِي شَرْحِ الحِكَم : ابنُ عَجِيبَة .
- الانْتِصارُ لِطَرِيقِ الصُّوفِيَّة : مُحَمَّد صِدِّيقُ الغُمارِي .
- لَمَحاتٌ عَنِ التَّصَوُّف : حامِدُ المِيرْغَنِي .
- دِيوانُ ابنِ الفارِض .
- الإِنْصافُ فِيما يَجِبُ اعْتِقادُهُ ولا يَجُوزُ الجَهْلُ بِهِ : الباقِلَّانِي (تَحْقِيقُ مُحَمَّد زاهِد الكَوْثَرِي) .

- الطَّرِيقُ إِلَى الله : أبو سَعِيدٍ الخَرَّاز .
- مَدارِجُ السُّلُوكِ إِلَى مَلِكِ المُلُوكِ : أَبو بَكْر مَنانِي الشَّاذُلِي .
- شَخْصِيَّات صُوفِيَّة : طَهَ عَبْدُ الباقِي سُرُور .
- حَلُّ الرُّمُوز ومِفْتاحُ الكُنُوز : العِزُّ بنُ عَبْدِ السَّلام .
- الدُّرُّ المُنَظَّم فِي زِيارَةِ جَبَلِ المُقَطَّم : مُوَفَّقُ الدِّين بنُ عُثْمان .
- غِذاءُ الأَلْباب شَرْحُ مَنْظُومَةِ الآداب : مُحَمَّد السَّفارِينِي .
- حُجَّةُ اللهِ عَلَى العالَمِين : يُوسُفُ إِسْماعِيل النَّبَهانِي .
- كَشْفُ الظُّنُونِ عَنْ أَسامِي الكُتُبِ والفُنُونِ : حاجِّي خَلِيفَة .
- مُقَدِّمَةُ ابنِ خَلْدُون : عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ خَلْدُون .
- مُعِيدُ النِّعَم ومُبِيدُ النِّقَم : عَبْدُ الوَهَّابِ السُّبْكِي .
- تَنْوِيرُ الحَلَك فِي رُؤْيَةِ النَّبِيِّ والمَلَك : جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي .
- تَأْيِيدُ الحَقِيقَةِ العَلِيَّة : جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي .
- حاضِرُ العالَمِ الإِسْلامِي : شَكِيب أَرْسَلان .
- لَطائِفُ المِنَن فِي مَناقِبِ أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِي وشَيْخِهِ أَبِي الحَسَن : ابنُ عَطاءِ الله .
- كَشْفُ اللَّبْسِ عَنْ رَسائِلِ النَّفْسِ : نُورُ الدِّينِ عَلِيٌّ المُنِير .

- كَشْفُ اللَّبْسِ فِي مُناصَحَةِ النَّفْسِ : مُحَمَّد أَبو الحَسَنِ البَكْرِي .
- كَشْفُ اللَّبْسِ عَنْ تَجْرِيدِ النَّفْسِ : أَحْمَد شِهابُ الدِّينِ السُّبْكِي .
- كَشْفُ المَحْجُوب : الهَجْويرِي .
- الدُّرُّ المُخْتار : الحَصَفْكِي .
- مَنْهَلُ الوُرَّاد : جابِرُ أَحْمَد مُعَمَّر .
- خُطَطُ المَقْرِيزِي .
- المَواقِفُ والمُخاطَبات : مُحَمَّد بنُ عَبْدِ الجَبَّارِ النَّفَّرِي .
- دِيوانُ الجَعْفَرِي : صالِح الجَعْفَرِي .
- رِحْلَةُ ابنِ بَطُّوطَة .
- مُرْشِدُ الأَنامِ لِما يَلْزَمُهُمْ مَعْرِفَتُهُ مِنَ الأَحكام : مُحَمَّد الطَّاهِر الحامِدِي .
- الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَقِ : عَبْدُ القاهِرِ البَغْدادِي .
- الخَصائِصُ : ابنُ جِنِّي .
- قِصَّتِي مَعَ التَّصَوُّف : خالِد مُحَمَّد خالِد .
- التَّعْرِيفات : الشَّرِيفُ الجُرْجانِي .
- الفِرْقَةُ النَّاجِيَة : مُحَمَّد ماضِي أَبو العَزائِم .

- وَفَياتُ الأَعْيان : ابنُ خِلِّكان .
- حُسْنُ التَّلَطُّف فِي بَيانِ وُجُوبِ سُلُوكِ التَّصَوُّف : عَبْدُ اللهِ صَدِّيقُ الغُمارِي .
- شِفاءُ الصُّدُورِ الحَرِجَة بِشَرْحِ قَصِيدَةِ المُنْفَرِجَة : حَسَنِين مَخْلُوف .
- السَّلَفِيَّةُ المُعاصِرَةُ إِلَى أَيْنَ ؟ ومَنْ هُمْ أَهْلُ السُّنَّة ؟ : مُحَمَّد زَكِي إِبْراهِيم .
- التَّصَوُّفُ والحَياةُ العَصْرِية : عَبْدُ الحَفيظ فَرْغَلِي .
- حَتَّى لا تَضِيعَ الهُوِيَّةُ الصُّوفِيَّة : د. مَحْمُود السَّيِّد صُبيح .
- التَّصَوُّفُ الإِسْلامِيُّ وأَثَرُهُ فِي الأَخْلاق : د. أَحْمَد عِيسَى مُحَمَّد .
- رَسائِلُ حُجَّةِ الإِسْلام الغَزالِي : د. نُورُ الدِّين آل عَلِي .
- البُطُولَةُ والفِداءُ عِنْدَ الصُّوفِيَّة : أَسْعَدُ الخَطِيب .
- مِنْ نَفَحاتِ الدُّومِي : عَبْدُ الجَوَّادِ الدُّومِي .
- الحِكَمُ الحاتِمِيَّة : ابنُ عَرَبِي .
- تَقْرِيبُ الوُصُول : أَحْمَد زَيْنِي دَحْلان .
- أُصُولُ الوُصُول : مُحَمَّد زَكِي إِبْراهِيم .
- رَوْضَةُ الطَّالِبِينَ وعُمْدَةُ السَّالِكِينَ : أَبو حامِدٍ الغَزالِي .

- تارِيخُ التَّصَوُّفِ فِي الإِسْلام : قاسِم غَنِي .
- دِراساتٌ فِي التَّصَوُّفِ الإِسْلامِي : مُحَمَّد جَلال شَرَف .
- اصْطِلاحاتٌ صُوفِيَّة : ابنُ عَرَبِي .
- مُكاشَفَةُ القُلُوب : أَبو حامِد الغَزالِي .
- القَصْدُ المُجَرَّد فِي مَعْرِفَةِ الاسْم المُفْرَد : ابنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي .
- أَلْفاظُ الصُّوفِيَّةِ ومَعانِيها : حَسَن مُحَمَّد الشَّرْقاوِي .
- أَبُو مَدْيَن الغَوْث : د. عَبْدُ الحَلِيم مَحْمُود .
- دَلائِلُ الإِعْجاز : عَبْدُ القاهِرِ الجُرْجانِي .
- تُحْفَةُ السَّالِكِين : مُحَمَّد المُنِير السَّمَنُّودِي .
- الصُّوفِيَّةُ فِي إِلْهامِهِم : حَسَن كامِل المَلَطاوِي .
- أَعْذَبُ المَسالِكِ المَحْمُودِيَّةِ إِلَى مَنْهَجِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ : مَحْمُود مُحَمَّد خَطَّاب السُّبْكِي .
- جَواهِرُ التَّصَوُّف : يَحْيَى بنُ مُعاذٍ الرَّازِي .
- الكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ الرَّفِيع : مَنْصُور مُحَمَّد هَيْكَل الشَّرْقاوِي .
- أَوْرادُ وآدابُ الطَّرِيقِ إِلَى الله : صَلاحُ الدِّينِ الأَحْمَدِي مَنْصُور .
- نَشْرُ المَحاسِنِ الغالِيَة فِي المَشايِخِ الصُّوفِيَّة : عَبْدُ اللهِ بنُ أَسْعَدَ اليافِعِي .

- الرُّؤَى والأَحْلام : أَحْمَد عِزُّ الدِّين البَيانُوني .
- تاجُ العَرُوسِ الحاوي لِتَهْذِيبِ النُّفُوس : ابنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَري .
- أَنْوارُ التَّحْقِيق فِي تَأْيِيدِ أَوْرادِ الطَّرِيق : مُحَمَّد الطَّاهِر الحامِدِي .
- إِحْياءُ المَقْبُورِ مِنْ أَدِلَّةِ اسْتِحْبابِ المَساجِدِ والقِبابِ عَلَى القُبُورِ : أَحْمَد مُحَمَّد صِدِّيق الغُمارِي .
- أَهْلُ الحَقِّ العارِفُونَ بِالله : مُحَمَّد الحافِظ التِّجانِي .
- الخَبَرُ الدَّالُّ عَلَى وُجُودِ الأَقْطابِ والأَوْتادِ والنُّجَباءِ والأَبْدال : جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي .
- الأَدَبُ الإِسْلامِي الصُّوفِي : د. عَلِي صُبْح .
- النَّسَقُ الغالِي والنَّفَسُ العالِي : عَبْدُ الصَّمَدِ التِّهامِي كنون .
- السِّرُّ فِي أَنْفاسِ الصُّوفِيَّة : أَبُو القاسِمِ الجُنَيْد .
- الرِّياضَةُ وأَدَبُ النَّفْس : الحَكِيمُ التِّرْمِذِي .
- الكَواكِبُ الدُّرِّيَّة فِي تَراجِمِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّة : عَبْدُ الرَّؤُوفِ المُناوِي .
- قُوتُ القُلُوب : أَبو طالِبِ المَكِّي .
- فِقْهُ الصَّلَواتِ والمَدائِحِ النَّبَوِيَّة : مُحَمَّد زَكِي إِبْراهِيم .
- الأَشْذاءُ النَّدِيَّة فِي نَظْمِ السِّلْسِلَة الرِّفاعِيَّة : مُخْلِص الحَدِيثِي الهاشِمِي .

- فَتْحٌ وفَيْضٌ وفَضْلٌ مِنَ اللّه : صالِح الجَعْفَرِي .
- بِدايَةُ التَّعَرُّفِ فِي شَرْحِ نُقايَةِ التَّصَوُّفِ : مُحَمَّد خَلِيل الخَطِيب .
- يَسْأَلُونَكَ فِي الدِّينِ والحَياة : د. أَحْمَد الشَّرَباصِي .
- الإِبْرِيز مِنْ كَلام سَيِّدِي عَبْدِ العَزِيزِ الدَّبَّاغ : أَحْمَد بنُ المُبارَك .
- الأَعْلامُ : خَيْرُ الدِّينِ الزِّرِكْلِي .
- المُذاكَرَةُ مَعَ المُحِبِّينَ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ والدِّينِ : عَبْدُ اللّهِ باعَلَوِي الحَدَّاد .
- المَعانِي الرَّقِيقَةُ عَلَى الدُّرَرِ الدَّقِيقَةِ المُسْتَخْرَجَةُ مِنْ بَحْرِ الحَقِيقَة : صالِح الجَعْفَرِي .
- جَوامِعُ آدابِ الصُّوفِيَّة : أَبو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ السُّلَمِي .
- مِرْآةُ الشُّهُودِ فِي مَدْحِ سُلْطانِ الوُجُودِ ﷺ : مُحَمَّد أَبو الهُدَى الصَّيَّادِي .
- مَطِيَّةُ السَّالِكِ إِلَى مالِكِ المَمالِكِ : أَحْمَدُ الطاهِرُ الحامِدِي : (تَدْقِيق وتَحْقِيق : الطَّاهِر مُحَمَّد أَحْمَد الطَّاهِر الحامِدِي) .
- البَيانُ الجازِمُ أَنَّ التَّصَوُّفَ لِتَزْكِيَةِ الإِنْسانِ نَهْجٌ لازِم : د. سعيد أبو الأسعاد .

• الغُنْيَةُ لِطالِبي طَرِيقَ الحَقِّ : القُطْبُ الإمامُ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي .

• زَفُّ البِشارَة .. التَّصَوُّفُ فِي عِبارَة : د. سعيد أبو الأسعاد .

• المَقاماتُ العَلِيَّةُ فِي النَّشْأَةِ الفَخِيمَةِ النَّبَوِيَّة : مَحْمُود خَطَّاب السُّبْكِي .

• رِجالُ الفِكْرِ والدَّعْوَةِ فِي الإِسْلام : أَبو الحَسن عَلِي الحَسَنِي النَّدَوِي .

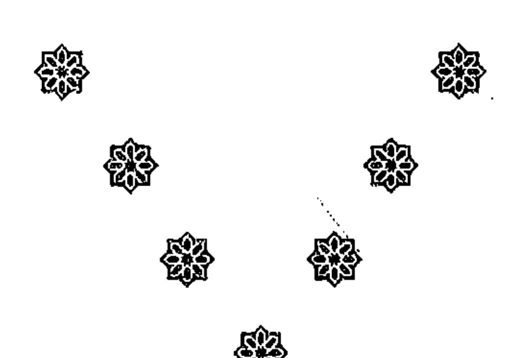
• مُعْجَمُ المُؤَلِّفِينَ الصُّوفِيِّينَ : د. مُحَمَّد أَحْمَد دَرْنِيقَة .

• الطَّالِعُ السَّعِيدُ الجامِعُ أَسْماء نُجَباءِ الصَّعِيد : كَمالُ الدِّينِ الأُدْفَوِي .

• الذَّخِيرَةُ المُعَجَّلَةُ لِلأَرْواحِ المُعَطَّلَة : صالِح الجَعْفَرِي .

• رَفْعُ أَعْلامِ النَّصْرِ بِذِكْرِ أَوْلِياءِ مِصْر : مُحَمَّد خالِد ثابِت .

• تَشْطِيرُ بُرْدَةِ الإِمامِ البُوصِيرِي : أَبو المَعارِفِ أَحْمَدُ بنُ شَرْقاوِي المالِكِي الخَلْوَتِي .

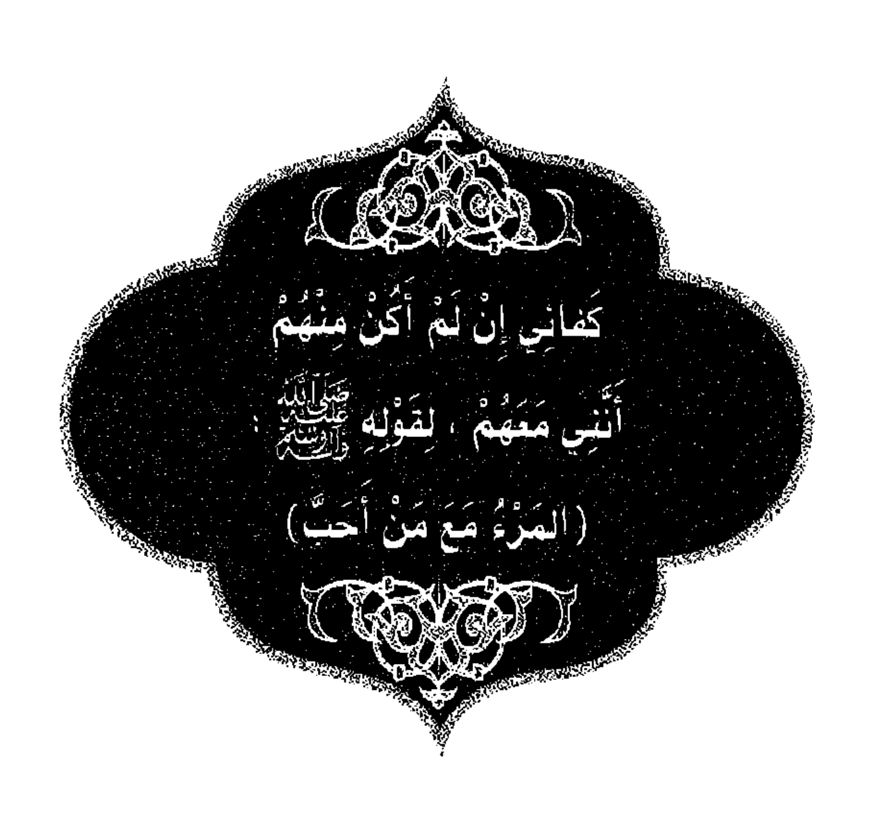


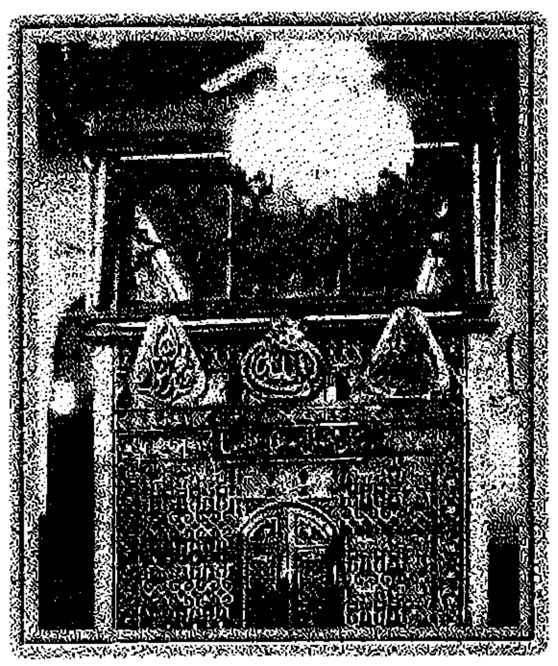
فِهْرِسْتُ كِتابِ تُحْفَةِ الأَحْبابِ

(الجُزْءُ الثَّانِي)

حَسْبِي خُوَيْدِمُ خُدَّامِ النَّبِيِّ عَسَى
بِهِمْ أُعَدُّ مِنَ الأَتْبَاعِ وَالْخَدَمِ

وَذَاكَ جُهْدِي وَإِنْ قَصَّرْتُ لا عَجَبٌ
مَا الشِّعْرُ مَا النَّثْرُ مَا قَوْلِي وَمَا كَلِمِي





ضَرِيحُ ومَرْقَدُ (القُطْبِ البَدَوِيّ)



ضَرِيحُ ومَرْقَدُ (القُطْبِ الدُّسُوقِيّ)



شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

محمد حسني متولي وشركاه

الإدارة : ٩٢ ش التحرير - ميدان الدقي - برج ساريدار - القاهرة

ت - ٢٢٣٨٨١١٩

المطابع : ١٠٥ ش داير الناحية - الدقي - القاهرة ت : ٢٢٣٨٤١١٦

الفرع : مدينة السادس من أكتوبر - حي حدائق أكتوبر ت : ٠١٠١٥٣٩٣٩٢٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٥٤٩٧ - ٢٠١٥

الترقيم الدولي : ٩٧٨ ٩٧٧ ٥٨٤٢ ٣٧ ٤

